الأكاديمية العربية الدولية

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية

www.aiacademy.info | care@aiacademy.info

العقيدة الإسلامية

أصولها - أدلتها - آثارها

تأليف

الدكتور إبراهيم أحمد الدبو

دار طيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: العقيدة الإسلامية (أصولها - أدلتها - آثارها)

إعداد: الدكتور إبراهيم الديبو

قياس الكتاب: ١٧ × ٢٤ سم

عدد الصفحات: ٢٩٦ صفحة

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٩٣٣-٥٨٧-٢٢-٢

جميع الحقوق محفوظة لدار طيبة

الطبعة الأولى

٢٠٢٠م/ ١٤٤١هـ

ISBN 978-9933-587-22-2

9 789933 587222

دار طيبة

للتأكس: ٢٢٥٧٦٦٠ (٠٠٩٦٣ ١١)

جوال: ٩٤٤ ٩٧٧٢٢٢ (٠٠٩٦٣)

بيروت لبنان

هاتف: ٤٨٦ ٧٨٨٣٥ (٠٠٩٦١)

taibadamas@gmail.com

info@taibadamas.com

www.taibadamas.com

طيبة للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق سوريا خلبوني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقيدة الإسلامية

(أصولها- أدلتها-آثارها)

تأليف

د.إبراهيم أحمد الديبو

أستاذ مشارك في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة ماردين آرتقلو

بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ
الرحيم

المقــدّمــة

الحمدُ للهِ ربّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين، وبعدُ:

فالعقيدةُ الإسلاميةُ لها أهميةٌ بالغةٌ، وأثرٌ عظيم في وجود الإنسان وحياته، فهي العقيدة الصحيحة المحفوظة التي أوحى الله تعالى بها إلى أنبيائه ورسله، وآخرهم وخاتمهم مُحَمَّد رسول الله ﷺ.

ومن أبرز جوانب أهمية العقيدة الإسلامية أنها توجِّه الحياةَ الروحيةَ والثقافيةَ والاجتماعية للأمَّة، وتبيِّن حقيقة المبدأ والمصير، وترشدُ إلى السلوكِ الأمثلِ مع الخالق والأكوانِ والإنسانِ؛ لذلك تعدُّ اللَّبِنَةَ الأولى التي ينبغي لطالبِ العلمِ أنْ يهتمَّ بها، وأن يطلعَ على أدلتها الصحيحةِ المستوحاةِ من مصادرها الأساسيةِ ومَعِيْنِها الأوَّلِ، وهو القرآنُ الكريمُ والسنَّةُ الصحيحةُ، فهما مصدرُ عقيدةِ المسلمين، وأصلُ الأحكامِ والتشريعاتِ أيضاً.

ولـمَّا كانت العقيدة الإسلامية في مركز الحقّ الذي لا تشوبه شائبة، كان حرياً بها أن تقوم على أسس من العلمِ اليقيني والاعتقادِ الراسخ، باللهِ تعالى وصفاته وأسمائه، وأنبيائهِ ورسله، واليومِ الآخرِ ومواقفه، وسائر ما جاءَ عن النبي ﷺ من المسائلِ الأخرى المتعلقة باعتقاد المسلم وأخلاقه وسلوكه، وما يتفرعُ عن كل ذلك من فهم واضح وتفسير صحيح للحقائق الإيمانية والكونية.

فالعقيدةُ الإسلامية بأحقيتها وصفاءِ أسسها وسلامة أدلتها تؤثِّرُ في النفس تأثيراً عميقاً، فالمؤمن الذي يستظلُّ في حياتهِ بظلِّ العقيدةِ الإسلامية، يبقى قلبهُ موصولاً باللهِ تعالى بما يتصفُ به من علمٍ مُحيطٍ، وإرادةٍ شَاملةٍ، وقُدرةٍ مُطلقةٍ ونافذةٍ، ورحمةٍ عامةٍ وشاملةٍ، فيحوِّل الإيمانُ ضعفَهُ إلى قوةٍ، وخوفَهُ إلى أمنٍ، وحيرتَهُ إلى سكينةٍ وهدىً.

وقد أفردتُ هذا الكتابَ لدراسة أصول العقيدة الإسلامية، وسميته كتاب(العقيدة

الإسلامية:أصولها–أدلتها– آثارها) وضمَّنْتهُ الكلامَ عن أركانِ الإيمانِ وأدلتها، وآثرتُ فيه الإيجازَ في عرضِ مسائل الإيمانِ، مع التركيز على الأدلةِ ودلالتها الواضحةِ البعيدةِ عن الغموض أو الجدل، وقد اشتملتْ مباحثهُ على المبادئ الأساسيةِ في عقيدةِ المسلمِ مع مقدماتٍ منهجيةٍ وتعريفيةٍ تبينُ منزلةَ العقيدةِ وأثرَها في النفوسِ، ومنهجَ القرآنِ في عرضها، وقد عرضتُ ذلك في مقدمة وثمانية فصول.

أما الفصل الأول فهو مدخل إلى علم العقيدة، تكلَّمتُ فيه عن أهمية العقيدة في الإسلام والحاجة إليها، ونشأة علم العقيدة وأصولها، ومباحث تعريفية عن أسماء علم العقيدة، ومعانيها، وتميّز علم العقيدة عن غيره من الأحكام والتشريعات؛ كونه الأساس والركن الأعظم في بناء الإسلام كله، وإنَّ تحقيق هذا الركن وبناءه على أسس علمية متينة يعدّ شرطاً أولياً، وبداية ضرورية تسبق كل العناصر الأخرى من عبادة وأخلاق ومعاملات ونظم وغيرها، لذلك تتصف العقيدة بأنها إيمانٌ جازمٌ لا يقبلُ الشكَّ أو الرّيبة، وتصديق يقينيٌّ لا يقبلُ الظنَّ، فالعقيدة بهذا اليقين والجزم تختلف من هذه الجهة عن بعض أحكام الشريعة التي يكتفي فيها الشرع بالظنِّ الراجح رفقاً بالمكلَّفين وتيسيراً عليهم، ورفعاً للحرجِ عنهم.

وفي الفصل الثاني تكلَّمتُ عن الركن الأول من أركان الإيمان وأساس الاعتقاد، وهو الإيمان بالله تعالى وصفاته، ومع أنَّ الإيمان بوجود الخالق أمرٌ مستقرٌ في الفطرةِ الإنسانيةِ، إلا النفسَ الإنسانيةَ قد تتعرضُ لأسبابٍ نفسية أو اجتماعيةٍ أو تربوية تصرفها عن الاستجابةِ لمقتضى فطرتها غفلةً أو جهلاً، وهي محتاجةٌ في مثلِ هذه الحالةِ إلى ما يعيدها إلى الإيمانِ الموافق لفطرتها، لذلك فصَّلتُ الكلام في الأدلة القرآنية على الإيمان بوجود الله تعالى؛ وبينتُ أهم سمات الأدلة القرآنية، كونها أدلة تناسب جميع مستويات الناس وتخاطب العقول والقلوب، وتوقظُ النفسَ من سكرتها وتخرجها من غفلتها، إلى جانب أنها لا تكتفي بالتذكير والتنبيه فقط، بل إنَّها تضيف إليه من البراهين والأدلة ما يواجه نزعةَ التمرّد والكفر التي تنساق إليها بعض النفوس جحوداً وكبراً وعلواً، وهي نزعة موجودة عند بعض الناس، وبذلك

يكون الدليل القرآني أوضح الأدلة وأكثرها تأثيراً، ثم ذكرتُ بعض الأدلة التي ذكرها علماء العقيدة للرد على من انحرفت فطرهم وتشوَّهت.

كما تكلَّمتُ في هذا الفصلِ عن الصفاتِ الإلهيةِ وتقسيماتها، وأسماءِ الله تعالى، وآثارِ معرفةِ صفاتِ اللهِ تعالى وأسمائِهِ.

أما الفصلُ الثالث فخصصتهُ لمسائل الصفات المتعلقة بتنزيه الله تعالى، كالصفات السلبية، وما يتعلق بالصفاتِ الفعلية والخبرية، والعلاقة بين صفة الكلام لله تعالى والقول بأنَّ القرآن الكريم مخلوق أو غير مخلوق، والخلاف حول رؤية الله تعالى في الدنيا ووقوعها في الآخرة، ورؤية النَّبي ﷺ لربّه ليلة المعراج، وقد اقتضى البحث في هذ الفصل مناقشة الآراء والأدلة، والرد على المخالفين.

وفي الفصل الرابع تكلَّمتُ عن الإيمانِ بعالم الملائكة وصفاتهم وأعدادهم وأعمالهم ووظائفهم التي كلَّفهم الله تعالى بها، ثم تكلَّمتُ عن الإيمان بعالم الجنّ من خلال تفصيل الحديث عن صفاتهم التي جاءت في الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، وما جاء عن ارتباط هذا العالم الغيبي بعالم الإنسان ومدى تأثيره به.

وفي الفصل الخامس تكلَّمتُ عن ركنين من أركان الإيمان، الأول الإيمانُ بالكتب الإلهية التي أنزلها الله تعالى على رسله، وأوضحتُ فيه حقيقة الإيمان بالكتب الإلهية، وموقف المسلم من الكتب السابقة التي أنزلت على رسل الله تعالى كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، ثم أشرتُ إلى مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتبِ السماوية.

والركن الثاني هو الإيمان بالأنبياء والرسل، فأوضحتُ الفرق بين النبي والرسول، ثم تكلَّمتُ عن وحي الله تعالى لأنبيائه ورسله، وما يرتبط به من تفصيل لأنواع الوحي وحالاته، ثم تكلمتُ عن مباحث متعلقة بالإيمان بالأنبياء والمرسلين، ومن أهمها: حقيقة الإيمان بالأنبياء والرسل ولوازمه والحكمة منه، النبوة ليست اكتساباً بل هي اصطفاء من الله تعالى،

عددُ الرسلِ والأنبياء، صفاتُ الرسلِ، المعجزة وشروطها.

وفي الفصل السادس تناولتُ مبحث الإيمان بالقضاء والقدر، فأوضحتُ معاني القضاء والقدر، وبينت أنواع القدر الإلهي والأدلة عليه من القرآن والسنة، ثم فصلتُ الكلام عن إثبات اختيار الإنسان وإرادته، والعلاقة بين قدرِ الله تعالى وفعلِ الإنسان واختياره، وعلاقة الإيمان بالقدر بموضوع الأخذ بالأسباب، كما تناولتُ بشيء من التوضيح والتفصيل بعض المسائل التي يثيرها المشككون حول القدر، وارتباط الفعل الإلهي بالفعل الإنساني، وأوضحتُ ذلك من خلال شرح معنى العدالة الإلهية وارتباطها بالمحن والابتلاءات، وسنة الابتلاء وارتباطها بالحبّ أو العقوبة الإلهية، وعلاقة الهداية والضلال بقدر الله تعالى.

ورأيتُ من المهمّ تضمين تلك القضايا الردّ على شبهات يثيرها بعض المشككين لزعزعة إيمان المسلم بعدل الله تعالى وحكمته ، ولعلَّ بعض أسباب الإلحاد المعاصر تتسرَّب من هذا الباب من أبواب العقيدة وهو التشكيك بالعدالةِ الإلهية، والاستناد إلى الآلام البشرية والمصائب والمحن؛ فهناك من يسعى جاهداً من خلال عرض نماذج من الابتلاءات والمحن؛ إلى التشكيك بعدالة الله تعالى، فيقف عند صور متنوعة وحالات مختلفة، مثل الآلام والمحن والأزمات والابتلاءات والمصائب التي تصيب الأفراد أو الأمم، فلا يرى فيها–لعجزه عن معرفة سنن الله تعالى وحكمته– إلا ألواناً من الظلم، ونقيضاً للعدل، فتزداد حيرته وتعظم شكوكه، ويبث تلك الشكوك بين الناس، لذلك بسطتُ الكلام حول تلك المسائل استدلالاً ومناقشة.

وفي الفصل السابع تكلَّمتُ عن المسائل الأساسية المرتبطة بالإيمان باليوم الآخر، فأوضحت بالأدلة القطعية حقيقة اليوم الآخر، وأهمية الإيمان به ومنزلته بين أصول الإيمان، ثم تكلَّمتُ عن علاماتِ يوم القيامة، وما جاء عن مراحل عالم البرزخ وأحواله، وفصَّلتُ الكلام عن البعث بعد الموت وأدلته القطعية، وأهمّ مراحل الحياة الآخرة وحوادثها مثل: الحوض والحشر، والشفاعة، والعرض والحساب، والميزان، والصراط، والجنّة والنار.

أمَّا الفصلُ الأخير فقد أفردتهُ لمباحث الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما، فأوضحتُ حقيقة الإيمان من خلال الأدلة، ثم تكلَّمتُ عن زيادة الإيمان ونقصانه، وعن العلاقة بين الإيمان والإسلام .

وحرصتُ -في هذا الكتاب- على تقريبِ عِلْمِ العقيدةِ لطلابِ العلمِ بلغةٍ سهلةٍ واضحةٍ ميسَّرةٍ، دونَ إخلالٍ بموضوعاتِ العلمِ ومسائلهِ واصطلاحاتهِ، وراعيتُ في المقامِ الأولِ أن تقترنَ مسائل العقيدة بأدلتها من كتابِ الله وسنة رسوله ﷺ، بالإضافة إلى الأدلة العقلية الواضحة، وقد اقتضت دراسة بعض المسائل الخلافية القديمة- كمسألة قضية خلق القرآن ورؤية الله تعالى- الخوض في ذكر الشبهات والردّ عليها بما يتناسب مع موضوع الكتاب وقضاياه، دون إسهاب أو تكلّف.

واللهَ أسألُ أن يرزقنا العقيدة الخالصة الموافقة للحقِّ الذي أنزله، والسلوكَ الصالح المطابقَ للدّين الذي ارتضاه لنا، وأن يكون هذا الكتابُ جهداً نافعاً، وعملاً خالصاً لوجه الله تعالى، وأن يشتملَ على زادٍ علمي وافٍ في التعريفِ بأصول العقيدة وأدلتها .

د .إبراهيم أحمد الديبو

ماردين- بتاريخ ٧ جمادى الثاني ١٤٣٩هـ- الموافق ٢٠١٨/٢/٢٢م

الفصل الأول

مدخل إلى علم العقيدة

المطلب الأول: أهمية العقيدة في الإسلام والحاجة إليها

أولاً: أهمية العقيدة في الإسلام

إنَّ من خصائصِ الإسلام أنه يتصفُ بالشمول والعموم، فهو دين شامل كامل لم يترك جانباً من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية إلا وقد نظمهُ تنظيماً دقيقاً شاملاً لكل النواحي.

ومن مظاهر هذا العموم والشمول أنه يتضمن العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات، ويحيط بأصول النظم التي تحتاج إليها المجتمعات الإنسانية، وقد جاءَ الإسلام في بعض الأمور بأحكام مفصَّلة ،كما هو الحال في أحكام العقيدة وكثير من أحكام الشريعة، وجاء في بعضها الآخر بأصول وقواعد كلية، يمكن الاجتهاد على ضوئها فيما لم يذكر الشرع حكمه تفصيلاً أو تأصيلاً، وقد أشار القرآن لهذا المعنى في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِين}**[النحل:٨٩]، وقوله تعالى: **{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}**[يوسف:١١١].

ومعنى ذلك أنَّ العلم بالإسلام والالتزام بقواعده وأصوله الكليّة والرجوع إلى ما جاء به من تفصيلاتٍ وأحكام يضعُ أمامَ المسلمين ثروة كبرى من التشريعاتِ التي تنظم الحياة والمجتمع، وإذا بدا لبعض الناس أنَّ هناك نقصاً أو قصوراً في التشريع؛ فإنَّ ذلك يرجع إلى قصور علم هؤلاء بالإسلام، أو نقص فهمهم له، أو عجزهم عن الاسترشاد بما فيه من قواعد عامة وأصول كلية، وتقصيرهم عما يدعوهم إليه الإسلام من استنباط واجتهاد.

وإذا كانَ الإسلامُ على هذا النحو من الشمولِ والعمومِ والكمالِ؛ فإنَّ العقيدةَ لها

المكانةُ الكبرى والأهميةُ العظمى بين العناصر التي يقوم عليها بناءُ الإسلام، فالعقيدة أشبه بالأساس الذي يقوم عليه البناء، أو هي مثل جذر الشجرة الذي يعدّ أصلاً تتفرع منه سائرُ الأغصان والثمرات، فهي تمثل الركن الأعظم والجوهري في بناء الإسلام كله، وإن تحقيق هذا الركن وبناءه على أسس علمية متينة يعدّ شرطاً أولياً، وبداية ضرورية تسبق كل العناصر الأخرى من عبادة وأخلاق ومعاملات ونظم وغيرها.

ويدلُّ على أهميةِ العقيدةِ عدَّةُ أمور، منها[1]:

١- العقيدةُ في الإسلام هي الأساس الذي تبنى عليه جميع الأحكامُ والنظم الأخلاقية، وهي التي تشكّل الأساسَ الفكري لعقلية المسلم، والأساس النفسي لسلوكه، ومنها تنبثق نظرته إلى الحياة الاقتصادية والحياة السياسية والحياة الاجتماعية، وسببُ ذلك أنَّ العقيدةَ علمٌ يسبقُ العمل؛ وأصل فكري تتفرّع عنه سائرُ الأحكام والنّظم، كما قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ }**[مُحَمَّد:١٩] فأمر بالعلمِ أولاً قبل القولِ والعمل؛ لأنَّ العقيدةَ بالنسبة للعملِ كالأساسِ بالنسبة للبناء.

٢- العقيدة تجيب على التساؤلات الكبرى، التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني؛ بل تحيّره: من أين جئتُ؟، ومن أين جاء هذا الكون؟ مَن الموجد له؟ وما صفاته وأسماؤه؟ ولماذا أوجدنا وأوجد الكون؟ وما دورنا في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا ؟ وما هو مصير الإنسان بعد الموت والحياة التي سيحياها ؟

٣- إنَّ الحديثَ عن العقيدة هو موضوع كثيرٍ من الآيات القرآنية، فلا تكادُ تخلو سورةٌ من سورِ القرآنِ الكريم من العنايةِ بأمرِ العقيدة؛ بل إنَّ الآياتِ التي تتكلَّمُ عن الإيمانِ أكثرُ من الآياتِ التي تتكلَّم عن الأحكامِ الشرعيةِ.

---

(١) راجع: د.عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية، دار الثقافة العربية عام ٢٠٠٠م ، ص ٥٣-٥٥ ، د.عثمان جمعة ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٣١-٣٩، الدكتور: عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، دار النفائس، الأردن، ط١٢ ١٩٩٩م ، ص ١٥.

٤- إذا استقرّت العقيدة في نفوس الناس، أصبحت القلوبُ والعقولُ مهيأة للعمل بأحكام الشريعة وتحمّل تكاليفها، فالاعتقاد هو أساس العمل، وهو مبدأ الالتزام والتكليف، والمسؤولية والجزاء.

٥- إنَّ علم العقيدة من أشرف العلوم وأعظمها، لأنَّ شرف العِلم وعظمته بحسب المعلوم، ولا معلوم أكبر وأشرف مِن ذات الله - تعالى — وصفاته وأفعاله، وهو موضوع علم العقيدة.

٦- إنَّ منهجَ النبي ﷺ في الدعوةِ إلى اللهِ يبرزُ مكانتها ويؤكدُ على أهميتها، فقد ظلَّ ثلاث عشرة سنة من دعوته يوجِّهُ الجانبَ الأعظمَ من اهتمامهِ إلى تقريرِ أصولِ العقيدةِ وتوضيحها وتثبيتها في النفوسِ.

٧- إنَّ الإيمان هو الأساس الأول، والركن الأعظم في الدّين، وكان النبي ﷺ يعلّمُ الدعاةَ الذين كان يبعثُ بهم إلى البلادِ التي تدخل في الإسلام أن يبدأوا بدعوةِ النَّاسِ إلى أصولِ الإيمان أوَّلاً، فإذا قبلوها عرضوا عليهم أحكامَ الإسلام، روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ..)[1].

ثانياً: الحاجةُ للعقيدة

للعقيدة الإسلامية أهمية كبرى ومكانة عظمى في حياة الإنسان، بل هناك حاجة أصيلة في النفس البشرية للعقيدة الصحيحة، وهي حاجة فطرية أولاً، وحاجة علمية ونفسية

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ١١٩/٢، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ٥١/١.

وأخلاقية وفلسفية، كما سنوضح ذلك في جوانب الحاجة للعقيدة [1]:

١- الجانبُ الفطري:

الحاجةُ للعقيدة حاجة فطرية أصيلة تدفع النفس إلى الاستجابة لها دون إحساس بالنفور أو الكراهية، ويظل الأمر على هذا النحو ما دامت النفس على فطرتها الأصلية؛ وهذا معنى قوله تعالى: **{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }**[الروم:٣٠].

فالإنسانُ فُطِرَ مزوَّداً بمجموعةٍ من الغرائز والشهواتِ والدوافع والعواطف، وكلُّها تحتاجُ لمنهج ينظمها ويشبع تطلعاتها دون أن يطغى جانبٌ على جانب وفق توازن يحقق الاستقرار العقلي والنفسي والخلقي، وهذا يبرز الحاجة الفطرية الكامنة في النفس.

والإيمانُ الذي جاءَ به الإسلامُ هو الكفيلُ بتحقيقِ أعظمِ ما ينشُدُه الإنسانُ في حياته، إنها السعادة الخالدة العظمى التي تبدأ بطمأنينة القلب ورضاه، وبالأمل الدائم بالخلود السعيد، وتنتهي بواقع تطبيقي نفسي وجسدي وروحي.

فالعقيدة الصحيحة-ولا توجد إلا في الإسلام- هي التي تحقق التوازن النفسي والجسدي، والدنيوي والأخروي، وهي التي تغطي تطلَّعات النفس وأشواق الروح.

٢- الجانب النفسي:

إنَّ النفسَ المؤمنة تتميزُ بالسكينةِ والطمأنينة النفسيةِ، وهي بعيدةٌ عن القلق والحيرة والإحساس بالشقاءِ، ، فأي إهمال لمطالب النفس يؤدي بها إلى القلق والبؤس وعدم الاتزان،

(١) راجع: د عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية ص ٩٢-١٢٣.

قال تعالى: **{فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء }**[الأنعام:١٢٥].

فالعقيدةَ تؤثر في النفس تأثيراً عميقاً وتُكسِبُ النفسَ مجموعة كبيرة من الخصائص الإيجابية التي تؤثر في نظرتها للحياة وما يقع فيها من أحداث وابتلاءات، فالمؤمن يتسلح بمقتضيات الإيمان والثقة بالله تعالى في مواجهة الابتلاء؛ فلا يقع فريسة للتشاؤم أو اليأس، بل يتصف بالثبات والتوازن مع تغير الأحوال وتقلّب المحن والابتلاءات، وتطمئن نفسه بصلتها بالله تعالى، قال تعالى مبيناً حال المؤمن وعدم وقوعه فريسة للتشاؤم واليأس أو الكبرياء والطغيان: **{لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ }**[الحديد:٢٣] وقال تعالى مبيناً أثر الإيمان في طمأنينة النفس: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب}**[الرعد:٢٨].

٣- الجانب الأخلاقي:

إنَّ العقيدة تدفع المؤمن إلى التخلّق بالأخلاق الحسنة، بل إنَّ من أعظم آثار العقيدة أنَّها تشكل قاعدةَ الالتزام الأخلاقي، ويمكن القول بأنَّ درجة الالتزام الأخلاقي تتناسب مع مكانة العقيدة في نفس المؤمن قوة وضعفاً، قال تعالى موضحاً أنَّ ظهور بعض الأخلاق السيئة بسبب التكذيب بيوم الدِّين وخلوِّ النفسِ من العقيدة : **{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم، وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين}**[الماعون: ١-٣]

وفي الصحيحين يؤكد النبي ﷺ على أثر الإيمان في الأخلاق وحسن المعاملة: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جارَه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصْمُتْ)[(١)]، وفي الصحيحين أيضاً:(آيةُ

(١) رواه البخاري : كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ١١/٨، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ٦٨/١.

المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذبَ، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا أؤتمنَ خانَ)[1].

٤- الجانب العلمي:

إنَّ من الأمورِ المهمة التي تمنحها العقيدة الصحيحة للإنسان أنها تعطيه تفسيراً لوجوده ولوجود الكون من حوله، وهو تفسير يتَّسمُ بالشمولِ للماضي والمستقبل، ولحقيقة المبدأ والمصير.

والعقيدة ترشدُ الإنسانَ إلى الحقائقِ العلميةِ والحِكَمِ والغاياتِ الكبرى التي يعجزُ عقلهُ أن يصلَ إليها، قال تعالى مبيناً حكمةَ الحياةِ والموت: **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}**[الملك:٢] .

فالإنسانُ يعجز في نطاق العلم التجريبي عن تصور بداية الوجود؛ لأنهُ لم يشهده، قال تعالى: {**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**}[الكهف:٥١]، كما يعجز عن تصور نهاية الوجود؛ لأنهُ أمرٌ مستقبلي غيبي ولم يُعطَ من العلم إلا قليلاً، قال تعالى: **{ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا}**[الإسراء:٨٥]، فالإيمانُ يمنح صاحبه علماً بأهمِّ مسائل الحياة والمصير، ويخلِّصه من القلق والحيرة في مسائل الإيمان.

٥- الجانب الفلسفي:

إذا كانَ العلمُ لا يستطيعُ وحدَهُ أن يمنحَ الإنسانَ ما هو محتاجٌ إليهِ من يقين وسكينةٍ ومعرفةٍ شاملةٍ محيطة، فإنَّ الفلسفةَ ليستْ أفضلَ منهُ حالاً في هذا الشأن، فمع جهودِ الفلسفةِ في مجالاتٍ كثيرةٍ إلا أنها اعترفت بعجزها أمام سعةِ الكون وعمقِ معارفهِ وحقائقهِ، واعترفَ الفلاسفةُ بأنَّ هناكَ مجالاتٍ وحقائقَ تعجزُ الفلسفة في الوصول إليها، قال ابن رشد:

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ١٦/١، ومسلم: كتاب الإيمان، باب خصال المنافق ٧٨/١.

أصدق ما قال القوم –الفلاسفة-: "إنَّ للعقول حدَّاً تقف عنده ولا تتعدَّاهُ "[1]، وقد اعترف عدد كبير من الفلاسفة الغربيين والمسلمين بأنَّ هناك مجالات لا يستطيع العقل أن يصلَ إلى حقائقها؛ لأنها فوق إدراكه، فإذا حاول العقل اقتحامَ تلك المجالات؛ فإنه لا يحصل من وراء محاولاته إلا على احتمالات وظنون.

فالعقيدةُ الصحيحةُ وحدها قادرةٌ على منحِ الإنسانِ الهدى واليقين، والسكينةَ والطمأنينةَ، بعيداً عن الاحتمالاتِ والظنونِ التي اتسمتْ بها أكثرُ المباحثِ الفلسفيةِ.

المطلب الثاني: نشأة علم العقيدة وأصولها

أولاً: نشأة علم العقيدة:

علمُ العقيدة هو العلم الذي نشأ لبيان مسائل العقيدة، وإقامة البراهين اليقينية على

(١) راجع: ابن رشد: تهافت التهافت ٥٣٤/٢

صدقها وصحتها، ولكن لم ينشأ في وقت مبكّر، بل نشأ في فترة تدوين العلوم مترافقاً مع نشأة علوم الحديث والفقه والتفسير والأصول، وغيرها من علوم الإسلام ومباحث الدّين.

فمن المعلوم أنَّ القرآنَ بدأ ينزل على قلبِ النبي مُحَمَّد ﷺ وهو في مكة، فكانت الآيات المكية تتوجه أولاً إلى توضيح العقيدة وأصول الأخلاق، بطريقة مباشرة أو في ثنايا القصص القرآني عن الأنبياء السابقين وأممهم، وظلَّ الحالُ على ذلك ثلاث عشرة سنة ، فالقرآن ينزل والنبي ﷺ يبلّغ الناسَ عقائد الإيمان وهداية الإسلام، من أجل انتزاع العقائد الجاهلية ومظاهر الشرك التي كانت شائعة في شبه الجزيرة العربية، ولتثبيت عقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى وصفاته، ولمّا استقرَّت العقيدة في نفوس الناس وأصبحت القلوب والعقول مهيأة للعمل بأحكام الشريعة وتحمّل تكاليفها بدأت تنزل الأحكام والتشريعات، ففرضت الصلاة وحدها بمكة ليلة الإسراء والمعراج، وظلت بعض أحكامها وأنواعها تنتظر هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، حيثُ شرعت الجمعةُ والجماعات، وفرضت الزكاة والصيام والجهاد والحج، وعرف الناس أحكام الحلال والحرام، وأحكام الحدود والقصاص والأسرة وغيرها من الأحكام، وكل ذلك جاء بعد استقرار العقيدة وإحكام بنائها[1]، ويوضح ذلك ما جاء في حديث البخاري عن عائشة ﵂ وهي تبين ترتيب نزول القرآن، والاهتمام بتثبيت الإيمان أولاً قبل نزول الأحكام، قالت: (إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ–أي القرآن– سُورَةٌ مِنَ المفصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نزلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا)[2].

ولم يقتصر الاهتمام بالعقيدة على الفترة المكيّة فقط، بل عندما هاجرَ النبي صلّى اللهُ عليه وسلّم إلى المدينةِ ظلَّ الاهتمامُ بالعقيدة مصاحباً لبيانِ الأحكام الشرعية، وكانَ الاهتمام بها يأتي أحياناً في سياقِ الأحكامِ الشرعيةِ تمهيداً لاستقباله بما ينبغي له من التعظيم

(١) راجع: د.عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية ص ٥٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ١٨٥/٦.

والامتثال؛ لأنهُ تشريعٌ من اللهِ تعالى الذي يعدُّ الإيمان به وبوحدانيتهِ وكمالهِ أصل العقيدة وأساسها.

وقد كانَ من أسبابِ الاهتمامِ بالعقيدةِ في المدينة المنورة أنَّ المسلمينَ التقوا بطوائف من اليهود المقيمين بها، ومن النصارى الذين جاؤوا إليها كنصارى نجران، وكلّ ذلك يقتضي الردّ على أهل الكتاب فيما بدَّلوه من أصولِ عقائدهم، ومناقشتهم فيما أثاروه من شبهاتٍ ومطاعن حول عقائد الإسلام(١).

ومن الأمثلة التي تبرز ردَّ النبي ﷺ على المشركين وأهل الكتاب في مسائل العقيدة، أنه عندما نزل قوله تعالى:**{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}** (الأنبياء:٩٨) ، احتجَّ بعضُ المشركين على النبي ﷺ وقالوا: فنحْنُ نَعْبُدُ الْملاَئِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَقَالَ النبي ﷺ: (كُلُّ مَنْ أحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَتْهُم بِعِبَادَتِهِ)، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: **{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}**(الأنبياء: ١٠١) أَيْ: عِيسَى وَعُزَيْرٌ وَمَنْ عُبدوا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ، الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طاعَةِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ يَعْبُدهمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ(٢)، فهؤلاء لم يرضوا أن يُعبدوا من دون الله تعالى فهم مُبعدون عن النار.

وقد حاورَ النبي ﷺ وفد نجران في مسائل العقيدة وفيهم من يدَّعي أنَّ المسيحَ ابن الإله، وثالث ثلاثة، روى الحاكم في مستدركه عَنْ جَابِرٍ أَنَّ وَفْدَ نَجْرَانَ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ: (هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ..) (٣).

(١) راجع: د. يحيى هاشم فرغل: نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ٢٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/٣٨٠.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/٦٤٩، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

وهكذا كان النبي ﷺ يعلّم العقيدةَ ويدعو الناس إليها، ويجيب عن الشبهات التي يثيرها أهل الكتاب أو المشركون، فكانَ النبي صلَّى الله عليه وسلم المرجعَ الأوحدَ في شؤون العقيدةِ والدّين، ولما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى نشأ خلاف بين المسلمين فيمن يتولَّى الأمر بعده، ثم اجتمع الصحابة على إمامة أبي بكر ﷺ، فكان خليفة المسلمين، ومضت خلافةُ أبي بكر، ومن بعده عمر وعثمان وعلي ﷺ جميعاً، وفي كل ذلك اتفاق بين الصحابة على مسائل العقيدة وقضايا الإيمان، وكانت تظهر بين حين وآخر بعض البدع أو الفرق المخالفة؛ فينبري لها الصحابة رضوان الله عليهم، فلا تعلو فتنة ولا تدوم بدعة.

ولم يكن الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم بحاجة إلى تدوين العلوم في العقيدة والشريعة، فقد كانوا يتلقَّون من النبي ﷺ مباشرة كل ما يتعلق بأمر الدين، وكان الجيل الأول على عقيدة نقية صافية لا يختلفون في شيء من أمور العقيدة؛ رغم ما يقع بينهم من اختلاف في أحكام فرعية تشريعية.

ثم جدَّت بعد ذلك أمور اقتضت تدوينَ مسائل العقيدةِ في علمٍ مستقل، ومن أهمِّ تلك الأمور:

- ظهرتْ بعضُ البدع والانحرافات في مسائل القدر، وظهرت فرق التشيع والخوارج والجبرية والمجسمة والباطنية.

- احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى والمذاهب الفلسفية عن طريق اللقاء المباشر والجدل مع أصحابها أو عن طريق الترجمة[1].

فكل ذلك أسهم في إفراد هذا العلم بكتب خاصة ومباحث مستقلة، وبذلك استقل علم العقيدة عن غيره من العلوم وأطلق عليه العلماء تسميات عدَّة، سنفصل الكلام عنها في هذا الكتاب.

(١) راجع: د.عثمان جمعة ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٤٩-٥٨.

ثانياً: أصول مسائل العقيدة:

بعد أن أوضحنا نشأة علم العقيدة وأسباب إفراد هذا العلم بمؤلفات خاصة، لا بدّ من بيان أصول مسائل العقيدة التي اجتمع عليها المسلمون.

فأصولُ العقيدةِ هي أركانُ الإيمانِ التي جاءتْ في الآياتِ القرآنية والأحاديثِ الصحيحة، وهي ستةٌ: (الإيمانُ بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر)، فهذه أصول الإيمان والاعتقاد عند المسلمين ، ويجبُ التصديقُ القلبيُّ والعقليُّ بِها، ولا يقبلُ إيمان بإنكار أي أصل من تلك الأصول.

وقد جاء التأكيد على تلك الأصولِ في الآياتِ والأحاديثِ الكثيرةِ، قال تعالى مبيناً أصول الإيمان التي آمنَ بها الرسول – ﷺ– والمؤمنون: **{ آمنَ الرسولُ بما أُنزلَ إليهِ من ربهِ والمؤمنون كلٌّ آمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسله }** (البقرة: ٢٨٥) وقال تعالى: **{إنّا كلّ شيءٍ خلقناهُ بِقَدَر}** (القمر: ٤٩)، وقال تعالى داعياً المؤمنين إلى الإيمان بتلك الأصول ومبيناً ضلالَ المنكرين لها والكافرين بها: **{ يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسولهِ والكتابِ الذي نزَّل على رسولهِ والكتابِ الذي أنزلَ من قبلُ ومن يكفرْ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً }**(النساء: ١٣٦)

وفي صحيح مسلم عندما سألَ جبريلُ – عليه السلام– النبيَّ ﷺ عن الإيمان، قال النبي ﷺ: (أن تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ وتؤمنَ بالقدرِ خيرهِ وشرّهِ) [(١)].

فهذهِ أركانُ الإيمانِ الستة، وهي أساس وقاعدةٌ لكلِّ ما يأتي بعدها من فرائضِ الإسلامِ وشرائعه، لذلكَ كان لا بدَّ من التصديقِ بها تصديقاً جازماً لا شكَّ فيه، وإنكارُ أيِّ أصلٍ من تلك الأصولِ يعدُّ كفراً وخروجاً من دائرةِ الإيمانِ.

---

(١) وهو حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان (أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦).

وكلُّ أصلٍ من تلكَ الأصولِ يتضمنُ عدداً من المسائل والقضايا الإيمانية التي تندرجُ تحته[1]، فالإيمانُ بالله تعالى يتضمن الإيمانَ بوجودهِ ووحدانيتهِ وأسمائهِ وصفاتهِ، والإيمانُ بالرسل يتضمن الإيمان والتصديق بنبوة الأنبياء والرسل عامة، وبنبوةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم خاصة وما يتفرع عنها من الإيمان بعمومِ رسالتهِ وختمِ النبوة به، والإيمانَ بما أيَّده الله تعالى به من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه، وهكذا الإيمانُ بالملائكة والكتبِ الإلهيةِ والقدرِ واليوم الآخر.

المطلب الثالث: أسماءُ علم العقيدة

استعملَ القرآن ألفاظاً عدَّة تدلّ على الاعتقاد، منها: الإسلام والدّين والإيمان، قال تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }**[آل عمران:١٩]، وقال تعالى مخاطباً نبيه صلَّى الله عليه وسلم في الردّ على المشركين: **{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}**[الكافرون:٦]، وقد بيّن القرآن أهم الأصول الإيمانية للمسلم، فقال: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ }**[البقرة:٢٨٥].

وهناك تسمياتٌ أخرى أطلقها العلماءُ على مباحثِ الدّين المتعلقةِ بالاعتقاد، ومنها: التوحيد، والسنَّة، والفقه الأكبر، وعلم العقيدة، وأصول الدِّين، وعلم الكلام، وما مِن اسمٍ

(١) راجع: د.عبد الرحمن حبنكه: العقيدة الإسلامية ص ٦٨.

مِن هذه الأسماء إلا ونجد من استعمله من الأئمة أو ألَّف فيه كتاباً أو أكثر، كما سنوضح ذلك من خلال الكلام عن تلك التسميات:

١- السنَّة:

إنَّ مصطلح السنَّة له عدَّة دلالاتٍ تختلف بين الفقهاءِ والأصوليينَ والمحدِّثين، بالإضافة إلى وجود معنى عام يشتمل على كل ما كان عليه الرسول - ﷺ - وخلفاؤه الراشدون، مِن الاعتقادات والأعمال والأقوال.

كما أُطلق لفظ السنَّة على العقيدة الصحيحة تمييزاً لها عن البدع[١]، لأنَّ العقيدة الصحيحة مُستمَدة مِن سنة النبي - ﷺ - التي هي مُبيِّنة للقرآن.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم السنَّة :كتاب" السنَّة"؛ للإمام أحمد بن حنبل ، وكتاب" السنَّة"؛ لأبي بكر المروَزي.

٢- أصول الدين:

الأصل في اللغة هو ما يقوم عليه غيره، وقد أُطلِق على مباحث العقيدة اسم أصول الدِّين؛ لأنَّ أصول الدِّين هي ما يقوم الدِّين عليها، وتُعتبَر أصلاً له.

فالإسلام يقوم على عقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى ورسله؛ فسائر أمور الدِّين كلها تُبنى على العقيدة، فالمراد بهذا اللفظ هنا أصول الدِّين المشتملة على العقيدة والقطعيات والمسائل الكُبرى التي تَحكم قواعد الشرع.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم أصول الدِّين، "الإبانة عن أصول الديانة"؛ للإمام أبي الحسن الأشعري، و"الشرح والإبانة عن أصول السنَّة والديانة"؛ لابن بطة العكبري، و"أصول الدين" للبغدادي.

٣- الفقه الأكبر:

---

(١) راجع: د.عثمان جمعة ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٩٤.

أُطلقَ على العقيدةِ أيضاً اسم" الفقه الأكبر"؛ لأنَّ العقيدةَ هي أصلُ الدِّين والفقه الأكبر فيه، ويقابل الفقه الأكبر في ذلك الفقه العمَلي الذي يُسمَّى" الفقه الأصغر " أي: هو يتفرعُ عن أصلٍ كبير.

وسببُ إطلاقِ الأكبر عليه؛ لأنَّ شرفَ العِلمِ وعظمته بحسب المعلوم، ولا معلوم أكبر وأشرف مِن ذات الله – تعالى – وصفاته، وهو ما يبحثُ فيه هذا العِلم؛ لذلك سُمي الفقه الأكبر.

ويعدُّ الإمام أبو حنيفة أولَ من أطلق هذا الاسم على علم العقيدة ومسائلها[1]، وينسبُ له كتاب باسم (الفقه الأكبر) وذكر فيه أنَّ الفقه في الدّين أفضل من الفقه في العلم، لأنَّ الفقه في الدّين أصل، والفقه في العلم فرع، وفضلُ الأصل على الفرع معلوم.

٤– التوحيد:

أُطلِقَ على العقيدةِ اسمُ التوحيد؛ مِن بابِ تسميةِ الشيءِ بأشرفِ أجزائه؛ لأنَّ توحيدَ الله – عزَّ وجل – هو أشرفُ مباحِثِ عِلم العقيدة، أمَّا المباحثُ الأُخرى مِن إيمانٍ بالملائكة، والكتُبِ، والرسُل، واليوم الآخِر، والقضاء والقدرِ، ومباحث الإمامة، والصحابة، وغيرها، فهي تعتمد عليه، وتستند إليه؛ إذ هو أساسها وجوهرها، فهي تدخل فيه بالاستِلزام.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم التوحيد: " كتاب التوحيد" لابن خزيمة، و"كتاب التوحيد" لابن منده.

٥– الإيمان:

إنَّ كلمة الإيمان ومُشتقاتها مِن أكثر الكلماتِ استعمالاً في القرآن الكريم والسنَّة النبوية، وقد تطلق بمعنى عام يشتمل على كل ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله من قول أو فعل أو اعتقاد، وقد تطلق بمعنى خاص يدلّ على مسائل الاعتقاد فقط، وبهذا المعنى الخاص

(١) راجع: د.عثمان جمعة ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٧٨.

تكون كلمة الإيمان مرادفة لكلمة العقيدة، وتعني التصديق الجازم بالعقائد الواردة في القرآن والسنَّة.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم الإيمان:" كتاب الإيمان" لابن أبي شيبة، و"كتاب الإيمان" لأبي عُبَيد القاسم بن سلام.

6-عِلم الكلام:

سمِّي العلمُ الذي يبحثُ في العقائد بالأدلة العقلية والردّ على المخالفين علمَ الكلام، وقد عرَّفه عضدُ الدِّين الإيجي بقوله: " والكلامُ: علمٌ يُقتدرُ معهُ إثباتُ العقائد الدينية بإيرادِ الحُجج ودفعِ الشُّبَه" [1]، وأسمى كتابَهُ " المواقف في علم الكلام".

وقيل إنَّ سببَ تسميتهِ بعلمِ الكلامِ؛ لأنّ أهمَّ مسألةٍ وقعَ الخلافُ فيها واشتدَّ النزاعُ حولها في القرون الأولى كانتْ مسألةَ كلامِ الله تعالى، هل هوَ أزليٌّ قائم بذات الله تعالى أم هو مخلوق حادث؟ وقيل: لأنَّ العلماء كانوا يفتتحون مسائلهُ بقولهمْ الكلام في كذا، وكذا... وقيل: سمي بعلم الكلام؛ لأنَّ أصحابه المتكلّمينَ تكلَّموا في مسائلَ سكتَ عنها المتقدِّمون من الصحابة والتابعين، فالكلام هنا ضد السكوت....وقيل غير ذلك[2].

هذه أهمّ التسمياتِ التي أطلقتْ على مسائل الاعتقاد وقضايا الإيمان، إلا أنَّ إطلاقَ اسمِ العقيدة عَلماً واصطلاحاً على مسائله وقضاياه كانَ من أكثرِ المصطلحاتِ انتشاراً لدى علماء ومدارس كثيرة من أهل السنة، ولعلّي أستطيع إجمال أسباب ذلك في ثلاثة:

- الدلالة الواضحة للفظ العقيدة على معاني اليقين والجزم، وعلى مسائل الدّين المرتبطة بالاعتقاد.

- الابتعاد عن تسمية هذا العلم بعلم الكلام الذي نالَ قسطاً وافراً من النقد،

(١) عضد الدين الإيجي: المواقف ١/٣٤- ٣٥، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ ، مطبعة السعادة بمصر.

(٢) راجع: د.عبد المقصود عبد الغني: في علم الكلام (مذاهب وقضايا) ص ٧ .

وتعدَّدت أسبابُ هذا النقد وامتدَّت إلى منهجه وأدلته ومستوى اليقين الذي يثمره.

– التوسُّعُ الموجودُ في المصطلحاتِ الأخرى مثل الإيمانِ والسنَّة، فهي تدل على مسائل الدّين ومن ضمنها العقيدة، بخلاف مصطلحِ العقيدة الذي يختصُّ بمسائلِ الاعتقاد.

لذلك اخترتُ تسميةَ هذا الكتاب باسم " العقيدة الإسلامية".

المطلب الرابع: معاني العقيدة في اللُّغة والاصطلاح

بدايةً لا بدَّ من التعريفِ بلفظِ العقيدةِ واستعمالاتهِ وما يشتملُ عليه من خلال دراسة معناه اللغوي والاصطلاحي، ومن ثمَّ الكشف عن الارتباط بينهما.

أولاً: العقيدة لغةً:

١–كلمةُ " عقد": من حيثُ الاشتقاقُ ترجعُ إلى معنيين أساسيين:

أ– الدلالة الحسيّة: المعنى الحسّي الخالص هو الأصل في اشتقاق الكلمة، مثل عقدَ العسلُ والرُّبُّ والسائلُ ونحوهما، بمعنى: اشتدَّ وجمدَ وغلُظ، وعقدَ الحبْلَ إذا شدَّه،[١] ويقال: اعتقد الدرّ والخرز، أي: اتخذ منه عِقداً، ومن ذلك يسمَّى الخيط الذي ينظم فيه خرزات بالمعقاد.

(١) الفراهيدي، العين، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ج٣، ١٩٦. الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، د.ت، ج١، ص ١٩٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م،باب عقد ، ج٢، ص ٥١٠.

ب– الدلالة المعنوية: مثل: اعتقد كذا بقلبه، واعتقد بينهما الإخاء إذا صدقَ وثبتَ، ومن ذلك عقدُ البيعِ والشراءِ والنكاحِ، وهو اتفاق وتراضي بين طرفين أو أكثر، والمعاقدة هي المعاهدة والميثاق والأيمان[1].

فالأصلُ في الكلمةِ هو المعنى المادي الحسّي، لأنَّ أصلَ العَقْد نقيضُ الحلّ، فاستعمل أولاً في الأمور المادية ثم استعمل بعد ذلك وشاع في جميع أنواع العقود في البيوعات والنكاح والأيمان والمعاهدات وغيرها، وهو يدلُّ على القوةِ والصلابةِ والشدَّةِ والتوكيد، قال ابن فارس: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شَدّ وشدَّةِ وثوقٍ، وإليه ترجعُ فروع الباب[2].

ونخلصُ من ذلك إلى أنَّ الجامع المشترك لسائر استعمالاتِ الكلمةِ واشتقاقاتِهَا يدلُّ على الرَّبطِ، والإبرامِ، والثباتِ، والإحكامِ، والتوثُّقِ، والشَدّ بقوةٍ، والتماسُكِ، واليقينِ والجزم.

٢–كلمة "العقيدة": معروفة المعنى والصيغة، فهي كلمة وثيقة الصلة بمادة (عقد) من حيث وزنُها ومعناها، فهي على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، كقتيلة بمعنى: مقتولة، وفريضة بمعنى: مفروضة، وطبيعة بمعنى: مطبوعة، فهنا عقيدة بمعنى شيء معتقَد؛ فصارت الكلمةُ تستعمل لما يَدِينُ الإنسانُ به، وما استقرَّ في قلبه وانطبعَ وانعقدَ عليه فلا يتحول عنه، وهو المعنى الذي شاعَ استعمالهُ بينَ علماء العقيدةِ للتعبيرِ عن علمهم، وما يشتملُ عليه من مباحثِ أصولِ الدّينِ.

ثانياً: العقيدة اصطلاحاً:

للعقيدةِ في اصطلاح العلماء معنيان، معنى عام يشمَل كلّ اعتقاد، وهو يعني اليقين الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شكٌّ لدى معتقده، سواء أكان هذا الاعتقاد حقًّا أم باطلاً، ومعنىً خاصٌ يَشملُ العقيدةَ الإسلامية فقط، وهو موضوع الكتاب.

---

(١) الأزهري: تهذيب اللغة، ج١، ص ١٩٦–١٩٨.، ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى، ج٣،ص ٢٩٦.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، باب عقد، ج٤، ص ٨٦.

١- المعنى العام: المعنى العامُ للعقيدةِ مرتبطٌ بتوسعِ معناها اللغوي ليشتملَ على كل ما هو صالح أو باطل من العقائد، فالجزمُ والحزم والشدّة المرافقة للاعتقاد لا تقتصر على العقائد الصحيحة، بل هناك أفكار واعتقادات باطلة تؤثر في نفس معتقدها وتوجّه سلوكه، وهي اعتقادات تتعارض مع العقل الرشيد والمنطق السليم وما جاء به الوحي عن الله تعالى ورسله، ولكنها توصفُ مع ذلك - عند أصحابها- بأنها عقائد؛ لأنَّ من يؤمن بها ويذعنُ لها ويتخذها مصدراً لأفكاره ومرجعاً لأحكامه لا يراعي رأي الآخرين فيها ومدى موافقتها للوحي، وقد جاءت الإشارة لذلك عندما وصف القرآن بعض الناس بأنَّهم: **{ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ }**[النساء:٥١] كما وصف أناساً آخرين بأنهم يؤمنون بالباطل، فقال تعالى:**{ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**[العنكبوت:٥٢].

فلفظ العقيدة مستعمل في الدلالة على سائر الاعتقادات، فيُقال: عقيدة وثنية أو مسيحية أو يهودية، كما يقال: كان فلان يعتقد بتناسخ الأرواح، ويقال: كان (قورش) وثنيّ العقيدة، وكان (بولس) يعتقد باليهودية ثم اعتنقَ العقيدةَ المسيحيةَ.

٢- المعنى الخاص: يُراد بالعقيدةِ بالمعنى الخاصِ العقيدةُ الإسلاميةُ التي جاء بها الوحيُ، وهي عقيدة المسلم المتضمنة لأصول الإيمان، ويمكن أن نذكر تعريفين لها:

الأول: العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله تعالى وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخِر، والقدر خيره وشرّه، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وقطعيات الإسلام مما هو مُندرِج في أصول الاعتقاد وثوابته[١].

الثاني: العقيدة الإسلامية: ما يجبُ التصديقُ العقليُّ والقلبيُّ به تصديقاً يقينياً جازماً ولا يصحُّ الإسلامُ ولا يقبلُ إلا بهِ، ويشتملُ على أركانِ الإيمان الستَّة وهي: الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

---

(١) عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية ص ١٢-١٣.

فهناك تقاربٌ بين التعريفين؛ لأنَّ العقيدة هي أصول الدِّين التي لا يصحُّ الإسلامُ إلا بها، وهي متضمنة في الأصول الستَّة، وكلُّ أصل من تلك الأصول له مسائل عقدية تتفرع عنه، فأيّ مسألة اعتقادية ترجع إلى أحد هذه الأصول ولا تتعدَّاها.

ثالثاً: الارتباط بين المعنى اللُّغوي والمعنى الشرعي لكلمةِ العقيدة:

يشتق لفظُ العقيدة كما تقدّم من مادة "عقد" التي تدور جميع معانيها الحسية والمعنوية حول الإحكام والشَّدِّ، فيقال: عَقَدتُ الحبل: إذا رَبطْته بشدة، وعقدت العقد والعهد والأيمان إذا وثقتها وأكدتها، قال تعالى: **{ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ }** [المائدة: ٨٩]، وقد ذكرَ العلماءُ في تفسيرِ قوله تعالى:(**بما عقّدتم الأيمان**) ذلك الجامع المشترك بين العقود والاعتقادات جميعاً، فقال الطبري: بمعنى: وكّدتم الأيمانَ ورَدَّدتموها[١] ، وقال الشوكاني في تفسير الآية: "فاليمين المعقدة من عقد القلب ليفعلنّ أو لا يفعلنّ في المستقبل، أي ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقدة الموثقة بالقصد والنية"[٢].

ونلحظُ معنى الشدّ والتمكنِ في لفظِ العقيدةِ من خلالِ ما جاء في حديث مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليلٌ طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة، فإن توضأ انحلَّت عقدة، فإن صلَّى انحلَّت عقدة، فأصبح نشيطاً طيبَ النفس، وإلا أصبحَ خبيثَ النفس كسلان) [٣]، فمعنى يعقد يربط، فالربط المحكم الشديد هو من دلالة الكلمة، وهو موجود في عقد الخيط والحبل، وعقد القلب والفكر، فمعاني التوثيق والتأكيد ترافق اعتقاد المسلم بعقيدته وأصول دينه.

---

(١) الطبري: جامع البيان ، المحقق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م، ج١٠، ص ٥٢٤.

(٢) الشوكاني: فتح القدير، دار الفكر- بيروت ج٢، ص ٧١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ماروي فيمن نام الليل أجمع ٥٣٨/١.

فالارتباطُ بين المعنيين اللغوي والشرعي واضحٌ في بنيةِ الكلمةِ وسائرِ تصريفاتها، فكأنَّ المعتقِد قد جمع أطرافَ قلبه، وعقَد ضميره على مُعتقَدِه، فأحكم وثاقَه بالأدلة القاطِعة والبراهين الواضحة، لذلك سُمِّيَت العقيدةُ عقيدةً.

المطلب الخامس: صفةُ الاعتقاد ودرجة العلم فيه

العقيدة الإسلامية توقيفية ربانية موحى بها من عند الله تعالى فلا تستمدُّ أصولها من غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذا يميزها عن غيرها من المعتقدات التي تنشئها المشاعر والأخيلة والتصورات البشرية[١]، لذلك تبنى عقيدة المسلم على الأدلة القطعية من القرآن والسنَّة، كما يؤيدها العقل السليم، وبذلك تبلغُ عندَ صاحبها درجةَ اليقينِ التامِّ وهو ما يعرفُ بالعلمِ الجازم، أي علمٌ ليس فيه شكٌّ ولا ظنٌّ،كما سنوضح ذلك:

أولاً: العقيدةُ إيمانٌ جازمٌ لا يقبلُ الشكَّ أو الرّيبةَ:

أصولُ الاعتقادِ لدى المسلمِ قضايا لا يتطرقُ لها شكٌّ ولا تقبَل االريبةَ؛ لرسوخها التامّ وثبوتها الجازم في القلب[٢]، فالشكُّ يتعارضُ مع ما يجبُ أن تتصفَ به العقيدةُ من ثباتٍ ورسوخ ويقين، ومن ثمَّ لا يقبل أن يكون أي أصل من أصول الإيمان لدى المسلم موضع شك، لأنَّ في ذلك هدماً للإيمان من أساسه؛ فإذا انهدم الأساسُ انهدمَ بعده كلُّ شيء، وقد ذكرَ القرآنُ قولَ الرسلِ لأقوامهم الذين كفروا برسالاتهم ورفعوا رايةَ الشكّ في وجوههم،

(١) راجع: د.عثمان جمعة ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٣٨٣.

(٢) أبو جيب (سعدي أبو جيب): القاموس الفقهي، دار الفكر- دمشق ، الطبعة الثانية عام ١٩٨٨م " مادة عقد، ص ٢٥٦.

فأجابوهم بأنَّ قضيةَ الإيمان باللهِ لا تقبلُ الشكَّ ولا يتطرقُ إليها ريب، قال تعالى: **{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى }**[إبراهيم:١٠] فالشكُّ لا يجتمعُ مع العقيدةِ، بل هو مدخلٌ للضلالِ، ونسبَ القرآنُ التردّد والريبَ لغير المؤمنين، فقال تعالى: **{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُون}**[التوبة:٤٥]. كما إنّ قول النصارى بأنّ المسيح عليه السلام قتلَ وصلبَ ضلال عن الحق؛ وسبب ذلك اعتمادهم على الشكّ وعدم توفر اليقين، قال تعالى: **{ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ}**[النساء:١٥٧].

فالعقيدةُ تبلغُ عندَ صاحبها درجةً من الجزمِ واليقينِ لا يمكنُ أن يكونَ معها تردّدٌ أو ريبٌ في صحتها وصدقها، ولها من القبولِ والتعظيم في نفسهِ ما يدفعهُ إلى الإذعانِ لها والتأثرِ بها في سلوكهِ وفكرهِ والالتزامِ بمقتضياتها وأحكامها في حياته ومواقفهِ؛ بحيثُ يقبلُ ما يتوافقُ معها ويرفضُ ما لا ينسجمُ معها أو يخالفها، وربما يصلُ تأثيرها في نفسهِ إلى درجةِ التضحيةِ في سبيلها بمالهِ ونفسهِ، قال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}**[الحُجُرات:١٥]، فاشترط في صدْق إيمانهم بالله ورسوله كونَهم لم يَرتابوا، أي: لم يشكُّوا، وقال النبي – ﷺ –: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يَلقى اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما، إلا دخل الجنة)[(١)] .

فمسائلُ العقيدةِ عند المسلمِ هي الأساسُ الذي تبنى عليهِ جميعُ أعمالهِ ومواقفهِ، لأنها ثوابتُ ومسلَّمات، وتشتملُ على قطعياتِ الدّين وأصوله.

ثانياً: العقيدةُ إيمانٌ يقينيٌّ لا يقبلُ الظنَّ:

(١) رواه مسلم في صحيحِه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ١/٥٥.

تتصفُ العقيدةُ باليقينِ الذي لا يخالطهُ ظنٌّ ، فالعقيدةُ التي لا تقبلُ التردُّدَ والريبَ لا تقبلُ الظنّ أيضاً، لأنهُ لا يتلاءمُ ولا يتفق مع اليقين الواجب توفره في عقيدة المسلم، وهو المعنى الذي أشارت إليه كثيرٌ من الآياتِ القرآنيةِ حين جعلتِ الظنَّ سبباً من أسبابِ الضلالِ والانحرافِ عن السبيلِ، ويخالفُ الهدى والعلمَ الجازم، ومنْ أمثلة ذلك:

-جعلَ القرآنُ الكريمُ الظنَّ في مقابلةِ الهدى الذي جاء به الله تعالى، قال تعالى عن الكافرين: **{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى}**[النجم:٢٣].

-وجعل القرآنُ الكريم الظنَّ مقابلاً للعلم الجازم واليقين التام الذي ينبغي أن يكون عليه صاحب الإيمان، وبيَّن القرآن سببَ ضلال النصارى في زعمهم قتل المسيح وصلبه، وذلك بالاعتماد على الظن وترك اليقين، فقال: { **مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**}[النساء:١٥٧] وقال تعالى في حق المشركين:**{ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُون}**[الأنعام:١٤٨].

-أوضح القرآن أنَّ ضلال أكثر من في الأرض بسبب اتباعهم الظن، وبعدهم عن سبيل الله الواضح بأدلة القطع واليقين: **{وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون}**[الأنعام:١١٦].

-وقال تعالى مبيناً أنَّ الظنَّ لا يوصلُ للحق: **{وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}**[النجم:٢٨] وفي حديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(إياكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ)[(١)].

فالعقيدةُ عند المسلم يقينٌ لا ظنَّ فيه، وإذا كانت العقيدةُ على هذا النحو من اليقين والجزم فإنها تختلف من هذه الجهة عن بعض أحكام الشريعة التي يكتفي فيها الشرع بالظنِّ الراجح رفقاً بالمكلَّفين وتيسيراً عليهم، ورفعاً للحرجِ عنهم، قال تعالى: **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي**

(١) أخرجه البخاري : كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ١٩/٨، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ١٩٨٥/٤.

الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[الحج:٧٨].

الفصل الثاني: الإيمان بالله تعالى وصفاته

تمهيد:

الإيمانُ باللهِ تعالى أمرٌ مستقرٌ في الفطرةِ الإنسانيةِ، ولكن النفسَ الإنسانيةَ قد تتعرضُ لأسبابٍ نفسية أو اجتماعيةٍ أو تربوية تصرفها عن الاستجابةِ لمقتضى فطرتها غفلةً أو جهلاً، وهي محتاجةٌ في مثلِ هذه الحالةِ إلى ما يعيدها إلى الإيمانِ الموافق لفطرتها، ويكفي في بعضِ الأحيانِ أن نضعَ أمامها ما يذكّرها بخالقها وخالقِ الوجودِ من حولها من خلال الآياتِ القرآنية، وذلك يوقظُ النفسَ من سكرتها ويخرجها من غفلتها، ولا تكتفي الأدلة القرآنية وهي تتكلَّم عن الله تعالى وصفاته بالتذكير والتنبيه، بل إنَّها تضيف إليه من البراهين والأدلة ما يواجه نزعةَ التمرد والكفر التي تنساق إليها بعض النفوس جحوداً وكبراً وعلواً وهي نزعة موجودة عند بعض الناس.

فالإيمانُ باللهِ تَعالى وصفاتهِ هو الأصل الأول من أصول الإيمان، والمبحث الأساس في كتب العقيدة، ويتضمن الإيمان بالله تعالى وأسمائه، وبكل الصفات التي وصفَ اللهُ تعالى بها نفسهُ، وما وصفهُ بهِ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، مع تنزيهِ اللهِ تعالى عن كلِّ ما لا يليقُ بهِ من صفاتِ النقصِ والعجزِ، أو صفاتِ الحوادثِ والأجسام، والأصلُ الجامع لكل ذلك ما جاء في قوله تعالى: **{ ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ}**(الشورى: ١١) فالآيةُ أشارت إلى أصلينِ من أصولِ الإيمان والتصديقِ بصفاتِ اللهِ تعالى.

الأول: نفي وتنزيه، أي: تنفي عن الله تعالى ما لا يليق بكماله وجماله وجلاله.

الثاني: إثبات، أي: تثبت له صفاتِ الكمالِ والجمالِ والجلالِ التي تليقُ بألوهيتهِ وربوبيتهِ.

وسأتناولُ في هذا الفصل والذي بعدهُ كل ما يتعلَّق بالله تعالى وصفاته.

المطلب الأول: تقسيم الصفات الإلهية

جمع العلماء صفات الله تعالى المتضمنة للتنزيه والإثبات في عدَّة أقسامٍ، وهي:

١- الصِّفةُ النفسيَّةُ: وهي صفةٌ واحدةٌ "الوجودُ" ، وتدلُّ على ذاتِ اللهِ تعالى، أي: على نَفْسهِ دونَ معنى آخر ؛ لذلكَ تسمَّى بالنفسيَّة.

٢-الصفاتُ السلبيةُ: وهي صفاتُ التنزيه، التي تتضمنُ سلبَ معانٍ لا تليقُ بالله تعالى وهي خمسُ صفات: (الوحدانيةُ، والقِدَمُ، والبقاءُ، ومخالفةُ الحوادث، والقيامُ بالنَّفْسِ).

٣- صفات المعاني: وتسمَّى بالذاتية أيضاً، وهي: (القدرةُ، والإرادةُ، والعلمُ، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام).

٤-الصفات المعنوية: وهي : (القادرُ، والعالم، والحي، والسميعُ، والبصير، والمتكلم، والمريد) . وسميت بالمعنوية؛ لأنَّ الاتصافَ بها فرع عن الاتصاف بصفات المعاني، فصفةُ العلم لله تعالى يتفرعُ عنها صفةُ كونه عالماً، وصفةُ القدرةِ يتفرعُ عنها كونهُ قادراً ، وهكذا.

٥-الصفاتُ الفعلية: وهي مشتقَّةٌ من أفعاله - تعالى - كالخالق، والرازقِ، والمحيي، والمميت [١]، وقد عرّفها الجرجاني بأنَّها:" ما يجوزُ أن يوصفَ الله بضدّه كالرضا والرحمةِ والسخط والغضب ونحوها " [٢] .

٦-الصفاتُ الخبرية: وهي الصفاتُ التي لم تثبتْ بالعقلِ، ولكنها ثبتت بالشرع أو النقل،

---

(١) راجع : البيهقي الاعتقاد : ص ٣١.

(٢) راجع الجرجاني : التعريفات ص ١٧٥ .

كوصفِ اللهِ تعالى بأنّ لهُ يداً أو وجهاً أو عيناً، وهي كثيرة، واختلف العلماء في فهم المراد منها.

المطلب الثاني: وجود الله تعالى (الصفة النفسية)

إنَّ معرفةَ اللهِ تعالى هي الأصلُ الذي تُبنى عليهِ العقيدةُ الإسلاميةُ، وأساسُ المعرفةِ الإيمانُ بوجودهِ تعالى، فيجبُ اعتقادُ أنهُ تعالى موجودٌ في الأزلِ، أي: لا ابتداءَ لوجودِهِ، لأنَّ وجوده تعالى ذاتي، ولا يمكنُ أن تكونَ هذه العقيدةُ موضع شكٍّ أو ريبٍ، قال تعالى: **{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }**[إبراهيم:١٠] وقال تعالى: **{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}**[الحديد:٣] .

فالأولُ يعني أنَّ وجودهُ تعالى كانَ قبلَ وجودِ أيّ شيء، وأنَّ وجودهُ لا ابتداءَ له، روى البخاريُّ في الصحيحِ عن عمرانَ بنِ الحُصينِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جاءَه قومٌ من أهلِ اليمنِ فقالوا: يا رسولَ الله جئناك لنَتَفَقَّهَ في الدينِ، ولنسألَكَ عن بدءِ هذا الأمرِ ما كانَ، وفي لفظٍ: (عن أولِ هذا الأمر)، قال: (كانَ اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُهُ، وكان عرشُهُ على الماءِ، وكتَبَ في الذّكرِ كُلَّ شيءٍ) [(١)]. فأهلُ اليمنِ سألوا النبي ﷺ عن أولِ العالَمِ، فأجابَهُم النبي ﷺ بما هو أهَمُّ من ذلِك وهو قولهُ:(كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُهُ)، أي: أنّ الله تعالى موجودٌ في الأزلِ لا ابتداءَ لوجودِهِ ، ولم يكن في الأزلِ معهُ شيءٌ، أي: لم يكن هناكَ زمانٌ ولا مكانٌ ولا أجرامٌ ولا أشخاصٌ.

ولتوضيحِ صفةِ الوجود للهِ تعالى لا بدَّ من بيانِ أنَّ الوجودَ قسمانِ:

الأول: وجودٌ ذاتيٌّ كاملٌ مطلقٌ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) ٤/١٠٥.

وهو وجودُ الله تعالى، فوجودهُ من ذاته المتصفةِ بالكمالِ وليس لهُ بدايةٌ أو نهايةٌ، وكلّ الأشياءِ تستندُ إليهِ في خلقها وتكوينها ودوامها.

الثاني: وجودٌ تبعيٌّ نسبيٌّ ناقصٌ:

وهو وجودُ كلّ المخلوقاتِ، فوجودها من غيرها، أي: من الله تعالى، وليس من نفسها، فهي لها بدايةٌ ولها نهايةٌ وتستندُ إلى من يوجدها.

فوجود الله تعالى وجود كامل مطلق، ووجوده من نفسه لا من غيره، ذلك أن كلَّ المخلوقات تستند في وجودها إلى وجود الخالق تعالى.

وقد أفرد العلماء كتباً كثيرة في الاستدلال على وجود الخالق تعالى، وتنوعت مناهجهم وطرق استدلالهم، إلا أنَّ أوضح الأدلةِ جاءتِ الإشارة إليها في الآيات القرآنية. لذلك سأتكلَّم عن سماتِ الأدلة القرآنية وتميزها عن غيرها من الأدلة ، ومن ثمَّ أبسطُ الكلام حول الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى، وأدلة علماء العقيدة.

المطلب الثالث: سماتُ الأدلةِ القرآنية

المصدرُ الأولُ للعقيدة الإسلامية هو القرآنُ الكريم الذي تضمَّنَ أصولَ الأدلةِ الإيمانية، وقد ألَّفَ العلماءُ كتباً كثيرة في أدلةِ الإيمان، والتصديق بوجود الخالق سبحانه وتعالى، منها: أدلة كلامية وفلسفية وعلمية، وتختلفُ تلكَ الأدلةُ في صياغتها وأثرها، وقد غلبتْ على بعضها النزعةُ العقليةُ المعقدةُ التي لا تناسبُ جميعَ الناسِ، أمَّا الأدلةُ القرآنيةُ فلها سماتٌ تجعلها توافقُ جميعَ الناسِ على اختلافِ بيئاتهم وتنوعِ ثقافاتهم.

ونذكر هنا أهم سماتِ الأدلة القرآنية:

١- تخاطبُ العقلَ والقلبَ:

إنَّ الأدلة القرآنية تخاطب الكينونة الإنسانية بكل جوانبها، وبكل أشواقها وبكل حاجاتها واتجاهاتها[١]، فقد نقرأُ -في غير القرآن- دليلاً عقلياً لا نجدُ فيه أيَّ متعة قلبية أو أي لطيفة روحية، وفي مقابل ذلك قد نقرأ أدلة عاطفية لا تشتملُ على أي ومضةٍ عقلية أو لمحةٍ فكرية، ولكن عندما نتأملُ بالدليلِ القرآني نجدُ أنهُ يجمعُ بين سِمَتَين أساسيتين، فيتكلَّم عن أهم قضايا الإيمان والاعتقاد بأساليب يصبغها بالمعاني القلبية والبراهين العقلية، وفي ذلك غاية الجمال وأعظم التأثير، ونذكر بعض الأمثلة على ذلك:

-قال تعالى: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}** [آل عمران:٢٦] فهذه الآية تشتمل على قضايا مهمة في عقيدة المسلم، وقد جاءت بأسلوبٍ فيه مناجاةٌ للهِ تعالى، وفيها دلالاتٌ باهرةٌ على صفاتِ الله تعالى وكمالِ قدرتِهِ.

- قال تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**

(١) راجع: د.عثمان جمعة ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٣٨٩.

فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}[البقرة:١٨٦]، وهذه الآية أيضاً تخاطبُ عقل الإنسان وروحه ونفسه وقلبه بما يشعره بقربِ اللهِ تعالى منهُ.

٢- سهلة ويقينية:

إنَّ من أهم ما يميزُ الأدلة القرآنيةَ أنها سهلةُ الفهمِ، لا تشتملُ صياغتها على التعقيدِ، وبذلكَ تعلو على غيرها من الأدلةِ، ويبلغُ أثرها في النفس ما لا يبلغهُ دليلٌ آخر، كما أنها أدلة قطعيةٌ في دلالاتها، قال ابن رشد: (إنَّ الطرق الشرعية إذا تُؤمّلتْ وجدتْ في الأكثر جمعت بين وصفين: أحدهما أن تكون يقينية، والثاني أن تكون بسيطة غير مركّبة، أعني: قليلة المقدماتِ، فتكون نتائجها قريبةً من المقدماتِ الأُوَلِ) (١).

وقد عبّر الوليد بن المغيرة —مع عدائه للإسلام –عن تأثير القرآن وحسن أسلوبه وعلو حجته حين سمعه من النبي ﷺ، روى الحاكم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّه رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ وأصحابه فعاتبوه، بذلك فقال الوليد في وصف القرآن: (وَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلَهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى، وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ)(٢).

٣- تناسبُ جميع المستويات:

أدلة القرآن تتسمُ بالبساطة والوضوح مما يجعل إدراكها سهلاً يناسب كافة المستويات، على اختلاف مداركهم وفطرهم(٣)، فالقرآنَ لم يأتِ لفئةٍ خاصةٍ من أهلِ العلم واللغة والبيان، كما لم ينزلْ لطبقةٍ معينةٍ أو زمنٍ محدَّد، لذلك جاءتْ أدلتهُ تخاطبُ الناسَ

(١) راجع: ابن رشد: مناهج الأدلة ص ١٥١ ، تحقيق: الدكتور محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ٢/٥٥٠ وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ".

(٣) راجع الدكتور: عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله ص ٤٣.

جميعاً بأسلوبٍ يناسبُ اختلافَ الناسِ وتفاوت مستوياتهم، وهذا لونٌ من ألوانِ الإعجاز القرآني، فهو يخاطبُ الناسَ جميعاً بالأدلة نفسها فيستفيدُ منها الساذجُ والذكي والفيلسوفُ والتجريبي والعبقري والفطري والعالمُ والأمّي، فكلهم يجدُ في القرآنِ ما يشبعُ فطرتهُ ويسدّ حاجتهُ العلميةَ والنفسيةَ، وهذه السمةُ لا نجدها في أدلةِ الفلاسفةِ والمتكلمين، فتبقى أدلتهم حكراً على طائفةٍ محددةٍ من المختصين، ولا يتعدَّى أثرها إلى غيرهم.

ونذكرُ هنا بعضَ الأمثلةِ القرآنية التي توضحُ هذه السمةَ:

- في إثباتِ صفةِ الوحدانيةِ قال تعالى: **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُون}**[الأنبياء:٢٢].

- وقال في إثباتِ قدرتهِ: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُون}**[القصص:٧١].

-وقال تعالى في إثباتِ بعثِ الناسِ من القبورِ وإحيائهم بعد الموت: **{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم}**[يس:٧٩]، وقال أيضاً: **{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيم}**[يس:٨١].

- وقال تعالى في بيانِ كمالِ حكمتهِ في المخلوقاتِ: **{أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت}**[الغاشية:١٧-١٩].

فالآياتُ-كما هو ظاهر في أسلوبها- تخاطبُ العاميَّ وابنَ الباديةِ، وتخاطبُ العلماءَ والمختصينَ، وكلٌّ ينهلُ من معانيها ويستنبط من أدلتها ما يزيدهُ علماً وإيماناً، فابنُ الباديةِ يفهم كل ما جاء فيها ويعرف معانيها ودلالاتها فهي تخاطبه بما هو معروف له، والعالمُ يكتشفُ من أسرارها الكثيرَ، ويمكنُ لهُ أن يصنفَ كتاباً أو موسوعةً عن عجائبِ خلقِ اللهِ تعالى في السماء وأسرارها وقوانينها وأحجامها ومسافاتها ، وكذلك في الجبال وتثبيتها للأرضِ وعجائب خلق الله تعالى في خلقها.

٤- الدليل القرآني ينتفع به الجميع:

قال الإمام الغزالي: (أدلةُ القرآن مثلُ الغذاء ينتفعُ به كلُّ إنسان، بل إنَّها مثلُ الماءِ في انتفاع الخلقِ جميعاً به، صغاراً وكباراً ضعفاء وأقوياء، أما أدلة المتكلِّمين فكالدواء)[1] فالدواء لا يحتاجه إلا المريض أمَّا الصحيح فليس بحاجة إليه.

فهذه السِمَةُ تجعلُ الدليلَ القرآني ليسَ خاصاً كالأدلة الأخرى، فأدلةُ المتكلمين لها نزعة عقليةٌ وتهتمُّ بجانبٍ واحدٍ من الإنسان، لذلك لا تناسبُ أصحابَ الفطرِ السليمةِ أو عوامَّ الناسِ، وكذلكَ الحالُ في الأدلةِ الفلسفية والعلمية، أمَّا الأدلة القرآنية فهي تجمع بين العقل والحسّ والقلب وتخاطب الفطرة البشرية، فينتفع بها الجميع.

المطلب الرابع: الأدلة على وجود الله تعالى

كانَ حرياً بنا أن لا نقفَ كثيراً عندَ أدلةِ وجودِ الله تعالى؛ لأنَّ الفطرةَ الإنسانيةَ تشهد

(١) الغزالي: إلجام العوام ص ٣٥.

بذلكَ ولا يكادُ يعرفُ منكر لوجود الخالق في الماضي إلا النزر اليسير، وهم لا يمثلون في البشرية نسبة تذكر، إلا أنَّ الانحرافَ اليوم وصلَ الدركَ الأسفلَ، فأصبحنا نرى أقواماً ينكرون الخالق، ويعاندون الفطرة، ويجعلون هذه المقولة مذهباً يقيمون عليه حياتهم، وقامت دول على هذه المقولة، وألفت فيها الكتب، وأصبح لها فلسفة تدرَّس، وحاول أصحابها أن يسموها بالمنهج العلمي ويدلِّلوا عليها[1]، من أجل ذلك كان لا بدَّ من التوسعِ في الاستدلال على هذه القضية، وذكر أبرز الأدلة التي أشارت إليها الآيات القرآنية، والأدلة التي رتبها علماء العقيدة، وسيكون ذلك في مبحثين[2]:

أولاً: أدلة وجود الله تعالى من خلال الإشارات القرآنية

الدليل الأول: دليل الفطرة

– مكانة دليل الفطرة في الاستدلال على وجود الله تعالى:

لم يُطل القرآنُ في الاستدلال على وجود الله تعالى؛ لأنَّ القرآنَ يقرِّر أنّ الفطرة السليمة والنفوس التي لم تتقذَّر بأقذار الشرك تقرّ بوجود الله تعالى من غير دليل[3].

لذلك كان دليلُ الفطرة في القرآن من أوائل الأدلة وأوضحها، وهو دليلٌ ينبّهُ على ما أودعَ اللهُ تعالى في النَّفسِ الإنسانيةِ من مشاعرِ الإيمانِ والتوحيد لهُ، فالإيمانُ بالله تعالى فطرةٌ بشرية وشعورٌ يشرقُ في أعماقِ النفسِ، فإذا تأمَّلَ الإنسانُ في نفسهِ وفي الكونِ يشهدُ بلا عناءٍ آثارَ تلكَ المشاعرِ، من خلالِ توجههِ إلى قوةٍ كبرى تهيمنُ على الكون وتمنحهُ التدبيرَ والتنظيمَ، وتتصرَّفُ فيه بالحياةِ والموتِ.

–الإشارات القرآنية على دليل الفطرة:

جاءتْ عدةُ آياتٍ تشيرُ لهذا الدليل:

---

(١) راجع: الدكتور عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله ص ٧٢.

(٢) راجع: د عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية ص ١٣٠ وما بعدها.

(٣) راجع الدكتور: عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله ص ٦٩.

- قال تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}**(الروم: ٣٠).
- وقال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين}**(الأعراف: ١٧٢).
- وقال تعالى:**{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِين}**(إبراهيم: ١٠).

فالنفسُ البشريةُ فطرتْ على التديُّنِ، ولم تخلُ في تاريخها الطويلِ من الإيمانِ الذي يهديها إلى اللهِ، فلم تعرفِ النفسُ البشريةُ ما يسمَّى بالفراغ العقدي، لأنَّ فطرة الإيمان مغروسةٌ في النفسِ البشريةِ وملازمةٌ لها، وجاءتْ دعواتُ الأنبياءِ مؤكدةً ومنبهةً لهذه الفطرة .

- عوارض الفطرة:

الفطرة الإيمانية لا تختفي؛ بل قد تضعف وتذبل في فترات الإسراف وفي حالات الانحراف، فتخيم غشاوة على مرآة الفطرة فتختفي عنها بعض الحقائق الإيمانية، وقد يكون هناك تأثير من البيئة والأهل وغيرهم، وإلى ذلك أشار حديث البخاري: قال النبي صلى الله عليه و سلم: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ) . ثم يقول أبو هريرة ﷺ واقرؤوا إن شئتم: **{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }**(الروم: ٣٠). (١)

كما إنَّ هناك من شياطين الجنّ من يسعى لإفساد الفطرة وتدنيسها، كما أشار لذلك الحديث القدسي عند مسلم، يقول النبي ﷺ، يقول الله تعالى: (وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب (لا تبديل لخلق الله) ١١٤/٦.

كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتَالتْهُم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)[1].

فالشعور الفطري موجود عند كل الناس، فالأصلُ أن لا يحتاج أحدٌ لدليل على الإيمان؛ لأنَّه في صميم فطرته، ولكن إذا انحرفت الفطرة أو عَلتْها غشاوةٌ أو ظلمةٌ، أو منعها من الظهور مانعٌ، فيحتاج لتنبيه الفطرة وإيقاظ الشعور من خلال أدلة أخرى.

الدليل الثاني: دليل الخَلق

معنى هذا الدليل: وجود الصنعة دليل على الصانع، ووجود الخلق دليل على الخالق، فالمخلوقات جميعها ظاهرة الدلالة على وجود مبدع ومخترع لها، وهو الله تعالى، فوجودها من العدم، ومظاهر العجز والنقص فيها من أبرز دلائل احتياجها للخالق الموجد،

وقد أشارت الآيات القرآنية لهذا الدليل بشكلٍ كبير، وبأساليبَ متنوعة وإشارات بديعة، ومن تلك الدلالات والإشارات:

١-**الخلق ظاهرة ملموسة للناس جميعاً:** فلم يدَّعِ أحد من المخلوقاتِ أنَّ وجودهُ كان قديماً أو أبدياً، وهي ظاهرة معروفة لكلِّ العقلاء، وهي ما أشار إليها القرآن بقوله تعالى: **{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}**[الإنسان:١] وقال تعالى: **{أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}**[مريم:٦٧]

فلو ادَّعى أيُّ واحد أنه أبدي أو أنه غير مخلوق؛ لأيقن الناسُ جميعاً أنه كاذب ، وهذه الظاهرة أشار لها القرآن في الإنسان والنبات والحيوان وجميع ظواهر الطبيعة، فكلها مخلوقة، فالله تعالى خالق كل شيء؟.

٢- هناك فكرة السببية المودعة في الفطرة البشرية أنَّ كل فعل له فاعل، وكل مخلوق له خالق: وهي فكرة مرافقة للإنسان في كلِّ مراحلهِ، فالطفلُ الصغيرُ إذا ضُربَ يسألُ من ضربه،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤ .

وإذا قدمتَ له شيئاً يسأل من قدَّمه، فلو قلت له: لم يضربك أحد لم يقبل عقله ذلك، وبمقتضى هذا القانون الفطري يربط العقل بين المخلوقات وخالقها وبين الموجودات وموجدها، فإذا غفل الإنسان عن هذا الرابط جاءت الآيات لتنبه عقله ولتثير فطرته وتبين له أنّ الإنسان وسائر المخلوقات بحاجة إلى خالق أعلى له صفات العظمة والكمال .

٣– كان القرآن يعرضُ الأسئلةَ أمامَ العقلِ ويحاورهُ بأسلوب يدلّ على تفرّد الله تعالى بخلقِ الإنسانِ وسائر الأشياء، قال تعالى: **{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُون}**[الطور:٣٥-٣٦]

فالآياتُ تتضمنُ عدَّةَ أسئلةٍ:

- **أم خُلقوا من غيرِ شيء** ؟ أيْ: من غير خالق، والإجابة البدهية: إنَّ ذلك غير ممكن؛ لأنَّ كلَّ مخلوق له خالق.

– أم هم الخالقون ؟ والإجابة: إنّ الإنسان لا يخلق نفسه؛ لأنه يولد ضعيفاً جاهلاً عاجزاً، محتاجاً لغيره في طعامه وشرابه، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه عجزاً ولا هرماً ولا موتاً .

– أم خلقوا السماوات والأرض ؟ وهذه الآية جاءت قبل أن يجيب القرآن عن الخالق ليسدَّ بابَ المنازعة والجدل؛ لأنَّ هناك من ادَّعى القدرة على الخلق ونسبَ لنفسه الإحياء والإماتة، ومن هؤلاء: الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه وجادله حتى وصل به الكبرياء والغرور أن يدَّعي أنه يحيي ويميت: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}**[البقرة:٢٥٨]: ويقال: إنه جاء برجل فقتله، ثم أتى برجل آخر فحكم عليه بالقتل، ثم عفا عنه مدعياً أنَّ ذلك إحياء وإماتة ، وهذا خداع ظاهر، لذلك فاجأه إبراهيم وطلبَ منه أن يأتي بالشمس من المغرب بدلاً من المشرق فبهت الذي كفر، لذلك نجد

القرآن نقلَ الكلام من خلقِ الإنسان إلى خلقِ السماوات والأرض، ولا يستطيع أي أحد أن يتجرَّأ على القول بأنهُ خلق السماوات والأرض؛ لأنهما أسبقُ من الإنسان وجوداً.

وقد استدلَّ الإمامُ أحمد بن حنبل على وجود الله تعالى بدليل الخلق والتكوين؛ فعندما سئل عن أدلة وجود الله، قال: هذه البيضة، فهي حصنٌ حصين أملس، ظاهره الفضة وباطنهُ الذهبُ الخالصُ، ثم ينشقّ عن حيوانٍ سميع بصير(١).

الدليل الثالث: دليل الهداية والعناية

تعريف دليل الهداية: إن الله تعالى هدى المخلوقات كلها وأرشدها إلى مصالحها وفق فطرتها وغرائزها، فكل مخلوق له هداية خاصة من الله تعالى.

تعريف دليل العناية: إنَّ الله تعالى له عناية وحفظ للمخلوقات، فهو يمدها بأسباب الوجود والعناية الدائمة التي لا تنقطع.

إنَّ دليلَ الهدايةِ والعنايةِ من أشرفِ الأدلة وأعظمها، فالقرآن يفيض بذكر أوجه هداية الله تعالى وعنايته بالمخلوقات، قال تعالى مبيناً هدايته العامة للمخلوقات: {**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى والذي قدر فهدى**}[الأعلى:٢-٣]، وقال تعالى على لسان موسى عندما سأله فرعون عن ربّه: {**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**}[طه:٥٠].

فوجوهُ العنايةِ والهدايةِ الإلهيةِ كثيرةٌ نشيرُ إلى أبرزها:

١-جعل الله تعالى العناية والهداية الإلهية مرافقة لمسيرة الحياة الكونية وحياة الإنسان خاصة، فمنذ تكوين الإنسان في بطن أمه تحيط به العناية الإلهية، فيحفظه الله تعالى في قرار مكين، قال تعالى: {**فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**}[المرسلات:٢١] يصله غذاؤه ويتنفس وفق عناية إلهية خاصة تناسب وجوده وحياته الجنينية، قال تعالى: { **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ** }[الزُّمَر:٦]، ثم ترافقه هذه العناية بعد ولادته،

(١) تفسير ابن كثير ١٩٧/١.

قال تعالى:**{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}**[النحل:٧٨] ويهيئ له الأسباب التي تحفظ له وجوده ونموه، ويهديه إلى طعامه وشرابه، ابتداء بالتقاط ثدي أمّه وانتهاء بالاهتداء إلى سائر أنواع الطعام والشراب.

٢- إنّ مظاهرَ العنايةِ والهدايةِ الإلهيةِ مبثوثةٌ في كلِّ جوانبِ حياةِ الإنسانِ وفي سائر أحوال المخلوقات الأخرى، ولو نظرنا إلى العلاقة المستقرة في الكون وإلى انتظام شؤون المخلوقات لرأينا في كل جانب منها نوعاً من أنواع الهداية والعناية الإلهية، وكان القرآن يكثر من تنبيه عقل الإنسان إلى تدبر مظاهر الهداية والعناية في المخلوقات، كي لا يستسلم الإنسان إلى الألفة والعادة أو يفقد الشعور بالدهشة إزاء الوجود كله، لذلك نجد تأكيد القرآن الدائم على ذكر مظاهر العناية والهداية والتفكر فيها؛ ليرى الإنسان من خلالها عظمة الإله وعنايته الدائمة بالمخلوقات، قال تعالى: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُون}**[القصص:٧١]، وقال تعالى: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُون}**[القصص:٧٢].

٣- تحدَّث القرآنُ في آياتٍ كثيرة عن تسخيرِ كثيرٍ من الكائناتِ والموجوداتِ لتكونَ الحياة مهيأة لمعيشة الإنسان وحياته، ويعدُّ ذلكَ من أبرز أدلة وجود الله تعالى ورحمته وعنايته بالكائناتِ، قالَ تَعالى: **{وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَار، وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار}**[إبراهيم:٣٢-٣٣]، وقال تعالى: **{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}**[الجاثية:١٣] وقالَ تعالى: **{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُون}**[النحل:٨] .

٤- هدى الله تعالى سائر الحيوانات من خلال غرائزها إلى تأمين طعامها وشرابها وإلى التكاثر والدفاع عن نفسها والمحافظة على أمنها، ومظاهر تلك الهداية والعناية كثيرة في عوالم الأنعام والطيور والأسماك والعصافير والنمل والنحل وسائر المخلوقات.

٥-إنَّ مظاهر العنايةِ الإلهيةِ لا تقتصرُ على الإنسانِ والحيوانِ، بل تمتدُّ لتشملَ الكونَ كلَّه، بسمائهِ وأرضهِ وشمسهِ وقمرهِ وكواكبهِ ونجومهِ، فالأرضُ تقعُ على مسافةٍ معينةٍ منَ الشمسِ، فالحرارةُ مناسبة، والضغطُ الجوي محتملٌ والجاذبيةُ مناسبةٌ، والأرضُ تدورُ حولَ محورها وحول الشمس لتقليب الليل والنهار وتغيير الفصولِ وتجديدِ الحياة، والأرضُ يحيط بها غلافٌ جوي يحتوي على الغازاتِ الملائمة لحياة الإنسانِ والكائناتِ الحيَّةِ ويمنعُ وصولَ الشهبِ القاتلة ويحفظُ حرارةَ الأرض الملائمة.

الدليل الرابع: دليل القصد والتقدير

معنى دليل القصد والتقدير: إن الله تعالى جعل في كل مظهر من مظاهر الكون والإنسان غاية وحكمة، وأنه قدر ذلك بدقة وإحكام، ليؤدي كل مخلوق الوظيفة التي وجد من أجلها، فلا مكان للصدفة والعبث في مخلوقات الله تعالى وتقديره.

فالآياتُ القرآنيةُ تفيض في بيانِ مظاهر القصدِ والتقدير والحكمةِ في الموجودات، ولعلّ هذا الدليلَ من أظهرِ الأدلةِ وأبرزها في الاستدلالِ على وجودِ الله تعالى، وهو من أكثرِ الأدلة اهتماماً لدى العلماء؛ بل إنّ كل عالم في مجالهِ يجدُ مئاتِ الأدلة التي تكشفُ مظاهرَ الحكمة في الكون، فليس وجودُ الأشياء بأصنافها ومقاديرها واختلاف أنواعها وخصائصها ووظائفها إلا مظهراً من مظاهر القصد والتقدير[١]، كما سنوضح ذلك:

١- عُني القرآنُ في كثيرٍ من آياتهِ بتوجيهِ نظرِ الإنسانِ وفكرهِ إلى ما في الكونِ من دلائل القدرة والقصدِ، فالكونُ يخضعُ لنظامٍ دقيقٍ وسنن ثابتة لا تسمحُ للقول بالصدفة، فكلُّ شيء

(١) راجع: د عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية ص ١٣٩.

بمقدار، قال تعالى: {**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم**}[الأنعام:٩٦] وقال تعالى {**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر**}[القمر:٤٩].

وقال تعالى مبيناً القصدَ والحكمةَ من وجودِ الأشياءِ ومنها الشمس والقمر: {**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون**}[يونس:٥].

فالآياتُ السابقةُ تكشفُ مظاهرَ التقدير في المخلوقاتِ وحكمةَ الله تعالى في كل ما خلَقَ وقدَّرَ، ويزدادُ الشعورُ بما في الوجود من دقة وإتقان كلَّما ازداد الإنسانُ علماً بالكون، فالكون يبلغ في الضخامة مبلغاً يذهل العقلَ، ويكفي أن نشيرَ إلى أنَّ وحدة قياس المسافات بين الأرض والكواكب والمجراتِ هي سرعةُ الضوء التي تبلغ ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، وتتباعد فيه بعض الأجرام الفلكية حتى لتقاس المسافات بينها بالسنوات الضوئية، بل بالملايين منها(١).

٢- إذا كانت الآيات السابقة وأمثالها توجّه العقل إلى تأمّل ما في الكون من إتقان ونظام وتقدير؛ فإنَّ آياتٍ أخرى تؤكد على جانب القصد والإرادة والحكمة فيها؛ حتى لا يخطئ العقلُ في تفسير وجودها فينسب ذلك للصدفة أو يفسرها تفسيراً آلياً ميكانيكياً يرجع إلى قوانين المادة وحركتها الذاتية -كما يقول بذلك الماديون- وسنذكر بعض الآيات التي تعدّد مظاهر الحكمة والقصد في الأشياء، قال تعالى: {**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون**}[الرعد:٤] وقال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود إنما يخشى الله من عباده العلماءُ**}[فاطر:٢٧-٢٨].

---

(١) السنة الضوئية تساوي: ٣٠٠ ألف كيلو متر×٦٠×٦٠×٢٤×٣٦٠.

فالآيتان تتحدثان عن ظاهرةِ الاختلاف التي تقع حيث يتوقع الاتفاق، وهي تقع في الثمراتِ والجبالِ والناسِ والدوابِّ، فالثمراتُ والزروعُ تتعرض لظروف واحدة أو متقاربة، حيث تمتص غذاءها من تربةٍ واحدةٍ، وتصنعُ غذاءَها وثمارَها من عناصر واحدة ، وتسقى بماء واحد، وتتنفّسُ هواء واحداً، وتتعرض لظروفٍ جويةٍ واحدةٍ من حيثُ الضوءُ وغيرُه من العوامل المؤثرة؛ ثمُ تُنتجُ ثماراً مختلفة في ألوانها وأحجامها وطعومها، ولا يقع ذلك في الأنواع المختلفة فقط، بل في النوع الواحد، فلو كان الأمر يرجع إلى تفسير آلي أصمّ لوجبَ أن تتحدَ في كل شيء، لكن هذا التنوع يرجع إلى إرادة وقصد واختيار وعلم وحكمة، وقد جعل الإمام الشافعي هذا الدليلَ من أبرز أدلة الإيمان، فحين سُئِلَ عن أدلة الإيمان قال: ورقةُ التوتِ: يأكلها الدود فيخرجها حريراً، ويأكلها الظبي فيخرجها مِسكاً ويأكلها النحل فتكون عسلاً وتأكلها الشاة فتكون لبناً[1].

٣- من سَعَةِ القدرةِ الإلهيةِ ومظاهرِ التفرُّدِ الإلهي والقصدِ والإرادةِ في الخلقِ أنَّ اللهَ تعالى خلق الإنسان متميزاً عن سائر المخلوقات، وأنَّ هذا التميزَ نجده بين الأجناسِ المختلفة وبينَ أفرادِ الجنسِ الواحد، بل بينَ الأخوين، بحيثُ لا يتفقُ شخصانِ اتفاقاً تامَّاً في صفاتهما وخصائصهما، ولا ينحصرُ هذا التفرّد والتميز في الجوانب النفسيةِ فحسب؛ بل يمتدُّ ليشملَ الجوانبَ المحسوسةَ لهم، فقد لاحظَ العلماءُ اختلافَ بصماتِ الأصابع وشحمةِ الأُذنِ وذبذباتِ الصوتِ وحَدَقَةِ العينِ ووضعِ الأسنان وتكوينِ الجلدِ ودقَّةِ العظام وخلايا الأنسجةِ وجميعِ أجزاءِ الجسمِ المركبةِ وتركيبِهَا الكيماوي، وينطبقُ هذا الاختلافُ حتى على التوائم المولودة من بويضةٍ واحدة، فهذا كلُّه لا يقعُ صدفةً؛ وإنما هو أثرٌ من آثارِ القصد والحكمة الربانية، وهو راجع إلى سعة القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء.

الدليل الخامس: دليل التعجيز والتحدّي

إنَّ دليلَ التحدّي والتعجيزِ في القرآن الكريم يحمل دلالتين:

(١) تفسير ابن كثير ١٩٧/١.

- الأولى إثبات الألوهية والربوبية لله تعالى.

-الثانية إثبات عجز المخلوقات أمام قدرة الله تعالى[1].

وقد استعملهُ القرآنُ للدلالةِ على الربوبيةِ في مواضعَ عدَّة:

١- **في العلم**: وذلك للتأكيد على أنَّ علم الإنسان محدود وقليل، قال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا}**[الإسراء:٨٥] ، كما تحدّى اللهُ تعالى المشركين أن تكونَ لديهم إحاطة بعلم شيء، وأعجزهم أن يبرهنوا على صحة عباداتهم وسلامة اعتقاداتهم، فقال تعالى: { **نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}**[الأنعام:١٤٣] ، وقال أيضاً: **{أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُون}**[الأنبياء:٢٤].

٢-**في الخلق**: فقد أعجزَ اللهُ الخلائقَ في موضوع الخَلْقِ وتنوعهِ وكيفيته، وعرض ذلك بأساليب كثيرة، فهذا التنوعُ بالخلق معجزٌ، فقد خلق اللهُ آدمَ من لا شيء، وخلق زوجه منه، وخلق عيسى من أمٍّ فقط ، وخلقَ سائرَ البشرِ من زوجين.

وضربَ لنا القرآنُ مثلاً عن الخلقِ من خلالِ سؤال إبراهيم لربّه عن كيفية الخلق المعجز: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم}**[البقرة:٢٦٠]

وفي موضع آخر يبين القرآن أنَّ الخلقَ هو من خصائصِ الربوبيةِ وأنَّ الناسَ لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابة، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوب}**[الحج:٧٣].

(١) راجع: د عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية ص ١٥٣ وما بعدها.

٣- في تقديم الأجل أو تأخيره: فقد تحدَّى القرآن الناسَ بأن يقدّموا أو يؤخروا في آجالهم، قال تعالى: {**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون**}[الأعراف:٣٤].

٤- في تغيير السنن الكونية: عدّد اللهُ تعالى أنواعاً كثيرةً للتعجيزِ، ومنها أن يغيروا شيئاً من النظام الكوني الذي خلقه الله تعالى، فالله تعالى يأتي بالشمس من المشرق ولا يستطيع أحد أن يغير ذلك النظام، لذلك قال تعالى على لسان إبراهيم: {**فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين**}[البقرة:٢٥٨].

ثانياً: أدلة أخرى على وجود الله تعالى[١]:

لئن كان وجود الله تعالى من القضايا البدهية المركوزة في أعماق الفطرة منذ نشأتها الأولى، فإنه قد يطرأ أحياناً على النفس ما يغشى على حس الفطرة المضيء فينحرف بها ذات اليمين وذات الشمال ولذا تحتاجُ إلى بعضِ الأدلةِ والبراهين تتعرَّف بها إلى صدق الإحساس بوجود الله تعالى[٢] ، فالغزالي في إحياء علوم الدين ذكر أنَّ في فطرة الإنسان وشواهد القرآن مايغني عن إقامة البرهان وإنَّما تذكر الأدلة والبراهين للاستظهار بها والاقتداء بالعلماء النظَّار[٣]، ثم ذكر الأدلة العقلية، وقد أفردَ علماء العقيدة مباحث كاملة للرد على شبهات المنكرين، ولإثباتِ أنَّ هناك خالقاً أوجد الموجودات وأعطاها صفاتها وهيئاتها، وسنذكر أشهر تلك الأدلة.

الدليل الأول: بطلان الرجحانِ بدون مرجح:

إنَّ معنى الرجحانِ بدونِ مرجحٍ هو تغييرُ جريانِ شيء من نسقٍ معينٍ إلى نسقٍ آخرَ

---

(١) راجع تفصيل ذلك في: كتاب العقيدة الإسلامية للدكتور مصطفى الخن والدكتور محيي الدين ديب مستو، ص١٣٢-١٤٢، كتاب أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي محمد عليان، ود. قحطان عبد الرحمن الدوري ص ٦٠ وما بعدها.

(٢) راجع : عون المريد ، شرح جوهرة التوحيد ١٩٦/١

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين ١٤٠/١.

من دون وجودِ أيّ مغيرٍ أو محوّلٍ، وهذا معلومٌ بطلانهُ وفسادهُ عندَ جميع العقلاء، ولا بدَّ لتحويله عن حاله السابقة من مرجح يفرض عليه الوضع الجديدَ.

وبتطبيقِ هذه الحقيقةِ على مسألة وجود الله، نجد أنَّ الكونَ الذي نعيش فيه من نوع الممكن، أيْ أن فرض عدمه ليس بالمستحيل عقلاً، حيث نجد أنَّ جزئياته تقبل العدم والوجود، وما هو معروف من قوانين المادة ونظرية الانفجار العظيم أنَّ الأفلاك والأجرام لم تكن موجودة ثم وُجدت وكذلك جميع الكائنات.

وهناك شواهد طبيعية كثيرة تثبتُ أنَّ الكونَ لم يكنْ موجوداً منذ الأزل، وأنَّ له عمراً محدوداً، ومعنى ذلك أنَّ كفة العدم كانت إذ ذاك هي الراجحة، وكان الأمر مستمراً على ذلك، ثم إنَّ الأمر انعكس بعدئذ فترجحت كفةُ الوجود على كفة العدم، ومن البدهيات العقلية أن الممكن الذي يقبل الوجود والعدم الأصل فيه هو العدم، إذ لو كان أصله الوجود لكان واجب الوجود، فلا يكون مع ذلك ممكن الوجود والعدم، لاستحالة التناقض.

فإذا ثبت أن الكون مسبوق بعدمه، وعلمنا أن العدم لا يعطينا وجوداً ولا يؤثر في الوجود، وجب علينا حينئذ التصديق بوجود قوة مؤثرة رجَّحت الوجود على العدم، فإذا ادَّعى أحدهم أن في الكونِ قوةً ذاتية أخرجته للوجود، فمعنى ذلك رجحانُ كفةِ الوجودِ على العدم دون الحاجة لأيّ عاملٍ أو مرجحٍ أو قوة، وهذا أمر بينٌ بطلانه وفساده لذوي العقول، فكما أنه يستحيل رجحان كفتي الميزان المتساويتين إلا بوجود قوة كانت سبباً في هذا الرجحان بل ويزيد الأمر استحالة عند فرض أنَّ الكفة الثقيلة الراجحة طاشت وأصبحت مرجوحة وتهبط الخفيفة رغم خفتها وكل هذا من غير مرجِّح، فكذلكَ الشأنُ بالنسبةِ للوجودِ والعدم، فيبطل رجحان الموجود على العدم من غير مرجِّح، والذي رجَّحَ الوجودَ على العدم هو اللهُ سبحانه وتعالى بإرادته ومشيئتهِ.

الدليل الثاني: دليل بطلانُ التسلسل:

تقدم الكلام عن بطلان الرجحان بدون مرجح، وتبين لنا أن الكون ممكن الوجود

والعدم، وأن هناك قوة ليست منه، رجحت وجوده على عدمه، فلو أنَّ إنساناً كابر وقالَ بأنَّ الكونَ قديم غير حادث، ولم يسبقهُ شيء، فما هو الدليل على وجود إله خالق؟

هنا لا بدَّ من الانتقال إلى دليل آخر يؤكد الحقيقة الإيمانية بوجود الخالق، وهو دليل بطلان التسلسل.

ومعنى بطلان التسلسل: أن يُفرضَ أن المخلوقاتِ كلها متوالدة بعضها من بعض إلى ما لانهاية، بحيث يكون كلُّ واحد معلولاً لما قبله وعلة لما بعده دون أن تتصل هذه السلسلة بعلةٍ واجبة الوجود هي التي تضفي التأثير على سائر الحلقاتِ.

إنَّ هذا الفرض باطل، إذ يفرضَ التسلسلَ في العللِ غير الذاتية إلى ما لانهاية لهُ، والعقل يحكم باستحالته بالضرورة، إذ إن سلسلة المخلوقات الممكنة مهما طالت وطالت فإنَّ استمرار طولها لا يخرجها على كل حال عن كونها ممكنة، والممكناتُ لا بد لرجحان أحد طرفي الإمكان فيها من مرجح كما قلنا.

ومثال ذلك:

– أنَّ الأصفارَ مهما كثرتْ لا يمكنُ أن تعطي قيمة عدديةً، فقيمتها العدديةُ تكسبها من الرقم الذاتي الذي يسبقها، فالعشرة لم تكتسب هذه القيمة من الصفر الموجود فيها، بل من الرقم الذاتي الذي أعطاها القيمة، والمليون لا يأخذ قيمته من ستة أصفار مرصوفة ما لم يسبقها الرقم الذاتي.

–ومثال آخر : لو ادَّعى إنسانٌ حقيقةً علميةً استيقنها ثم سئل عن دليلها فذكر لها برهاناً هو نفسه دعوى يحتاج لبرهان، ولما سئل عن برهان جاء ببرهان غيره أيضاً يحتاج لبرهان...وهكذا إلى ما لا نهاية ، أيْ: دون أن تستند تلك البراهين كلها إلى حقيقة ضرورية معروفة بالبداهة ، فحينئذ نحكم على هذه الدعوى بالبطلان لعدم وجود دليل أصلي تستند إليه.

لذلك لا يمكنُ لأيّ عاقلٍ أن يزعمَ أنَّ وجودَ العالمِ كله ليس قائماً إلا على سلسلةٍ متوالدة من غيرها دون أن يكون قبلها مؤثر ذاتي خارج عن حقيقتها.

وهذا الأمر ينتهي بنا إلى إثبات حقيقة وجود خالق للكون وهو الله تعالى، إذ هو أعطى للمخلوقات وجودها، ولولا وجوده لما كان لها وجود أصلاً، إذ هي سلسلة من المخلوقات لا تستند إلى قوة ذاتية، بل إلى واجب الوجود وهو الله تعالى.

الدليل الثالث: دليل بطلان الدور:

معنى بطلان الدور: أن يتوقف الشيءُ في وجوده المطلق أو تكييف معين على شيء آخر، بينما يكون هذا الشيء الثاني متوقفاً وجوده أو تكييفه على الشيء الأول، إذ إنَّ كل واحد من الأمرين يتوقف وجوده على وجود الآخر، فيترتب على ذلك عدم وجود واحد منهما، وهذا الدور باطل، لأنه يستدعي أن يكون الشيء متقدِّماً على نفسه متأخراً عنها في آنٍ واحد.

مثال ذلك: كأن يقال بأنَّ الأبَ أوجدَ الابنَ، وأنَّ الابنَ نفسهُ أوجدَ الأب نفسه، وهذا الدور محالٌ فما يترتب عليه فهو محال أيضاً.

ومثال آخر: أن يدَّعي مدَّعٍ أن(أ) يستند لـ(ب) و(ب) يستند لـ(ج) و(ج) يستند لـ (أ)، وهذا دور باطل، لأن (أ) متقدِّمة على (ج) وهي أيضاً متأخرة عنها.

وتطبيقُ ذلك على مسألةِ وجود الكون: أن يدَّعي مدع أنَّ العالم حادث ولكن حدوثه لم يكن لشيء خارج عنه، بل إنه تفاعل مع ذاته، فهذا الكلام يقتضي أن يكون وجود العالم مبنياً على وجوده، وهذا دور باطل، لأنه يقتضي تقدَّم الشيء على نفسه وتأخره عنها، وهذا مستحيل، فما ترتب عليه فهو مستحيلٌ؛ فثبت أنَّ وجودَ العالم حادثٌ، ولا بدَّ من أن يكونَ حدوثه يستند على شيء خارج عنه، وينتهي الدليل بإقرار وجود الله تعالى.

المطب الخامس: الصفات الذاتية(المعاني والمعنوية)

إنّ صفاتِ الله تعالى(المعاني والمعنوية) تتضمن إثباتَ معاني الكمال لذاتِ الله تعالى، وكمال الله تعالى لا نهاية له، ولا يمكنُ حصره بسبع صفات أو ثمان، ولكن العلماء ذكروا أهمَّ تلك الصفات التي تتضمن معاني الكمال، وقالوا بأنَّ ذكر هذه الصفات لا يعني أننا نحصر الصفات بهذا العدد، بل هذه الصفاتُ جاءتِ الأدلةُ القطعيةُ من العقل والشرع لتدلَّ عليها، وكل صفة يدلّ عليها الدليلُ القطعيُّ فهيَ ثابتةٌ للهِ تعالى.

فالصفاتُ السبعُ – التي سنتكلَّم عنها بشيء من التفصيل– دلَّتْ عليها الأدلةُ القطعية، وهي:

١– الأولى: صفة الحياةُ:

الحياةُ في حقّ الله تعالى صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ ليستْ كحياةِ غيرِهِ، فحياةُ اللهِ تعالى لا تحتاجُ

إلى روحٍ ولحمٍ ودمٍ، كما هي حياةُ المخلوقاتِ.

الدليلُ النقليُّ على صفةِ الحياةِ:

وردتْ آياتٌ عديدةٌ توضحُ صفةَ الحياةِ للهِ تعالى وما يتعلَّق بها:

-قال تعالى: **{اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ }** (البقرة ٢٥٥) فلا يجري عليه ما يجري على الكائناتِ من الموتِ، بل هو حيٌّ لا يموتُ:**{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ }**(الفرقان٥٨).

-وحياةُ الله تعالى ترتبطُ بالمخلوقاتِ فهو يسمعُ دعاءَ الداعينَ ومناجاة المناجين، قال تعالى: **{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }**(غافر٦٥).

- وحياة الله تعالى هي سبب وجود الأشياء، فهو الذي يخلقُ ويهديْ ويطعمُ ويسقيْ ويحييْ ويميتُ وبيدهِ كلُّ شيء: **{ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ}** (**٧٨– ٨٢**)، وهو القائم على حساب الناس ومجازاتهم يوم القيامة: **{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً }**(طه١١١)

- الدليل العقلي على صفة الحياةِ لله تعالى:

لوْ لمْ يكن الله تعالى حيًّا لم يتصف بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ، ولو كان الله تعالى غير متصفٍ بهذه الصفاتِ لكانَ متصفًا بالضّدِ وذلك نقصٌ وعجز، والله منزهٌ عن النقصِ والعجز، ومما يدلُّ على وجوبِ حياتهِ تعالى وجودُ هذا العالَم، فلو لم يكن حيًّا لم يُوجد شيءٌ من العالَم، لكنّ وجودَ العالَم ثابتٌ بالحِسّ والضرورةِ بلا شك فثبتت له تعالى صفة الحياة.

٢– الثانية: صفة القُدرة:

وهي صفةٌ أزليّةٌ ثابتةٌ لذاتِ الله تعالى، والقدرة يتأتَّى بها الإيجادُ والإعدامُ، أي يوجدُ

الله تعالى بها المعدومَ من العدمِ ويُعدمُ بها الموجودَ.

الدليل النقلي على صفة القدرة:

قد وَرَدَ ذكرُ صفةِ القدرةِ لله تعالى في القرآنِ الكريمِ، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**(البقرة٢٠)، وقال تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**(الأحقاف٣٣).

وقد دلّلَ اللهُ تعالى على صفة القدرة وكمالها بأمور كثيرة منها:

-اللهُ تعالى لا يعجزهُ شيء في السماواتِ والأرض، قال تعالى: **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً }**(فاطر٤٤).

- مرجعُ الخلائق جميعاً إليه، قال تعالى:**{إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**(هود٤)، فهو الذي يجمع الخلائق ويحاسبهم يوم القيامة ولا يشاركه في ذلك إلهٌ آخر، أو نبيّ مرسلٌ، أو ملكٌ مقرب.

- إنه تعالى يبدأُ خلق الأشياء، وهو يبعثها بعد الموت، قال تعالى :**{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**(العنكبوت٢٠)

- بيدهِ تَعالى تقليبُ الأمورِ وتصريفُها، وهو القادرُ على أنْ يرسلَ العذابَ على النَّاس، وأن يذيقهمْ البأسَ ويُنزِلَ عليهم أصنافَ الشدائدِ، قال تعالى:**{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ }**(الأنعام٦٥).

فهذه أمثلةٌ عرضَها القرآنُ لتوضيحِ عموم قدرة الله تعالى، فلا يخرج عن قدرته شيء، ولا يعزبُ عن علمه مثقال ذرَّة، وهو قائمٌ على كلِّ نفسٍ إحياءً وإماتةً وتدبيراً .

-الدليل العقلي على صفة القدرة لله تعالى:

لو لم يكن اللهُ تعالى قادرًا لكانَ عاجزًا ولو كان عاجزًا لم يُوجد شيء من المخلوقاتِ، والمخلوقاتُ موجودةٌ بالمشاهدةِ، ثمَّ إنَّ العجزَ نقصٌ، والنقصُ مستحيلٌ على الله تعالى.

وبقي أن نشيرَ إلى أنَّ القدرةَ الإلهية لا تتعلَّقُ إلا بما يُجَوّزُ العقلُ وجودَهُ وهو الممكناتُ العقليةُ، ويقال بعبارةٍ أخرى الجائزاتُ العقليةُ، فلا تتعلقُ القدرةُ بالواجِبِ العقليّ (أي: ما يستحيلُ عدمُه) ولا تتعلقُ بالمستحيلِ العقليّ (أي: ما يستحيلُ وجودهُ)، فمن الخطأ أن يقال: هل الله قادرٌ على أن يخلقَ مثلَهُ أو أن يُعدمَ نفسَهُ ؟، فالسؤال خطأ وفيه مغالطة؛ لأنَّ قدرةَ اللهِ تعالى لا تتعلقُ إلا بالممكناتِ؛ وليس في ذلك عجزٌ، بل يدلّ على كمال الإله وكمال صفاته، لأنه يستحيل على الله العدمُ والشريكُ، فلا تتعلق القدرة بذلك.

٣- الثالثة: صفة الإرادةُ:

الإرادةُ صفةٌ ثابتة لله تعالى ، يخصصُ بها الممكنَ العقليَّ بصفةٍ دونَ صفة، لأنَّ الممكناتِ العقليةَ كانت معدومةً ثم دخلت في الوجودِ بتخصيصِ الله تعالى لوجودِها؛ إذ كانَ في العقلِ جائزًا أنْ لا توجدَ، فوجودها بتخصيصِ الله تعالى، فلولا تخصيصُ الله تعالى لَما وجِدَ من الممكناتِ العقليةِ شيءٌ.

الدليلُ النقلي:

قال تعالى: { **إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** }(هود: الآية ١٠٧) وقال تعالى في موضع آخر: {**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** }(البروج: الآية١٦). وقال تعالى:{**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون**}[يس:٨٢].

الدليلُ العقلي:

إنَّ وجودَ الكونِ والمخلوقاتِ بعد العدمِ يدلُّ على وجودِ مخصِّصٍ، ولا يمكنُ أن

تخصصَ نفسها بالوجود، فثبتَ وجودُ المخصصِ وهو الله تعالى.

فاللهُ تعالى خصَّص كلَّ شيءٍ دخلَ في الوجودِ بوجودِهِ بدلَ أن يبقى في العدمِ، وبالصفةِ التي هو عليها دونَ غيرِها، فتخصيصُ الإنسانِ -وغيره من المخلوقات- بصورتِهِ وشكلِهِ الذي هو قائمٌ حاصلٌ بتخصيصِ الله تعالى، فالفردُ الواحدُ منَّا يعلمُ أنه ما أوجَدَ نفسَهُ على هذا الشكلِ، ولا هو أوجدَ نفسَهُ في هذا الزمنِ الذي وُجِدَ فيهِ، فوجبَ أن يكونَ ذلك بتخصيصِ مخصصٍ وهو الله تعالى.

٤- الرابعة: صفة العِلْمِ:

العلمُ صفةٌ ثابتةٌ لله تعالى، بها تنكشفُ لهُ الأشياء، وعلمُ الله تعالى مطلق يتعلَّق بالأشياء قبل وجودها وبعد وجودها، ولا يطرأُ عليه تعالى خفاء، فيعلمُ ما كانَ في الماضي وما يكونُ في الوقتِ الحاضرِ وما سيكونُ في المستقبلِ.

كما إنَّ علمَهُ يتعلَّقُ بالأشياءِ وحقائقها وأجزائِها وسائرِ تعلقاتها، فعلمهُ تعالى كاملٌ -كما سائر صفاته- يعلمُ به كلَّ شَيءٍ.

الدليل النقلي:

قال تعالى: {**لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**}[النساء:١٦٦]، وقال تعالى: { **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء** }[البقرة:٢٥٥] وقال تعالى: {**قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** }(البقرة٣٢)، وقد أكَّد القرآن تلك الصفة في مواضع عدَّة وأحوال مختلفة، منها:

- تكلَّم عن الذين يعبدون المخلوقاتِ فهمْ يعبدونَ من لا يملكُ لهمْ ضرَّاً ولا نفعاً، واللهُ هو الذي اتَّصف بكلِّ صفاتِ الكمال، ومنها: العلم، فقالَ تعالى: {**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** }(المائدة: ٧٦).

- يتعلَّق علمُ الله تعالى بالأشياءِ تعلقاً كاملاً لا يشوبهُ أيُّ نقصٍ أو عجزٍ أو خفاءٍ، فلا

يختلفُ بين الجهرِ والسرِّ والظاهرِ والباطنِ، قال تعالى: {**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** }(الملك: ١٣) .

- علمهُ تعالى لا يختصُّ بالكائنات الأرضية فقط، ولا يختص بأشياء دون أخرى، بل يعلم ما في السماوات والأرض، ويعلم حقيقة ما يجري في الظاهر والباطن، وهو العليم بذات الصدور، قال تعالى: {**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** }(التغابن٤)، وقال أيضا: { **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** }(الأنفال: ٤٣).

الدليل العقلي:

لو لم يكن اللهُ تعالى عالماً لكانَ جاهلًا، والجهلُ نقصٌ، واللهُ منزَّهٌ عنِ النقصِ، وأيضًا لوْ كانَ الله تعالى جاهلًا بشيءٍ لَم يوجد هذا العالمُ ، فوجودُ هذا العالمِ مشاهَدٌ ثابتٌ للعيانِ، فثبتَ وجودُ العلم لله تعالى.

٥- الخامسة: صفة السمع:

السمعُ صفةٌ ثابتةٌ لله تعالى، ولا يجوزُ أن يكونَ سمعُهُ تعالى حادثًا كسمع خلقِهِ، ولا يجوزُ أن يكونَ بآلةٍ كسمعنا.

الدليل النقلي:

دلائلُ صفةِ السمع لله تعالى كثيرةٌ منها:

- قولُه تعالى: { **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم**}[البقرة:١٣٧]

- {**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير**}[المجادلة: ١]

الدليل العقلي:

دليلُ وجوبِ السمعِ له عقلًا أنه لو لم يكن متصفاً بالسمعِ لكان متصفاً بالصَمَمِ وهو نقصٌ على الله تعالى، والنقصُ عليه محالٌ، فثبت له وجوب السمع.

٦- السادسة: صفة البصر:

معنى البصر: الرؤية، وهي صفة ثابتة لله تعالى، وليسَ بصرهُ كبصرِ خلقِهِ ؛ لأنَّ بصرَ خلقه بآلة، أمَّا بصرهُ تعالى فليسَ بآلةٍ.

الدليل النقلي:

الدليلُ النقلي على صفةِ البصرِ لله تعالى الآياتُ الكثيرة التي وصفتِ اللهُ تعالى بأنهُ بصير، وأنهُ متصفٌ بالسمعِ والبصرِ، قالَ تعالى:{ **وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُون**}[البقرة:٩٦] وقالَ تعالى:{ **وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد**}[آل عمران:١٥] وقالَ أيضاً:{**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير**}[الإسراء:١] وقال تعالى: { **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**}[طه:٤٦]

الدليل العقلي:

الدليلُ على ثبوتِ البصر لهُ من حيث العقلُ أنه تباركَ وتعالى لو انتفى عنهُ البصرُ لاتصفَ بضدِّهِ وهو العَمَى، أيْ: عدمُ الرؤية، وذلك نقصٌ والنقصُ محالٌ على الله تعالى.

٧- السابعة: صفة الكلام:

يجبُ لله تعالى الكلامُ وهو صفةٌ ثابتة له ليس بحرفٍ أو صوتٍ وليسَ له صفات الحوادث، فكلامهُ تعالى لا يشبهُ كلامَ المخلوقينَ، ويدلُّ على صفةِ الكلامِ ما نزل من كلام الله تعالى في القرآن وسائر وحيه لأنبيائه.

الدليل النقلي:

وأما دليلُه النقليُّ فالآيات الكثيرة التي وصفت الله تعالى بالكلام ونسبت له الكلام، من ذلك قوله تعالى:

- {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ }[التوبة:٦]

- { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[النساء:١٦٤]

- {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}[الأنعام:١١٥].

الدليل العقلي:

الدليلُ على ذلكَ من حيثُ العقلُ أنه لو لم يكن متكلماً لكانَ فيه نقص، والنقصُ مستحيلٌ على الله تعالى.

المطلب السادس: أسماء الله تعالى

أولاً: حقيقة أسماء الله تعالى

إنَّ أسماءَ الله تعالى أعلامٌ وأوصافٌ لهُ، فهيَ أعلامٌ من حيثُ دلالتُها على ذاتِ الله تعالى، وهي صفاتٌ باعتبار دلالتها على المعاني، والله تعالى أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى، التي سمىَّ بها نفسه في كتابه العزيز، أو على لسان رسوله ﷺ فقال تعالى : { **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه** }(الأعراف: ١٨٠) ، وقال أيضاً: { **قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمنُ أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** }(الإسراء:١١٠) ومن تلك الأسماء ما جاء في سورة الحشر : { **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبّح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم** }(الحشر ٢٢-٢٤) .

وأسماءُ الله تعالى كلُّها أسماء حسنى؛ لدلالتها على أحسن مسمّى وأشرف مدلول، فكلُّها أسماء مدح تدلُّ على توحيدِ الله تعالى ورحمته وكرمه وجودهِ وعظيمِ فضلهِ.

وهيَ أسماءُ توقيفية؛ بمعنى أنها أسماء وردَ بها الشرعُ، فلا يجوزُ أن نخترعَ من أنفسنا أسماءَ نسمّي بها الله تعالى، وإنما نسميهِ وندعوهُ بأسمائهِ الحسنى التي سمَّى بها نفسهُ، أو سمَّاه بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم.

ثانياً: عددُ أسماءِ اللهِ تعالى

جاء في حديث البخاري ومسلم : (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة) [1] ، وفي هذا الحديث إثبات تسعة وتسعين اسماً لله تعالى، ولم يأتِ ذكر مفرداتها عند البخاري ومسلم، بل جاءت في روايات مختلفة عند الترمذي وغيره، ففي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّؤوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي،

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً ١١٨/٩، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب في أسماء الله تعالى ٢٠٦٣/٤ .

الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ"[1].

فالأحاديث التي ذكرت لله تعالى تسعة وتسعين اسماً ليس فيها ما يدلُّ على حصر أسماء الله تعالى بهذا العددِ، وإنما تضمنتْ الترغيبَ في إحصاء تلك الأسماء، والدليل على عدم الحصر هو [2]:

- ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أصاب أحداً قطُّ همّ ولا حزن فقال: اللهمَّ إنِّي عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكلِّ اسم هو لك، سمَّيتَ به نفسك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقك، أو أنزلتَه في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني..) [3].

فالحديث صريح في أنَّ هناك أسماء لله تعالى سمَّى بها نفسهُ، وعلَّمَ بعضَ عبادهِ على بعض تلك الأسماء، وأنزل بعضها في القرآنِ، واستأثرَ ببعضها في علم الغيبِ ولم يطلع أحداً عليها، فلا يمكن أن تكون أسماء الله تعالى تسعة وتسعين فقط، بل هي أكثر من ذلك.

-وفي حديث البخاري ومسلم عن الشفاعة: (فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربّي عزَّوجلَّ، ثم يفتح الله عليَّ من محامدهِ وحسنِ الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي ثم يقال: يا مُحَمَّد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع) [4] ، فالله تعالى يفتح على نبيه بأنواع من

---

(١) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، وَلاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ: وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ، وقال النووي عن الحديث الذي اشتمل على ذكر تفصيلات الأسماء : حديث حسن رواه الترمذي وغيره (راجع : النووي: الأذكار ص ١٣٦-١٣٧) ، وقد روى الحديث ابن ماجه بإسناد ضعيف(راجع: سنن ابن ماجه، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط ٢٨/٥)، وذكر البيهقي للحديث روايات مختلفة، وقال إنَّ هذه الأسماء جاءت في أحاديث كثيرة مفردة نصاً أو دلالة (راجع: البيهقي : الاعتقاد ص ٢٠ ، والأسماء والصفات ٤- ٥) .

(٢) راجع: الغزالي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ص ١٦٧، البيهقي: الأسماء والصفات ص ٦-٧.

(٣) قال ابن حجر: أخرجه أحمد وصححه ابن حبان (ابن حجر: فتح الباري ٢٢٠/١١ ، ابن حبان: صحيح ابن حبان ٢٥٣/٣ تحقيق: شعيب أرنؤوط، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت).

(٤)أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة) ١٣١/٩، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٠/١.

المدحِ وحسنِ الثناء على الله تعالى لم يفتحها على أحدٍ من قبل.

- وفي حديث مسلم، قال النبي ﷺ: (اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك)[1]، فالثناء على الله تعالى يكون بأسمائه وصفاته، والنبي ﷺ يقول(لا أحصي ثناء عليك) أي لا يمكن لي أن أحصي وأعدَّ الأسماء والصفات التي أثني بها عليك.

- أنَّ في كتاب الله تعالى أكثر من هذا العدد، فإذا أضيف إليه ما جاء في السنَّة فالأمر يزيد على ذلك بكثير[2]، وهذا يعرف بالتتبع والاستقراء في كتاب الله تعالى وسنَّة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وممّن تتبّع ذلك: ابن الوزير اليمني، فذكر أنَّ الذي عرفه منها بالنص صريحًا دون الاشتقاق مائة وخمسة وخمسين اسمًا ، من غير المماذح السلبية[3]، وذكر الدكتور عبد الرحمن حبنكه أنه قد ورد في القرآن الكريم أسماء لله تعالى لم تدرج في التسعة والتسعين المشهورة، ومنها: (المولى، النصير، الغالب، القاهر، القريب، الرب، الناصر، الأعلى، الأكرم، أحسن الخالقين، أرحم الراحمين، ذو الطول، ذو القوة، ذو المعارج، بديع السماوات والأرض، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، موالج الليل في النهار، موالج النهار في الليل، مخرج الحي من الميت، مخرج الميت من الحي) [4].

فأسماء الله تعالى هي محامده وكمالاته التي لا نحيط بها ولا يمكن حصرها، فهي لا تحصر في تسعة وتسعين اسمًا، وقد دلَّ على ذلك التصريح والاستقراء من القرآن والسنة، ممَّا يرجّح أنَّ العدد لا يراد به حقيقته، وإنَّما يراد به الحضّ على إحصاء تسعة وتسعين اسماً لله تعالى؛ لتكون تلك الأسماء سببًا من أسباب دخول الجنة.

ثالثاً: معنى (مَن أحصاها دخل الجنة):

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١.

(٢) راجع: البيهقي: الأسماء والصفات ص ٦-٧.

(٣) راجع: ابن الوزير اليمني: إيثار الحق ص ١٦٩- ١٧١ ، مكتبة ابن تيمية.

(٤) راجع: د.عبد الرحمن حبنكه: العقيدة الإسلامية ص ٢١٤.

إنَّ النبي ﷺ قرنَ بين إحصاء تسعة وتسعين اسماً وبين ودخول الجنة ، وهو أمر جليل وثواب عظيم لذلك اختلفت أقوال العلماء حول معنى ذلك:

أ – القول الأول: حفظها، وهو اختيار البخاري[1]، حيث فسَّر " أحصاها " بمعنى " حفظها"؛ لأنَّ الحديث روي باللفظين، فاعتبر ذلك من باب تفسير الحديث بالحديث.

ب– القول الثاني : دعا بها ، ويشهد لذلك ما جاء في قوله تعالى: { **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** }(الأعراف:١٨٠) .

جـ– القول الثالث: أطاقها، وأحسن المراعاة لها، والمحافظة على ما تقتضيه هذه الأسماء، وصدَّق بمعاينها .

د– القول الرابع : معنى " أحصاها " عمل بها .

فهذه مجموعة الأقوال التي ذكرت في معاني الإحصاء التي جاء بها الحديث، وهي أقوال حسنة ومعان لطيفة ، ولعلَّ القول الثالث هو أقوى الآراء وأجمعها ، لأنَّ حفظ الأسماء حفظاً مجرداً لا يمكن أن يكون غاية ومقصداً مطلوباً لنفسه ، وإنما المراد من الحفظ مراعاة ما تقتضيه هذه الأسماء.

فمراعاة معاني الأسماء فيه توضيح لعقيدة المسلم التي تشتمل على صفات الله تعالى وقدرته وعلمه وسمعه وبصره، وما يتعلق بذلك من معاني المراقبة الدائمة والتنزيه والتسبيح لله والتعظيم له ، والاستعانة به في كل شأن من الشؤون، فإذا شعر المؤمن بالضعف ذكر اسم الله القوي، وإذا شعر بالذل ذكر اسم الله العزيز، وإذا سوَّلت له نفسه معصية تذكر عظمة الله تعالى وقدرته، واطلاعه على ما يخفي الإنسان وما يعلن، فاستحيى من الله تعالى وخاف من معصيته، قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُون**}[الأعراف:٢٠١] ، وفي الحديث الصحيح عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله

(١) راجع : ابن حجر : فتح الباري ٣٩٨/١٣.

يوم لا ظلَّ إلا ظله: (ورجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين...ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) [1].

المطلب السابع: آثار معرفة صفات الله تعالى وأسمائه

بعد أن انتهينا من الكلام عن صفات الله تعالى وأسمائه، نذكر أهم الآثار التي تنتج عن معرفة تلك الأسماء والصفات:

–كلما ازداد العبد معرفة بربّه كانت عباداتهُ أكملَ وأعمالهُ أفضلَ وصفاتهُ أجملَ، قالَ تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور**}[فاطر:٢٨] وفي الحديث الصحيح، قال النبي ﷺ: (إنّي لأرجو أن أكونَ أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي)[2]، فالخشية والتقوى من آثار العلم بالله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته.

–معرفة أسماء الله تعالى وصفاته سبب محبته، فعندما يقرأ المسلم في أسمائه تعالى وصفاته: المعطي والنافع والحكيم والغفور والرحيم والرزاق والقوي...وغيرها، يتعلق قلبه بربه ويعظم شأنه، فالإحسان من الله تعالى سبب حبه ، فقد جبلت النفوس على حبّ من أحسن إليها وليس هناك أعظم من إحسان الله تعالى لعباده خلقاً وتكويناً وعطاءً ورزقاً ورحمة وعفواً .

– معرفةُ الله تعالى تجعل المسلم يتوكل على الله ويلجأ إليه ويأوي إليه، فلا يعطي ولا يمنع ولا يضر أو ينفع إلا الله تعالى، وفي صحيح البخاري عن النبي الله عليه و سلم إذا أوى

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ١٣٣/١، ومسلم : كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢.

(٢) رواه مسلم: كتاب الصوم، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو صائم ٧٨١/٢.

إلى فراشه قال : (باسمك أموت وأحيا) [1] وفي حديث آخر أنَّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه ... يقول باسمكَ ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) [2]

– معرفة أسماء الله تعالى وصفاته تورث الطمأنينة والثقة بالله تعالى، قال تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب}**[الرعد:٢٨].

فأخطرُ ما يهدّدُ النفسَ عدمَ وجودِ الطمأنينةِ، أو وجود اليأس والقنوط، فالعارف بأسماء الله تعالى، والموقن بصفاته، يشعر بطمأنينة وثقة، لأنَّ الله تعالى قويٌّ عزيز، وعدل وحكيم، وسميع عليم، وغفور رحيم، ولأنه تعالى يجزي على العمل بالحسنى، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأنه يمنّ على عباده بالعفو والرحمة والمغفرة، جاء في حديث مسلم عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز و جل قال: (أذنبَ عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنَّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أنَّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنَّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك) [3] فهذه صورة من صورِ الثقة بالله تعالى، وفهم معاني أسمائه وصفاته، فكما أنَّ الله تعالى يأخذ بالذنب، ويؤاخذ على المعصية فهو أيضاً يغفر ويعفو، فالله تعالى له صفات الكمال والجمال التي تحفظ في نفس المؤمن الثقة والطمأنينة والرضا.

---

(١) رواه البخاري : كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح ٧١/٨.

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام ٧٠/٨.

(٣) رواه مسلم : كتاب التوبة، باب قبول التوبة ٢١١٢/٤.

الفصل الثالث: تنزيه الله تعالى

سأتناولُ في هذا الفصل مباحثَ من الصفاتِ الإلهيةِ تتعلقُ بتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، ذاتاً وصفات وأفعالاً، فالله تعالى له صفات الكمال التي لا تشبه صفات المخلوقين، وأي تشابه لفظي بين صفات الإله وصفات البشر فليس المراد منه ما هو معروف من صفات البشر، بل هي صفات تليق بذات الله تعالى وأفعاله، لذلك سأعرضُ تلك المباحثَ في عدَّة مطالب:

- الصفات السلبية
- صفات الأفعال والصفات الخبرية
- صفة الكلام لله تعالى وعلاقتها بقضية القول بخلق القرآن
- رؤية الله تعالى

المطلب الأول: الصفات السلبية

الصفاتُ السلبيّة –كما تقدَّم– هي صفاتُ الإلهِ التي تتضمنُ سلبَ أيٍّ معنىً عن الله تعالى فيه نقصٌ أو عجز، وتنزيهَ الإله عن صفات الحوادث والمخلوقات.

وقد ذكرَ العلماءُ خمسَ صفاتٍ تشتمل على نفي كلّ ما لا يليق بالله تعالى، وذكروا أدلة تلك الصفات من الأدلة النقلية والأدلة العقلية، فهذه الصفات متفق عليها بين العلماء:

١– الصفة الأولى: القِدَمُ (الأول):

لمْ يَرِدْ في القرآن الكريم إطلاقُ لفظ القديمِ على الله تعالى، لكن وردَ معناه، قالَ تعالى:{**هُوَ الأَوَّلُ** }[الحديد:٣]. فوصفُ اللهِ تعالى بالقدمِ يعني أنه لا أولَ لهُ؛ بلْ هو أوّلُ كلّ شيءٍ، أي: لا ابتداءَ لوجودِهِ ؛ فلا قديمَ ولا أزليَّ إلا الله تعالى، وكل ما سوى الله تعالى من المخلوقات فهو حادثٌ مخلوقٌ له بداية تدلُّ على أنه محتاجٌ للأولِ وهو اللهُ تعالى.

كما لا يجوزُ تفسيرُ معنى القديم بأنه الشيء الذي مضى عليه زمن طويل، فهذا يستحيل على الله تعالى، لأنَّ اللهَ تعالى خالقُ الزمن، وهو قبل الزمان والمكان والأشخاص.

الدليل النقلي على صفة القدم:

ما تقدم في قوله تعالى: **{هُوَ الأَوَّلُ }**[الحديد:٣] أي هو أوّلُ كلِّ شيء، وهي صفة الخالقِ فقط وهو الله تعالى.

الدليلُ العقليُّ على قِدَمِ الله تعالى:

أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، والحدوثُ صفة المخلوقات، وهذا يستحيلُ على الله تعالى، فثبت أنَّ الله تعالى قديم لا ابتداءَ لوجوده.

٢– الصفة الثانية: البقاءُ(الآخر):

البقاءُ في صفاتِ اللهِ تعالى يعني أنه لا نهايَةَ لوجودِهِ تعالى، لأنَّ ما ثبتَ له القِدَمُ

وجبَ له البقاءُ، أي يستحيلُ عليه العدمُ، والبقاءُ الذي هو واجبٌ لله تعالى هو البقاءُ الذاتيُّ أي ليس بإيجابِ غيرِه له، بل هو يستحقُّهُ لذاتهِ لا لشيءٍ آخرَ.

الدليل النقلي على وجوبِ البقاءِ لله تعالى:

قولُ الله تعالى: **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام}**[الرحمن:٢٧]، والوجهُ هنا معناه الذاتُ، فالله تعالى له صفةُ البقاء، وقال تعالى: **{هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ }**[الحديد:٣]، والآخرُ هو الذي لا نهايةَ لوجوده، أي: هو الباقي.

الدليل العقليّ على صفة البقاء لله تعالى:

لو لم يكنِ الله تعالى باقياً، لكانت له نهاية، وهذه صفةُ المخلوقاتِ فثبتَ أنَّ الله تعالى باقٍ.

فبقاءُ الله تعالى ذاتيٌّ ولا يكون لشيءٍ سواهُ، أمَّا البقاءُ الذي يكون لبعضِ خَلقِ الله تعالى كالجنَّةِ والنَّارِ فليس بقاءً ذاتيّاً، لأنَّ الجنة والنارَ حادثتانِ، والحادِثُ لا يكون باقياً لذاتِهِ، فبقاءُ الجنةِ والنارِ ليس لذاتهما؛ بل لأنّ الله تعالى شاء لهما البقاءَ، فهو بقاء تبعي غير ذاتي، يستمدّان ذلك من إبقاء الله لهما.

٣- الصفة الثالثة: الوحدانيةُ:

أ- التعريف بصفة الوحدانية ومكانتها في عقيدة المسلم:

معنى **صفة الوحدانية لله تعالى:** إنَّ الله تبارك وتعالى ليسَ له ثانٍ أو شريكٌ أو نظيرٌ، فهو واحد في ذاته، وواحد في أفعاله، وواحد في صفاته.

الوحدانية من الصفات السلبية لله تعالى، فالتوحيد لله تعالى شعارُ المسلمين وأساسُ عقيدتهم، ومبدأُ دعوة الرسلِ والأنبياء جميعاً من آدم عليه السلام إلى نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلَّم، قال تعالى: **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا**

فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء ٢٥]، وقال عن نوح عليه السلام: **{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ }** [المؤمنون: الآية ٢٣]، وقال على لسان شعيب عليه السلام وهو يخاطب قومه: **{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ }** [الأعراف: الآية ٨٥]، ويقول نبيّنا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (أُمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا: أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بحقِّ الإسلام وحسابهم على الله) [(١)].

فدعوةُ الأنبياء جميعًا هي دعوة توحيد، تحرِّر الإنسان من الشرك والضلال وعبادة الأوثان، وتسمو به إلى الإيمان بالإله الواحد، خالق الكون ومبدعه.

فالإيمان بإلهٍ واحد هو الذي يستقيمُ مع الفطرة؛ لأنَّه يؤدي إلى استقامة الشعور ووحدة الاتجاه ووحدة الولاء، فصاحبُ عقيدة التوحيد يُرجع الأمر كله لله تعالى؛ خلقاً ورزقاً وإحياء وإماتة وتدبيراً وتصريفاً وإعطاء ومنعاً، فلا يرجو إلا الله ولا يخشى غيره، ولا يتوكل إلا عليه ولا يلجأ إلا إليه، فليس بينه وبين الله تعالى حجاب ولا وسائط ولا أسباب، فتطمئن نفسه بالله تعالى وتأنس روحه بوحدانيته، فيتوجه إلى الله تعالى وحده دون غيره، قال تعالى: **{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِين}**[الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

ب- الدليل النقليُّ على الوحدانية:

جاءتِ الآيات القرآنية الكثيرة التي تصف الله تعالى بالوحدانية وتوضح معناها ولوازمها:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) ١٤/١، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٥٢/١.

- فاللهُ تعالى وحدَه الإله الحق، الذي لم يلد ولم يولد، وهو ربُّ كل شيء ومالك كلّ شيء، ليس له ندّ ولا شريك، قال تعالى: **{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد}** (الإخلاص ٣-٤).

- وهو وحدَهُ المتفردُ بالخلقِ والتدبيرِ: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل}**[الزُّمَر:٦٢]

- وهو وحدَه المستحقُّ للعبادة: **{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}**[مريم:٦٥].

ج- الدليل العقليُّ على الوحدانيةِ:

ذكر العلماء عدَّة أدلة عقلية على صفة الوحدانية منها:

١- دليل النظام في الكون: أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لو لم يكن واحداً وكان مُتَعَدّداً لم يكن العالَمُ منتظماً، لكنَّ العالَمَ منتظِمٌ فوجَبَ أنَّ الله تعالى واحدٌ، فما في الكون من نظام محكم وقوانين مطردة وسنن ثابتة يدلُّ على وحدانية الله تعالى، ولو كان في الكون أكثر من إله لاختلَّ نظام الكون وفسد، وقد أشار لذلك القرآن : **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُون}**[الأنبياء:٢٢]، أي لفسدت السموات والأرض، وقال تعالى: **{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ }**[المؤمنون:٩١].

٢- دليل التمانع: وهو دليل مشهور عند أكثر علماء العقيدة، قال الأشعري: "فإن قال قائل: لم قلتم إنَّ صانع الأشياء واحد ؟ قيل له: لأنَّ الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على إحكام، ولا بدَّ أن يلحقهما العجز، أو واحدًا منهما؛ لأن أحدهما إذا أراد أن يحيي إنسانًا وأراد الآخر أن يميته، لم يخلُ أن يتمَّ مرادهما جميعاً أو لا يتمَّ مرادهما، أو يتمَّ مرادُ أحدهما دون الآخر، ويستحيل أن يتمَّ مراد جميعهما؛ لأنَّه يستحيلُ أن يكونَ الجسمُ حيًا ميتًا

في حال واحدة، وإن لم يتمَّ مرادهما جميعًا وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهًا ولا قديمًا، وإن تمَّ مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتمَّ مراده منهما، والعاجز لا يكون إلهًا ولا قديمًا، فدلَّ ما قلناه على أنَّ صانع الأشياء واحد، قال تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢]" [١].

٣–دليل التوارد: وهو أنه إذا تعدَّد الإله ،كأن يكون هناك إلهان، فإما أن يختلفا –وهو دليل التمانع الذي تقدم– وإما أن يتفقا وهو دليل التوارد، وهذا الاتفاق يلزم منه العجز بكل وجوهه، فإذا اتفقا على أن يتفرد كل منهما على شيء فيلزم عجز كل منهما عن بسط قوته على ما اختص به الآخر، وإذا اتفقا على أن يُوجدَ كلٌّ منهما ما أوجدهُ الآخر فهذا تحصيل حاصل وإيجاد ما هو موجود، واجتماع قدرتين في محلٍّ واحد، وهو مستحيل، فيلزم من كل ذلك بطلان التعدّد وإثبات الوحدانية.

٤– الصفة الرابعة: قيامُه تعالى بنفسه(القيُّوم):

ومعنى القيام بالنفس أي: الاستغناءُ عن كلّ شيءٍ، فلا يحتاجُ اللهُ تعالى إلى مخصّصٍ له بالوجودِ، ولا يحتاج لمكانٍ، بل هو منزّه عن كل صفات العجز والنقص والاحتياج، فالله تبارك وتعالى مستغنٍ عن كل شيءٍ ومحتاجٌ إليه كلُّ شيءٍ سِواهُ.

والدليل النقلي على قيامه تعالى بنفسه:

قوله تعالى: {**اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** }[البقرة:٢٥٥] أي أنَّ اللهَ تعالى قائم بنفسه لا يحتاج لغيره، وهو أيضاً قائم على كلِّ المخلوقاتِ بمعنى أنها تحتاج له وتقوم بقدرته وإرادته وأمره، قال تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ** }[الروم:٢٥] فالله تعالى غنيّ عن المخلوقات وهي فقيرة ومحتاجة له، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى**

---

(١) الأشعري: اللمع ص٢١، ٢٢ ، تصحيح وتقديم وتعليق : الدكتور حمودة غرابة، المكتبة الأزهرية للتراث، وانظر أيضًا: رسالة إلى أهل الثغر" أصول أهل السنة والجماعة" ص٤١، ٤٢. تحقيق: الدكتور محمد السيد الجليند، مطبعة التقدم، مصر.

اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد}[فاطر:١٥] فكلُّ شيءٍ سوى الله محتاجٌ إلى الله لا يستغني عنه طرفةَ عينٍ.

الدليل العقلي على قيامه تعالى بنفسه:

إنَّ الله تعالى لو لم يكن قائماً بنفسه لاحتاج لغيره، والاحتياج للغيرِ علامةُ الحدوثِ والعجز، والله تباركَ وتعالى منزهٌ عن ذلك.

٥- الصفة الخامسة: مخالفة الله تعالى للحوادِثِ:

معنى مخالفته تعالى للحوادث أنّ الله تعالى متفردٌ بذاته وصفاته وأفعاله، فلا يُشبهُ المخلوقاتِ، وليس فيه شيء من صفات النقص والتغيير أو الأجسام والحوادث.

الدليل النقليُّ لوجوبِ مخالفتِهِ تعالى للحوادِثِ:

قوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**}[الشورى:١١] وهو أوضحُ دليلٍ نقليٍّ، فالآية تضمنت التّنزيه الكُلّي؛ لأنَّ الله تباركَ وتعالى ذَكَرَ فيها لفظَ شيءٍ وهو نكرة في سياقِ النَّفي، والنَّكرَةُ إذا أُورِدَت في سياقِ النفي فهي للشمولِ، فالله تباركَ وتعالى نفى بهذِه الجملةِ عن نفسِهِ مشابهة الأجرامِ والأجسامِ والأعراضِ، فهو تباركَ وتعالى كما لا يشبه ذوي الأرواحِ من إنسٍ وجنٍ وملائكةٍ وغيرِهِم، لا يشبهُ الجماداتِ من الأجرامِ العُلوية والسُّفليةِ أيضاً، فلم يُقيّد نفي الشَّبَهِ عنه بنوعٍ من أنواعِ الحوادثِ؛ بل شمل نفي مشابهتِهِ لكلّ أفرادِ الحادثاتِ.

الدليلُ العقليُّ:

لو كانَ الله تعالى يشبِهُ شيئاً من خلقِهِ لجازَ عليه ما يجوزُ على الخلقِ من التغيُّر والتطورِ والفناءِ والتحيز والجسمية، ولو جازَ عليهِ ذلك لاحتاجَ إلى من يُغَيّرُهُ، والمحتاجُ إلى غيره لا يكونُ إلهاً فثبت أنهُ لا يشبِهُ شيئاً.

المطلب الثاني: الصفات الفعلية والخبرية

أولاً: التعريف بالصفات الفعلية والخبرية:

تقدَّم ذكر تعريفين للصفات الفعلية، الأول: إنها مشتقَّة من أفعاله – تعالى – كالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والثاني: هي ما يجوز أن يوصف الله بضدّه كالرضا والرحمة والسخط والغضب ونحوها .

كما تقدَّم تعريف الصفات الخبرية بأنها الصفات التي لم تثبت بالعقل، ولكنها ثبتت بالشرع أو النقل كوصف الله بأنّ له يداً أو وجهاً أو عيناً.

وقد وردت آياتٌ وأحاديثُ كثيرةٌ تضمنتْ وصف الله تعالى بالخالق والرازق والمحيي والمميت والاستواء والنزول والمجيء والدنو والإتيان والتقرب، ووصفه بالرضا والرحمة والسخط والغضب والتعجب والفرح والضحك وغيرها من الصفات الفعلية التي يوهم ظاهرها التغير والحركة والانتقال، قال تعالى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**[طه:٥] وقال تعالى: **{وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}**[الفجر:٢٢] وقال: **{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**[آل عمران:١٦٢] وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة، وجاء في حديث البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني .. وإن تقرَّب إليّ بشبر تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليَّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) (١).

ووردتْ آيات وأحاديث تنسبُ لله تعالى اليدَ واليدين والوجهَ والعين والأصابع والساق والصورة وغيرها من الصفات الخبرية التي يوهم ظاهرُها التشبيه والتجسيم، قال تعالى في الردّ على اليهود: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء }**[المائدة:٦٤] وقال تعالى مبيناً أن المخلوقات كلها تفنى وأن

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(ويحذركم الله نفسه) ١٢١/٩، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله ٢٠٦١/٤ .

الله هو الباقي:{**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَام**}[الرحمن:٢٧] وقال تعالى في حق موسى عليه السلام: { **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**}[طه:٣٩].

فهذه جملةٌ من الأحاديثِ والآياتِ التي تضمَّنتْ صفاتٍ خبريةً وفعليةً، ولم أردْ بذلك الإحصاء والاستقراء وإنما ذكر بعض الأمثلة لبيان الموقف منها والمنهج في فهمهما، وتنزيه الله تعالى عن كل نقص أو عجز أو تشبيه يتوهم من ظواهرها.

ثانياً: الموقف العام من الصفات الفعلية والخبرية:

عقيدة المسلم أنه يثبت لله تعالى كلَّ ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة من الصفات، لا يردُّ من ذلك شيئاً، مع اعتقاده بأنَّ الله تعالى لا يشبه المخلوقين وليس هناك نقص في أي صفة من صفاته، بل صفاته تعالى فيها الكمال والجمال، قال تعالى{ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**}[الشورى:١١]وقال تعالى: {**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**}[مريم:٦٥].

وقد اختلف العلماءُ حولَ دلالة الصفات الخبرية والفعلية على الجلال والكمال والجمال لله تعالى ، ولهم في ذلك موقفان مشهوران:

الأول: موقف السلف:

الإيمانُ بأنَّها حقٌّ على ما يليق بالله تعالى، وأنَّ ظاهرها المتعارف في حقنا غير مرادٍ، ولا يُتكلَّم في تأويلها، مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الحركات والانتقال ، فأصحاب هذا الموقف يرون عدم الخوض في أيّ تأويل أو تفسير تفصيلي لهذه النصوص والاكتفاء بإثبات ما أثبته الله تعالى لذاته مع تنزيهه عن كل نقص ومشابهة للحوادث، وسبيل ذلك الفهم الإجمالي لهذه النصوص، وتفويض العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم الله عزو جل.

الثاني: مذهب الخلف وجماعة من السلف:

قالوا بأنَّ الآيات والأخبار الواردة في ذلك نؤولها على أحدِ المعاني بما يليق بالله تعالى، وبما يضعها على صراط واحد من الوفاق مع النصوص المحكمة الأخرى التي تقطع بتنزيه الله تعالى عن الجهة والمكان والجارحة، لذلك أوَّلوا اليد بمعنى القدرة، والاستواء بمعنى العلو، والعين بمعنى العناية، والنزول بمعنى نزول رحمة الله تعالى، وحملوا سائر الصفات الأخرى على معان تليق بالله تعالى مع تنزيهه عن أي نقص أو حدوث.

فهناك اتفاق بين أصحاب المنهجين على تنزيه الله تعالى عن المعنى المحال الذي دلَّ عليه الظاهر، ويؤمن أصحاب المنهجين بأنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوهم نقصاً أو حدوثاً فإنَّ الله منزَّه عنه؛ لأنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه.

ثالثاً: الموقف التفصيلي من الصفات الخبرية والفعلية:

بعد أن ذكرنا مواقف العلماء من الصفات الفعلية والخبرية نعرض لمثالين حول الموقف التفصيلي من تلك الصفات المتشابهة:

الأول: الخلاف حول نسبة (الوجه) لله تعالى:

وردت عدَّة آيات في نسبة الوجه لله تعالى، قال تعالى: **{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا}**[الإنسان:٩] وقال تعالى:{**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** } [البقرة: الآية ١١٥]. وقال: **{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام}**[الرحمن:٢٧] وقال تعالى:**{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ }**[القصص:٨٨].

وفي حديث البخاري أنَّ النبي ﷺ عندما نزل عليه قوله تعالى:**{ قُلْ هو القادرُ على أن يبْعثَ عليكم عذابًا منْ فوقكم}**قال رسول الله ﷺ: (أعوذ بوجهك، قال: {**أو من**

تحتِ أرجلكم} [الأنعام : الآية ٦٥]، قال: أعوذ بوجهك..)[١]، وفي حديث مسلم عن النبي ﷺ أنه قال:(وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنَّة عدن)[٢].

موقف العلماء من الوجه في الآيات والأحاديث:

هناكَ موقفانِ من نسبةِ (الوجهِ) الواردةِ لله تعالى في الآياتِ والأحاديثِ:

١- إثبات الوجه صفة لله تعالى، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق.

٢- تأويل الوجه على معنى يليق بالله تعالى، فالوجه في قوله تعالى: **{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام}** بمعنى الذات، أي أنَّ كل شيء يفنى إلا ذات الله تعالى، والوجهُ في قوله تعالى :**{وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ }** [البقرة: الآية ١١٥] بمعنى قبلة الله ووجهته، وحيثُ وردَ الوجه لله تعالى فله معنى يليق به ويؤول بما يناسب سياق الآية والحديث.

فأهل التأويل والإثبات اتفقوا على تنزيه الله تعالى عن أن يكون له وجه بمعنى العضو والجارحة، فالصفة عند القائلين بها لا تشبه صفات المخلوقين؛ بل هي صفة تليق بالله تعالى، شأنها في ذلك شأن الصفات الأخرى، والقائلون بالتأويل إنَّما حملهم على ذلك تنزيه الله تعالى عن ظاهر اللفظ المعروف في حقنا.

الثاني: الخلاف حول معنى(النزول) لله تعالى:

لم يرد لفظ النزول مضافاً لله تعالى في الآيات القرآنية، وإنما وردَ في عدّة أحاديثَ صحيحة، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول:

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) ٥٦/٦ .

(٢) رواه مسلم: كتاب، باب .

من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له ؟)[1].

فالحديثُ في ظاهرِهِ يتكلَّمُ عن نزولِ الله تعالى إلى السماء الدنيا، ولكن النزول المعروف في حدود مدركاتنا البشرية لا ينفكُّ عن الحركة والتغير والانتقال، وهو بهذه الصفة نقص يتنزّه الله تعالى عنه، فما المراد إذن من النزول المضاف لله تعالى، هل يحتاج اللفظ للتأويل، أم يمكن به إثبات صفة لله تعالى ؟

هناك رأيان مشهوران للعلماء كما هو الحال في سائر الصفات الفعلية والخبرية:

الأول: الإيمان والتصديق بنزول الله تعالى دون الخوض في تأويله، مع تنزيه الله تعالى عن معنى النزول المعروف في حق البشر، قال أبو الحسن الأشعري" ونصدِّق الرِّوايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأنَّ الربَّ يقول: (هل من سائل ؟ هل من مستغفر؟)[2].

الثاني: تأويل النزول الوارد في الأحاديث على معان تليق بالله تعالى، وذكروا عدَّة وجوه من التأويل، أشهرها:

أ – إقبال الله تعالى على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف.

ب- نزول ملائكة الله تعالى إلى السماء الدنيا.

ج – نزول حكم الله وأمره.

فهناك اتفاق على إثبات النزول لله تعالى كما هو في الحديث، ولكن الخلاف وقع حول معنى النزول، لأنَّ النزول المعروف في حق البشر له لوازم لا يقول بها أي من أصحاب الرأيين، وقد رأى أصحاب الرأي الثاني أنَّ النزول له عدة معان تتفق مع صفات الله تعالى وكماله، فحملوا النزول الوارد في الحديث على أنه أمر الله تعالى بإنزال الرحمة، أو إنزال ملك،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة) ٦/٢٧١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ١/١٦٣ .

(٢) راجع: الأشعري: الإبانة ص ٥١.

أو إقبال الله تعالى على عباده بالرحمة والإكرام، وقد نسب النزول له لأنَّه هو الفاعل الحقيقي وهو المنزل الحقيقي، وهو القادر على كل شيء، ولما في ذلك من تشريف وإكرام للإنسان.

رابعاً: قواعد عامة في فهم الصفات الفعلية والخبرية:

بعد أن تكلَّمنا عن الصفاتِ الخبريةِ والفعليةِ وأوضحنا موقف العلماء منها يمكن أن نضعَ عدةَ قواعد عامة لفهم الصفاتِ الإلهيةِ عامة والصفاتِ الخبريةِ والفعليةِ خاصة:

١-كل ما جاء به الوحي وأطلقه الشرع على الله تعالى لا يجوز أن نحرِّفه أو نغيرهُ أو ننفيه، لا فرق في ذلك بين ما جاء في القرآنِ أو السنَّةِ الصحيحةِ.

٢- إذا كان للوصفِ الواردِ في حقِّ الله تعالى معنىً ظاهر ممَّا هو معروفٌ في حقنا كالجارحةِ والأعضاء والحركة والانتقال والتغيرات النفسية التي تلحق الحادث والمخلوق، ويتنزه الباري عنها، فنجزم أنَّ ذلك غير مرادٍ في حقِّ الله تعالى؛ لما علم من الدِّين ضرورة ، واتفق عليه سلف هذه الأمَّة وخلفها، أنَّ الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وأنَّه لا يشبه خلقه وليس مؤلفًا من أعضاء وجوارح ولا تلحقه التغيرات ولا تحده الأزمنة والجهات، ثم نعتقد بعد ذلك أنَّ لهذه الألفاظ معنى لا نعلمه تفصيلاً ولا نحيط به؛ لأنَّ معرفة صفات الله تعالى على ما هي عليه ممَّا لا يمكن للعقل أن يحيط بها، فالله حجب حقيقة ذاته وحقيقة صفاته عن عباده، وهذا معنى قولهم:" لا يعلم الله إلا الله " "والعجز عن الإدراك إدراك"، فنهاية علمنا وغاية أمرنا إظهار العجز والاعتراف به، أمَّا من حيث الجملة فنحن نعلم أنَّ الله قد وصف نفسه بصفات هي كمال له ومدح، فعلمنا هذا إجمالي لا تفصيلي؛ لأنَّنا نظرنا إلى أنَّ الله أطلق ذلك ونسبه لذاته ونفسه وهو أعلم بما يستحق وما يجوز عليه، وإذا أطلقنا عليه لفظاً ممَّا أطلقه فنحن لم نتجاوز ما جاء به الشرع، ولكن هذا الإطلاق ليس على حقيقته المعروفة عندنا.

٣-ما نثبته لله تعالى من صفات هي كمالات له، وكمالات الله تعالى لا تنتهي، فتوقف

علماء العقيدة عند حدّ معين في الإثبات- مثل الصفات السبع- لا يعني أبداً أنَّ لله تعالى حداً من الكمال لا يتجاوز هذه الصفات، بل يجب أن يعتقد بأنَّ الإنسان مهما مدح الله وأثنى عليه ونسب إليه كل كمال يعلمه فهو أعظم من كل ذلك، بل حال الإنسان وهو يصف الله تعالى كما عبَّر عنه النبي ﷺ في حديث مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها: (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) [1].

فالأمر إذاً هو قضية إثبات وصحة، واجتهاد في إثبات ما أثبته الله تعالى ونفي ما نفاه، وكل ذلك يتبع الدليل والفهم، فلا نثبت بغير دليل، ولا نفهم فهماً يخرج بنا عن الدليل وعن القواعد الكلية والأصول الكبرى في العقيدة والإيمان، فكل إثبات لم يقم على دليل فهو مردود على صاحبه، وكل اجتهاد يخرج بالمجتهد عن أصول الإيمان وقواعد العقيدة الكبرى التي يسلم بها كل مسلم فهو غير مقبول.

المطلب الثالث: العلاقة بين صفة الكلام لله تعالى والقول بأنَّ القرآن مخلوق أو غير مخلوق

تمهيدٌ:

وردتْ آياتٌ كثيرة في إثباتِ الكلام صفة لله تعالى، منها: ما جاء في قوله تعالى:

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٢.

{وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[النساء:١٦٤] وكذلك الأحاديث كثيرة في ذلك، وهي تقرِّر وتؤكِّد ما جاء في القرآن، لذلك اتفق أهل السنّة جميعاً على إثبات الكلام صفة لله تعالى، لكن وقع خلاف بين أهل السنَّة والمعتزلة، حول قضية القول بخلق القرآن.

أولاً: تعريف كلام الله تعالى والخلاف بين المعتزلة وأهل السنة:

عرَّف أهل السنةِ كلام الله تعالى بتعاريف متقاربة، فقال الباقلاني: كلامُ الله صفة لذاته لم يزل موصوفاً به، وهو قائم به، ومختصٌّ بذاته، وقال في موضع آخر: كلامُ الله القديم لا يجوز أن يكون حروفًا وأصواتًا[١]، وقال الجويني: هو القول القائم بالنفس الذي تدلُّ عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات[٢].

أما الكلام عند المعتزلة –كما عرَّفه القاضي عبد الجبار– فهو: فعل من أفعاله تعالى يحدثهُ ويخلقه في الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، والزجر والترغيب[٣].

بعد ذكرِ تعريفِ الكلامِ يتبينُ لنا أنَّ أهلَ السنَّةِ والجماعةِ يقولونَ بأنَّ كلامَ اللهِ غير مخلوق وأنَّه قديم، وخالف في ذلك المعتزلة وقالوا بأنَّه فعلٌ من أفعال الله وهو حادث.

ثانياً: أدلة أهل السنة على أنَّ القرآن غير مخلوق:

استدلَّ أهل السنةِ على أنَّ كلام الله تعالى غيرُ مخلوقٍ بأدلة كثيرة منها:

– الآيات التي وصفت الله تعالى بالكلام والأمر والنهي والخبر، كقوله تعالى**{ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}** [النساء: الآية ١٦٤]، وقوله تعالى: **{ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ }**[الأعراف: الآية ٥٤]، فالله تعالى أثبت لنفسه كلامًا كما جاء في الآية الأولى، وفصلَ بين الخلق والأمر

(١) راجع: الباقلاني: الإنصاف ص٢٦، ١٠٠.

(٢) راجع: الجويني: الإرشاد ص ١٠٤ .

(٣) القاضي عبد الجبار: مختصر أصول الدين ١٩٣/١، المحيط بالتكليف ٣٠٦/١.

في الآية الثانية ، فدلَّ على أنَّ الأمر غير مخلوق؛ لأنَّه كلامه وفيه أمره ونهيه، وهو صفة له[١].

-الأحاديث التي نسبت لله تعالى الكلام ومنها:

- حديث: (من نزلَ منزلاً ثمَّ قالَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ من شرِّ ما خلقَ لم يضرّه شيء حتى يرتحلَ من منزله ذلك) [٢]، فالحديثُ يأمرنا بأن نستعيذَ بكلماتِ الله، وهي غيرُ مخلوقةٍ؛ لأنَّ اللهَ لا يأمرنا أن نستعيذَ بمخلوقٍ[٣].

- حديثُ علي ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم كان يقول عند مضجعه: (اللهمَّ إنِّي أعوذُ بوجْهك الكريم، وكلماتك التامَّة من شرِّ ما أنت آخذ بناصيته ...) [٤]، فاستعاذ رسول الله ﷺ في هذا الخبر بكلماتِ الله كما استعاذ بوجهه الكريم، فكما أنَّ وجههُ الذي استعاذَ به غير مخلوق فكذلك كلماته [٥].

- حديث أحمد في مسنده : إنَّ رسول الله ﷺ قال: (لو أنَّ القرآن جعل في إهاب ثمَّ ألقي في النار ما احترق) [٦]، قال الباقلاني: إنَّ هذا الحديثَ يدلُّ على أنَّ كلام الله قديم، لذلك لا يحترق، وإنَّما يحترق الجلد، والمداد، والحروف المصورة[٧].

ثالثاً: أدلة المعتزلةِ على أنَّ القرآنَ مخلوقٌ:

اعتمدَ المعتزلةُ على ظاهر الآيات والأحاديث التي جاء فيها وصف آيات القرآن وكلماته بصفات الخلق والحدوث، منها ما جاء في قوله تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

(١) راجع: الباقلاني: الإنصاف ص ٧١ ، البزدوي: أصول الدين ص ٥٨-٥٩.

(٢) أخرجه مسلم من حديث خولة بنت حكيم السلميَّة ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره ٢٠٨١/٤.

(٣) راجع: الأشعري: الإبانة ص ٩٦ ، البيهقي: الأسماء والصفات ص ١٨٥-١٨٦.

(٤) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم ٣٩٣/٧.

(٥) الأسماء والصفات ص ١٨٦.

(٦) أخرجه أحمد: المسند، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني ٥٩٥/٢٨.

(٧) الباقلاني: الإنصاف ص ١٠٠.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } [الزمر: الآية٦٢]، [1] فقالوا : اللفظ عام غير مخصوص فيدخل فيدخل فيه القرآن وغيره، وقد ذكروا من السنَّة عدَّة أحاديث لا تصحّ، بالإضافة إلى أحاديث تفيد بظاهرها الخلق والحدوث، مثل حديث: (ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي) [2]، وحديث (تجيء البقرةُ وآلُ عمران يوم القيامة كأنَّهما غمامتان...) [3].

فهذه أشهر أدلة المعتزلة القائلين بحدوث الكلام وخلق القرآن ، ودلالتها على الحدوث مستفادة من عدَّة أمور تفهم من ألفاظ :

- القرآن من جملة المخلوقات التي تفرَّد الله تعالى بها؛ لأنَّ الله خالق كل شيء وربّ كل شيء.
- القرآن يوصف بالحركة والمجيء وسائر صفات المخلوقات.

رابعاً: حقيقة الكلام المختلف حوله وتحرير النزاع:

بعد ذكر أدلة أهل السنة القائلين بقدم الكلام لله تعالى وأنه غير مخلوق، وأدلة المعتزلة القائلين بحدوثه وأنه مخلوق، لا بدَّ من تحرير موضع الخلاف والنزاع، ولا بدَّ أن نسأل أولاً عن حقيقة الخلاف حول كلام الله تعالى، هل هو خلاف حول الكلمات والأحرف والأصوات التي تخرج من قارئ القرآن ؟ أم أنَّ الكلام المختلف حوله هو شيء آخر وراء تلك الأحرف

---

(١) راجع: القاضي عبد الجبار: المغني ٢١٥/٧، الباقلاني: الإنصاف ٧٢.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في سورة آل عمران ١١/٥، وهو أثر مقطوع ، انفرد به الترمذي من حديث سفيان بن عيينة أنَّه قال في تفسير حديث عبد الله بن مسعود قال: (ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي قال سفيان: لأنَّ آية الكرسي هي كلام الله وكلام الله أعظم من خلق الله من السماء والأرض(١١/٥) . وقال الذهبي: إنَّما وقع الخلق على السماء والأرض ولم يقع على القرآن (راجع: سير أعلام النبلاء ٢٤٥/١١) .

(٣) أخرجه مسلم بلفظ: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران،...قال: كأنَّهما غمامتان، غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنَّهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما). (أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٤/١).

وهو ما يسمَّى بالمعنى أو الكلام النفسي ؟

إنّ أهل السنة والجماعة اتفقوا على أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى وأن كلام الله تعالى قديم غير محدَث، بلا صوت ولا حرف ولا مقاطع ولا مبادئ، وأنه غير متجزئ ولا متبعض[1]، فكلام الله تعالى القديم هو كلام النفس، وأنَّ النظم المؤلَّف من الحرف والصوت حادث مخلوق، فليس خلافهم مع المعتزلة في حدوث الألفاظ والأحرف والأصوات ؛ بل في أمر آخر وهو الكلام النفسي، قال الجويني إنَّ المعتزلة أنكرت الكلام القائم بالنفس، وقالوا بأنَّ الكلام هو الأصوات المتقطِّعة والحروف المنتظمة، ونفوا كلاماً قائماً بالنَّفس سوى العباراتِ المؤلفة من الحروف والأصوات[2]؛ لذلك قالوا بأنَّه مخلوق كسائر أفعاله تعالى، وكخلق السموات والأرض.

فالأمر قد آلَ إلى الخلاف في إثبات المعنى النفسي، فالمعتزلة إنَّما قالوا بحدوث الألفاظ والحروف ولم يثبتوا أمرًا آخر وراء ذلك، وأهل السنة يوافقون المعتزلة في حدوث الألفاظ والحروف، ولكنهم يثبتون معنى آخر غير الألفاظ والحروف، وقد أكَّد هذا المعنى التفتازاني أيضًا وقال : الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة يرجع إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه، فالمعتزلة لا يقولون بحدوث الكلام النفسي، وأهل السنة لا يقولون بقدم الحروف والأصوات[3].

لذلك نخلص إلى أنَّ كلاً من أهل السنة والمعتزلة يثبتون كلام الله تعالى، إلا أن المعتزلة يتكلمون عن الألفاظ والأحرف والقراءة، لذلك وصفوها بالحدوث، أما أهل السنة فيتكلمون عن صفة لله تعالى وهي وراء الأحرف والألفاظ وسموها الكلام النفسي، لذلك قالوا بأنها ليست حادثة وأنها قديمة.

ويمكن أن ألخص الموقف من القضية والراجح فيها في نقطتين:

---

(١) راجع: النسفي: تبصرة الأدلة ٢٨٤/١. إلكيا الهراسي: أصول الدين ص ٢٢٥، الباقلاني: الإنصاف ص ٢٦ ، أبو المظفر الإسفراييني: التبصير ص ١٠٢.

(٢) راجع: الجويني: الإرشاد ص١٠٤ ولمع الأدلة ص ٩١-٩٢.

(٣) راجع:التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٤٣-٤٤.

- اللفظ بالقرآن حادث مخلوق؛ لأنه كلمات مؤلَّفة وأحرف وأصوات حادثة، لها بدايات ونهايات كشأن كل حادث ولا يمكن أن تكون قديمة وإلا حلَّ الحادث بالقديم، أمَّا المعنى والمدلول فقديم ؛ لأنَّه صفة لله تعالى ليست حروفًا ولا أصواتًا، بل صفة ذاتية من صفات الكمال لله تعالى، وبذلك: " لم يتوارد الطرفان بالتنازع في الخلْق على معنى واحد ".

- الأسلم في ذلك أن نقف في وصفنا للقرآن عند قولنا: القرآن كلام الله تعالى، كما جاء وصفه في قوله تعالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ }** [التوبة: الآية ٦]، وأن لا نتجاوز في وصفه ذلك، ولا نتعرض للقول بخلقه أو بقدمه، وهذا ما يجب الالتزام به والوقوف عنده ، فلم يرد في القرآن الكلامُ عن قِدمهِ وحدوثه ورودًا صريحًا، كما لم يرد ذلك في السنَّة الصحيحة، ذلك أنَّ الخلاف حول خلق القرآن لم يظهر إلا في وقت متأخر، لذلك أرى أن نقف عند قولنا: القرآن كلام الله تعالى ولا نتجاوز ذلك.

المطلب الرابع: رؤية الله تعالى

إنَّ موضوع رؤية الله تعالى يتعلق بجانب مهم من جوانب العقيدة الإسلامية ألا هو جانب التنزيه لله تعالى، وسأتناول ذلك في مبحثين:

أولاً: رؤية الله تعالى في الدنيا، ووقوعها في الآخرة.

ثانياً: رؤية النبي ﷺ لربّه في الدنيا ليلة المعراج.

أولاً: رؤية الله تعالى في الدنيا ووقوعها في الآخرة:

١- المذاهب في إمكان الرؤية ووقوعها:

يرجع الخلاف حول إمكانية الرؤية ووقوعها إلى مذهبين:

الأول: اتفق أهلُ السنةِ والجماعةِ على إثباتِ رؤية الله تعالى سمعاً في الآخرة، وجواز وقوع ذلك عقلاً في الدنيا.

الثاني: قال المعتزلة إنَّ رؤية الله تعالى غير ممكنة عقلاً في الدنيا، وغير واقعة شرعاً في الآخرة. (١).

٢- أدلة أهل السنة في إثبات الرؤية ووقوعها:

قال أهل السنة إنّ العمدة في إثبات جواز الرؤية في الدنيا، والوقوع في الآخرة هو الدليل العقلي والنقلي، وطريقتهم كانت تقوم على إثبات الجواز العقلي بأدلة معروفة عندهم، ثمَّ إثبات وجوب الرؤية للمؤمنين في الآخرة بالدليل السمعي من الكتاب والسنَّة والإجماع (٢)، وعبارتهم المشهورة والمعبّرة عن ذلك: إنَّ الله يصح أنَّ يُرى بالأبصار عقلاً، وهو واجب للمؤمنين في دار القرار، وهم بذلك يردُّون على المعتزلة وأهل البدع الذين رأوا في إثبات الرؤية ما لا يتفق مع التنزيه، وأنَّ ذلك ممَّا يستحيل على العقل تصوره، ثمَّ استدل أهل بالأدلة السمعية التي صرَّحت بإثبات الوقوع للمؤمنين في الآخرة.

أ- الإجماع والآيات القرآنية:

أجمع الصحابة ﷺ على أنَّ رؤية الله جائزة، وأنها ستقع بالآخرة ، وقد نقل ذلك الإجماع الباقلاني والجويني والنووي وابن تيمية وغيرهم(٣).

---

(١) راجع: مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١ ، وراجع: الرازي: الأربعين في أصول الدين ٢٦٦/١، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ١٨٩ ، أصول الدين ص ٦٧ ، وابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص ١٢٦ .

(٢) راجع: المتولي الشافعي: الغنية في أصول الدين ص ١٤٢ ، التفتازاني: شرح المقاصد ١٨١/٤، ١٨٨، الدردير: شرح الخريدة البهية ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٣) راجع: الباقلاني: الإنصاف ص ١٧٧، ١٨٨ ، والجويني: الإرشاد ص ١٧٦، والنووي: شرح صحيح مسلم ٢٠/٢ ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٢/ ٢٣٠.

كما استدلوا بآيات قرآنية هي عمدتهم في إثبات الرؤية ، وأهمُّ تلك الآيات:

-ما جاء في قصة سيدنا موسى عليه السلام: **{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية١٤٣] ، ووجه الدلالة فيها أنَّ موسى عليه السلام سأل ربَّه الرؤية وهذا يدل على جوازها، وإلا فكيف يمكن لنبي من أولي العزم أن يسأل الله تعالى ما هو مستحيل عليه؟، فهذا جهل بالله تعالى، والجهل يستحيل على الأنبياء، ثم إنَّ الآية علَّقت الرؤية على ممكن في نفسه ، وهو استقرار الجبل في مكانه، ممَّا يدل على أنَّ سيدنا موسى عليه السلام سأل الرؤية وهو يعلم أولاً أنَّها ليست بمستحيلة، ثمَّ مُنعها لا لكونها من المستحيل؛ بل لعدم وقوع المعلَّق عليه وهو استقرار الجبل، قال الأشعري:" فلما قرنَ اللهُ الرؤية بأمر مقدور جائز؛ علمنا أنَّ رؤية الله تعالى جائزة غير مستحيلة" (١).

- قوله تعالى: **{وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }** [القيامة: الآية٢٢،٢٣] ووجه الاستدلال فيها: أنَّ ما جاء فيها من النظر إنَّما هو إثبات انكشاف زائد على العلم، وهو الرؤية والنظر إلى الله تعالى، ولا يمكن أن يكون النظر في هذه الآية بأيِّ معنى آخر غير هذا؛ لأنَّ النظر فيها مقرون "بإلى" التي تعني: النظر والرؤية، لا التدبر والترحم والانتظار -كما زعم المعتزلة- قال الأشعري:" فلا يجوز أن يكون الله عزَّوجل عنى نظر التفكر والاعتبار؛ لأنَّ الآخرة ليست بدار اعتبار، ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار؛ لأنَّ النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، وكذلك نظر الانتظار لا يكون في الجنَّة؛ لأنَّ الانتظار معه تنغيص وتكدير، ولا يجوز أن يكون المعنى: إلى ثواب ربِّها ناظرة؛ لأنَّ القرآن العزيز على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، فالله تعالى قال: **{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**

(١) الأشعري: الإبانة ص ٦٢، وراجع: التفتازاني: شرح المقاصد ١٨٢/٤.

}[القيامة: الآية ٢٣] ولم يقل: إلى ثواب ربِّها أو إلى غيره"[١].

– وقوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ }[المطففين: الآية ١٥]، فالآية تتكلم عن حجب الله تعالى للكافرين ومنعهم من رؤية الله تعالى، وتفيد بذلك إثبات الرؤية للمؤمنين، فالله تعالى حجبَ الكافرين بسخطه عليهم، ويراهُ المؤمنون إكراماً لهم ورضى من الله تعالى.

–ومن الآياتِ التي استدلوا بها أيضاً، ما جاء من بشارات للمؤمنين وزيادة فضل يوم القيامة برؤية وجه الله تعالى، ومن تلك الآيات قوله تعالى: { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ } [يونس: الآية ٢٦]، وقوله تعالى: { لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } [ق:الآية٣٥] ، وقوله: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً} [الأحزاب:الآية ٤٤].

فهذهِ أشهرُ الآياتِ التي استدلَّ بها أهلُ السنَّةِ .

ب– أدلةُ أهل السنَّةِ من الأحاديثِ:

قال أهلُ السنَّةِ: إنَّ الأحاديثَ في إثباتِ الرؤيةِ صحيحةٌ صريحةٌ ظاهرةٌ لا تقبلُ التأويلَ، بل حكمَ عليها كثيرٌ من العلماءِ بالتواترِ المعنويّ، فذكرَ الأشعريُّ أنَّ الرواياتِ عن النبي ﷺ في رؤيةِ الله بالأبصار وردت من جهات مختلفات، وتواترت بها الآثارُ ، وتتابعتْ بها الأخبارُ[٢]، وقالَ ابنُ تيميةَ:" تواترتِ الأحاديثُ عن النبي صلى الله عليه وسلَّم أنَّ المؤمنين يرونَ ربَّهم في الآخرة" [٣]، وقال ابنُ أبي العزِّ الحنفي:" روى أحاديثَ الرؤيةِ نحو ثلاثينَ

(١) راجع: الأشعري: الإبانة ص ٥٨–٥٩–٦٠ . وراجع: التفتازاني: شرح المقاصد ١٩٢/٤.

(٢) الأشعري: الإبانة ص ٣٨.

(٣) ابن تيمية: بغية المرتاد ص ٤٧٠، تحقيق: الدكتور موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم.

صحابياً " [1] .

فأحاديثُ الرؤية صريحة وصحيحة في الجملة، ومن أشهرها:

-حديث البخاري عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: كنَّا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة – يعني البدر– فقال : (إنَّكم سترون ربَّكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) [2] ، فهو الدليل الأول في السنَّة .

-حديث مسلم عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألمْ تبيِّض وجوهنا ؟ ألمْ تدخلنا الجنَّة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ..) [3]، قال الرازي: " إنَّ النقل المستفيض صحَّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: الزيادة هي النظر إلى الله تعالى "[4].

– حديث الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرةَ ألفِ سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: **{وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }**[القيامة: الآية ٢٢،٢٣]) [5].

– حديث النسائي وما جاء فيه من دعاء: (اللهمَّ إنِّي أسألك لذَّةَ النظر إلى وجهك..)[6].

---

(١) ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص ١٣١.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ١/١١٥.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه ١/١٦٣.

(٤) الرازي: الأربعين في أصول الدين ١/٢٩٤.

(٥) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة عن رسول الله، باب منه، ٤/٦٨٨.

(٦) أخرجه النسائي عن عطاء بن السائب عن أبيه ، وجاء فيه: (...وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك بردَ العيش بعد الموت، وأسألك لذةَ النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك..) أخرجه النسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر ٢/٨١ ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. (صحيح ابن حبان ٥/٣٠٥ المستدرك ١/٧٠٥)

- حديث البخاري، أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلم قال: (وليلقينَّ اللهَ أحدُكم يوم يلقاهُ وليس بينهُ وبينه حجابٌ، وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ...) [1].

هذه أشهرُ أدلة السنَّة التي تؤكدُ ما جاء في الآيات القرآنية، وقد اجتمعتْ على معنى واحد، وهو رؤية الله تعالى في الآخرة.

٣- أدلة المعتزلة على نفي الرؤية:

استدلَّ المعتزلةُ على نفيِ الرؤيةِ بأدلةٍ عقليةٍ، وأدلةٍ شرعيةٍ من القرآنِ والسنَّةِ.

أ- الدليلُ العقلي:

أجمعَ المعتزلة على أنَّ الله تعالى لا يُرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، وأنَّ ذلك مستحيل، ولا يجوز عليه؛ لأنَّه ليس بجسم، وقالوا لو جازَ أن يرى بالبصر لوجب أن يكون في جهة، قال شارح الأصول الخمسة: "وممَّا يجبُ نفيهُ عن الله تعالى: الرؤية " [2]

وقد استدلوا على نفي الرؤية بدليل عقلي وهو دليل **"المقابلة"**، وهو أقوى شبههم كما قال التفتازاني[3]، ويقوم على أنَّ أحدنا يرى بحاسَّة، والحاسَّة لا ترى شيئًا إلا إذا كان مقابلاً أو في حكم المقابل، وقد ثبت أنَّ الله ليس مقابلاً ولا حالاً في المقابل، ولا في حكم المقابل، لذلك لا يصحُّ أن نراه، فلا يمكنُ للحاسَّة أن تتعلق إلا بما هو مقابل أو في حكمه [4].

ب- أدلة القرآن:

استدلَّ المعتزلة على نفي الرؤية ببعض الآيات القرآنية ومنها آيات استدلَّ بها أهل السنة، إلا أنَّ فهمهم للآيات مختلف، فحملوا ظاهرها على نفي الرؤية، وأوَّلوا ما جاء فيها على معان أُخر، ومن تلك الآيات:

---

(١) أخرجه البخاري عن عدي بن حاتم ﷺ في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الردّ ١٠٨/٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢-٢٣٣، وراجع: القاضي عبد الجبار: مختصر أصول الدين ١٩٠/١-١٩٢.

(٣) راجع: التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٥٣ .

(٤) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٣-٢٤٨-٢٥٢-٢٦٥-٢٦٧-٢٦٨-٢٧٤.

- قوله تعالى: **{ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ}** [الأنعام: الآية١٠٣] ، قالوا بأنَّ الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، ومعنى ذلك أنَّ رؤية الله تعالى مستحيلة.

- قوله تعالى: **{ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية١٤٣] قالوا بأنَّ " لن " للتأبيد حقيقة، فالله تعالى علَّق الرؤية على استقرار الجبل أثناء تحرّكه، وهو مستحيل، فالرؤية مستحيلة [(١)].

ج- الاستدلال بالأحاديث عند المعتزلة ومناقشتهم لأدلة أهل السنَّة:

استدلَّ المعتزلة بأحاديث ليعارضوا بها أدلة أهل السنة، كما ردُّوا على أدلة أهل السنة وما ذكروه من أخبار، فكان ردهم إجمالاً وتفصيلاً، أما الردّ الإجمالي فيمكن أن نحدِّده في عدَّة نقاط:

- إنَّ جميعَ ما رواهُ أهل السنَّةِ في إثباتِ رؤيةِ اللهِ تعالى من الأخبارِ إنَّما هي أخبارٌ آحادٌ، ولا يجوزُ قبولُ ذلكَ فيما طريقهُ العلمُ.
- إنَّ ما رواهُ أهلُ السنَّة من الأخبار يوجبُ التشبيهَ لذلكَ يجبُ ردُّه[(٢)].

أمَّا الردُّ التفصيلي فقد تتبَّع القاضي عبد الجبار كلَّ حديث من الأحاديث المرويَّة عند أهل السنَّة وطعن فيه، إمَّا روايةً أو دراية، ثمَّ ردَّه ولم يقبلهُ، وذكر ما يعارضه من أحاديث عند المعتزلة بعضها لم يثبت، وبعضها صحيح وليس صريحاً في نفي الرؤية[(٣)].

٣- مناقشة أهل السنة لأدلة المعتزلة والرد عليها:

---

(١) راجع: شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٣-٢٤٨-٢٥٢-٢٦٥-٢٦٧-٢٦٨-٢٧٤ .

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني ٤/٢٢٥-٢٢٨-٢٣٠-٢٣١ ، مختصر أصول الدين ١/١٩٠-١٩١ .

(٣) القاضي عبد الجبار: المغني ٤/٢٢٦-٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠.

أ- الرد على استدلالهم بالقرآن:

تتَّبعَ أهلُ السنَّة أدلةَ المعتزلة على نفي الرؤية وأجابوا عنها بالتفصيل، فذكروا استدلالهم بقوله تعالى: **{لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ}**[الأنعام: الآية ١٠٣] ، وقالوا بأنَّ الآية لا حجَّةَ للمعتزلة فيها، وذلك يظهرُ من وجوه:

- ليس في الآية نص على نفي الرؤية إنَّما هو كلامٌ عن الإحاطةِ، وهذا أمرٌ مسلَّم بهِ من الجانبينِ، فاللهُ تعالى لا يحاطُ بهِ وهو محيطٌ بكلِّ شيء، وإذا وردَ النصُّ بنفي الإحاطةِ فلا يلزمُ منه نفيُ الرؤيةِ بغيرِ إحاطة.
- يحملُ نفي الإدراكِ على أيامِ الدنيا، فلا تدركهُ الأبصارُ في الدنيا وتدركهُ في الآخرةِ، لأنَّ رؤيةَ الله أفضلُ النظرات.
- لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين بخلاف المؤمنين المصدقين [١] .

أما الآية الثانية وهي ما جاء في قصة سيدنا موسى:**{ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي .. }** [الأعراف: الآية١٤٣]، فقال الجويني: هذه الآية من أصدق الأدلة على ثبوت الرؤية، وقال بأنَّه يستحيل أن يجهلَ ذلك سيدنا موسى عليه السلام، وهو من اصطفاه الله للرسالة واختاره لنبوته، وخصَّه بكلامه[٢]، وقد أجابَ أهل السنَّة على استدلال المعتزلة بهذه الآية من وجوه:

- قوله تعالى" لن تراني" يختص بالدنيا دون الآخرة؛ لأنَّ رؤية الله تعالى في الآخرة ثابتة بالسمع.
- إنَّ تعليق االرؤية على جائز يخرج "لن" عن معنى التأبيد، فالآية علقت الرؤية على استقرار الجبل وهو أمر ممكن، وما علِّق على ممكن فهو ممكن.

---

(١) راجع: الأشعري: الإبانة ص ٦٣-٦٩، الباقلاني: الإنصاف ص ١٨٣، ١٨٤، الجويني: الإرشاد ص ١٨٢-١٨٣، النووي : شرح صحيح مسلم ١١/٢، ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص ١٢٩

(٢) راجع: الجويني: الإرشاد ص ١٨٣.

-إنَّ الجواب جاء بقوله تعالى: **{ لن تراني }** وليس في أنَّني لا أُرى، فعدم حصول الرؤية لسيدنا موسى عليه السلام ، إنَّما هو لعجز سيدنا موسى عن رؤيته، وليس العجز من جهة المرئي وهو الله تعالى[1].

ب- الردُّ على استدلالهم بالعقل:

إنَّ إثباتَ رؤيةِ الله تعالى لا يشترط فيها المقابلة، ولا يستدعي ذلك اتصال شعاع بالمرئي ، ولا انفصال شيء من الرائي، بل هو من قبيل تعلُّق العلم بالشيء تعلَّق انكشاف لا تعلق تأثير، فالمؤمنون يعلمون الله تعالى لا في جهة، فجاز أن يروه لا في جهة، والله تعالى يرى خلقه من غير جهة، فجاز أن يُرى في غير جهة[2].

ج- الردُّ على استدلالهم بالأحاديث:

أمَّا فيما يتصلُ بالردّ على أدلة المعتزلة واعتراضهم على الأحاديث التي أوردها أهل السنَّة، فنلخص ذلك في عدَّة نقاط:

- لو سلَّمنا لهم بأنَّ هذه الأخبار كلّها من الآحاد الذي لا يفيد العلم، فيمكن القول بأنَّ تلك الأخبار صريحة ومؤكدة لما جاء في القرآن من إمكانية الرؤية، وثبوتها للمؤمنين في الآخرة، كما إنَّ العلم يحصل من مجموع تلك الأخبار التي جعلها بعض العلماء من المتواتر، فالحجة ليست في أفرادها بل في مجموعها.
- أمَّا القول بأنَّ هذه الأخبار فيها تشبيه، فهو غير صحيح؛ لأنَّ أهل السنة جميعاً اتفقوا في فهم الأحاديث على أنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنَّه ليس في جهة، وعلى ذلك نفوا أن تكونَ في الرؤيةِ مشابهة، أو تحتاجَ للمقابلة؛ بل هي انكشاف تامّ لا على سبيل

---

(١) راجع: الأشعري: الإبانة ص ٦١-٦٢ ، الباقلاني: الإنصاف ص ١٧٧-١٧٨، الإسفراييني: التبصير في الدين ص ٩٤، الشهرستاني: نهاية الأقدام ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ٢/٢١،٢٠، الجويني: الإرشاد ص ١٧٠-١٧٢-١٧٦-١٨١ ، الزركشي: تشنيف المسامع: ٢/٧١٠-٧١١.

تعلق الحواس بالمرئي، بل على سبيل الانكشاف، كشأن العلم [1].

- وما ذكره المعتزلة من أدلة من الأحاديث لا يعارض أدلة أهل السنَّة، فليس في الأحاديث التي ذكروها ما يعارض أحاديث أهل السنَّة معارضة صريحة، فالصحيح منها له تأويل، والضعيف لا يقوى على معارضة الصحيح من أحاديث أهل السنَّة.

ونخلص من ذلك إلى أنَّ رؤية الله تعالى ممكنة في الدنيا، وثابتة للمؤمنين في الآخرة ، وكل ما ذكره المعتزلة من أدلة لا يقوى على معارضة الأدلة القطعية التي ذكرها أهل السنَّة.

ثانياً: رؤية النَّبي ﷺ لربّه ليلةَ المعراجِ:

١- المذاهبُ والأقوال:

في البداية يحسن أن نذكر بعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة ولا سيَّما أنَّها موضع اختلاف بينهم، فذكر الباقلاني والنووي أنَّ مذهب أهل السنَّة: أنَّ رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة في الدنيا، فاختلاف الصحابة في الرؤية دليل على أنَّ ذلك جائز وإلا لما وقع الخلاف فيما هو مستحيل[2]، وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها على أنَّ الله يرى في الآخرة، وأنَّه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، واستدلَّ بحديث (... لن يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى

(١) راجع: لأشعري: الإبانة ص ٦٧.

(٢) راجع: الباقلاني: الإنصاف ص ١٨١، النووي: شرح صحيح مسلم٢/٢٠، ٢١.

يموت...) [1] هذا بالنِّسبة لعامَّة البشر، أمَّا بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلَّم فالخلاف فيها قديم ومشهور، وجرى بين الصحابة أنفسهم[2].

إذًا : هناك قولان مشهوران في إثبات رؤية النبي ﷺ لربّه في الدنيا:

الأول – إنَّ النبي ﷺ لم يرَ ربَّه ليلة المعراج، وهو قول السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو أحد قولي ابن عبَّاس، وإليه ذهب جماعة من المحدثين وعلماء العقيدة.

الثاني– إنَّ النَّبي ﷺ رأى ربَّه، وقد روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن بعض الصحابة أيضًا، وعن جمهور علماء العقيدة، ونقل ابن فورك عن الأشعري أنَّه قال: " الأَولى في اختلاف الصحابة في رؤية النَّبي صلَّى الله عليه وسلم ربَّه تعالى في الدنيا: ما ذهب إليه ابن عباس من أنَّ محمدًا ﷺ رأى ربَّه في الدنيا "[3].

ولكن هل وقعت الرؤيا للنبي ﷺ– عند المثبتين– بعيني رأسه أم بقلبه؟

هناك أقوال مختلفة في ذلك:

– رجَّح النووي رؤية النبي ﷺ لربهِ ليلةَ المعراجِ بعينيهِ، ونسبَ ذلكَ لجماعة من الصحابةِ والتابعينَ والمفسِّرينَ، وقال: " فالحاصلُ أنَّ الراجحَ عند أكثرِ العلماءِ أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى ربّه بعينيْ رأسه ليلة الإسراء"[4].

–رجَّح ابن تيمية الرؤية القلبية[5]، وأجابَ عن اختلافِ الروايةِ عن الإمام أحمد بن حنبل في

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٥.

(٢) راجع: ابن تيمية : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٢٣٠ ، بغية المرتاد ص ٤٧٠.

(٣) ابن فورك: مجرد مقالات الإسلاميين ص ٧٩–٨١ .

(٤) النووي: شرح صحيح مسلم ٢/١١–١٢.

(٥) راجع: ابن تيمية :مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٢٣٠ ، بغية المرتاد ص ٤٧٠ .

رؤية النَّبي صلى الله عليه وسلَّم ربَّه في الدنيا، وهل ذلكَ بعينهِ أم بقلبهِ ؟، فقالَ: لم يثبتْ عن أحد من أئمة أهل السنَّة أنَّه قال بإثبات رؤية العين؛ بل المنصوص عن الإمام أحمد إنَّما هو رؤيته بفؤاده، وهو الذي صحَّ عن ابن عباس في صحيح مسلم أنَّه قال في قوله تعالى: **{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}** [النجم: الآية ١١] **{ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}** [النجم: الآية ١٣]: (رآه بفؤاده مرتين) [١].

٢- الأدلة:

أ- **أدلة القول الأول:**

أدلة القائلين بنفي رؤية النَّبي ﷺ لربِّه ليلة المعراج كثيرة وصحيحة، ذكر النووي وابن أبي العز الحنفي منها [٢]:

- حديث إنكار السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو عن مسروق قال: كنتُ متكئًا عند عائشة فقالت: (يا أبا عائشة، ثلاثٌ من تكلَّم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفِرْيَةَ، قلت: ما هنَّ ؟ قالت: من زعم أنَّ محمدًا ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفِرْيَةَ ، قال: وكنتُ متكئًا فجلستُ، فقلتُ: يا أمَّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألمْ يقل الله عز وجل:{ **وَلَقَدْ رءَاهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ}** [التكوير: الآية ٢٣] **{وَلَقَدْ رءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى}** [النجم: الآية ١٣] ؟ فقالت: أنا أولُ هذهِ الأمَّةِ سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنَّما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرَّتين، رأيتُه منهبطًا من السماء سادًا عظمُ خلْقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أنَّ الله يقول: **{لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ}**[الأنعام: الآية ١٠٣] أو لمْ تسمع أنَّ الله يقول: **{ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عزوجل (ولقد رآه نزلة أخرى) ١٥٨/١.

(٢) راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ١٦/٢ ، ٩ /٢٨٥، ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ١٣٤-١٣٥.

إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}[الشورى: الآية ٥١] ؟...) [(١)].

- ما جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (.. لن يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموت..) [(٢)].

- حديث أبي ذرّ ﷺ قال: سألتُ رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربك ؟ قال: (نور أنَّى أراه)[(٣)] . وفي رواية أخرى عن عبد الله بن شقيق قال: قلتُ لأبي ذرّ: لو رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته، فقال: عن أيِّ شيء كنتَ تسأله ؟ قال: كنت أسأله هل رأيتَ ربَّك ؟ قال أبو ذرّ: قد سألتُ، فقال: **(رأيت نورًا)** [(٤)] .

-حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم بخمس كلمات فقال: (إنَّ الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه...حجابه النور -وفي رواية أبي بكر: النار- لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ...) [(٥)] .

قال ابن أبي العز في توجيه الأدلة: " معنى قوله لأبي ذر: (رأيت نورًا) أنَّه رأى الحجاب، ومعنى قوله: (نور أنَّى أراه): النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنَّى أراه ؟ أي: فكيف أراه، والنور حجاب بيني وبينه يمنع من رؤيته ؟ فهذا صريح في نفي الرؤية [(٦)] .

ونقل النووي عن القاضي عياض قوله: وأنَّهم قالوا- أي مانعو الرؤية- : إنَّ سبب المنع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب قول الله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين ١٥٩/١) .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد ٢٢٤٥/٤.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب قوله: نور أنى أراه وقوله: رأيت نورًا ١٦١/١.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب قوله: نور أنى أراه وقوله: رأيت نورًا ١٦١/١.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله: إن الله لا ينام وفي قوله: حجابه النور ١٦١/١، ومعنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه: جميع المخلوقات لأنَّ بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات، ولفظة من لبيان الجنس لا للتبعيض(راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ١٨/٢).

(٦) ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ١٣٥.

هو ضعف القوى الآدمية في الدنيا عن احتمالها، كما لم يحتملها موسى عليه السلام[١].

ب- **أدلة القول الثاني:**

أمَّا أدلةُ إثباتِ الرؤيةِ ، فالصحيحُ منها ماوردَ عن ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح مسلم بروايتين:

-الأولى: قال: (رآه بقلبه) [٢] .

- الثانية: قال في قوله تعالى: **{ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رأَى }** [النجم: الآية١١] **{ وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أُخْرَى}** [النجم: الآية ١٣]: (رآه بفؤاده مرتين)[٣] .

فهذان الحديثان من أصح ما يروى في إثبات الرؤية، وهما موقوفان على ابن عباس رضي الله عنهما، وصريحان في إثبات الرؤية القلبية لا البصرية، وقول ابن عباس عمدة من أثبت الرؤية .

والنووي مع أنه ذكر أدلة القولين الأول والثاني وما احتجّوا به، لكنَّه رجَّح القول الثاني: وهو أنَّ النبي ﷺ رأى ربه في الدنيا بعينيه –كما تقدَّم–وأجاب عن حديث السيدة عائشة بقوله: إنَّها لم تنفِ الرؤية بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، ولو كان معها حديث لذكرته، وإنَّما اعتمدت على الاستنباط من الآيات[٤].

فمن خلالِ ما تقدَّم من خلافٍ وأدلةٍ نرى أنَّ هناك اتفاقًا بين أهل السنَّة على أنَّ رؤية الله تعالى لم تقع في الدنيا لأحد من البشر غير النبي ﷺ، ووقع الخلاف في وقوعها للنبي ﷺ، ثمَّ إنَّ الذين قالوا بوقوعها اختلفوا هل هي رؤية بصرية أم قلبية ؟ فالمسألةُ ليست موضعَ اتفاق، فهي مسألة ظنية لا قاطع فيها، وهي تقبلُ الاجتهاد والترجيح، وهذا ما جرى

(١) شرح صحيح مسلم ٢٨٥/٩ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عزوجل: ولقد رآه نزلة أخرى ١٥٨/١.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عزوجل: ولقد رآه نزلة أخرى ١٥٨/١.

(٤) راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ١١/٢-١٢ وراجع:ا لقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٩٥ .

عليه الصحابة والتابعون وعلماء الأمة.

الفصل الرابع: الإيمان بالملائكة

إنَّ الإيمان بالملائكة أصلٌ من أصول العقيدة الإسلامية، ويتصل به أيضاً الإيمان بعالم الجنِّ، لذلك سأتناول أولاً عالم الملائكة ثم ما يتصل بعالم الجنّ.

المطلب الأول: الإيمان بعالم الملائكة

أولاً: تعريف بالملائكة ووجوب الإيمان بهم:

الملائكةُ في العقيدةِ الإسلاميةِ: خَلْقٌ من خلقِ الله تعالى، خلقهم من نور، وهم عبادٌ مكرمون، لا يعصونَ اللهَ ما أمرهمْ ويفعلونَ ما يُؤمرونَ، لا يأكلونَ ولا يشربونَ، ولا يملّون ولا يتعبونَ، ولا يُوصفونَ بالذكورةِ ولا بالأنوثةِ ولا يتزوجونَ، ولا يعلمُ عددهم إلا الله تعالى، ويقعُ

عليهم الموتُ، ولكن لهم أجلٌ يحددهُ الله تعالى.

الإيمانُ بالملائكةِ ركنٌ من أركانِ العقيدة الإسلامية، والعلم بوجود الملائكة مما هو معلوم من الدِّين بالضرورة، فالنصوصُ الشرعية صريحة وقطعية في وجود الملائكة وضرورة الإيمان بهم والتصديق بصفاتهم ووظائفهم، ومن أنكر وجودهم فقد كفرَ.

وصفَ الله تعالى المؤمنين بأنهم: **{كلٌّ آمنَ بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ}** (البقرة ٢٨٥) وفي الحديث الصحيح: (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) [١] ، وقال تعالى مبيناً ضلال من يجحد أي ركن من أركان الإيمان ومنها الإيمان بالملائكة: **{ ومن يكفرْ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً }** (النساء ١٣٦).

فالإيمانُ بالملائكة يتضمن: الإيمانَ بوجودهم وصفاتهم ووظائفهم التي كلمنا عنها القرآن وجاءت في سنة النبي ﷺ، والإيمانَ بأسماء من عُلم اسمه(كجبريل وميكائيل وإسرافيل) أمَّا الذين لا نعلم أسماءهم فنؤمنُ بهم إيماناً إجمالياً.

ثانياً: صفات الملائكة:

عالمُ الملائكةِ من عوالم الغيب التي لا مجال للعقل فيها، لذلك لا يمكن أن نصف الملائكة إلا بالأوصاف التي جاءت في القرآن أو عن النبي ﷺ، دون أن نخوض فيما وراء ذلك بإدراكاتنا الحسية البعيدة عن عالم الغيب وحقيقته، وقد دلَّت الأدلة الشرعية على وصف الملائكة بصفاتٍ عدَّة[٢]:

الأولى: مخلوقون من نور قبلَ البشر وقبل الجانّ:

خلقَ اللهُ تعالى الملائكةَ من نور، روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ٣٦/١ .

(٢) راجع: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٢٢٩-٢٣٦.

ﷺ قال: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)[1] فنؤمن بأنَّ الله تعالى خلقهم من نور دون أن نفصل الكلام عن حقيقة النور.

ولم تُحدد المدة الزمنية التي خُلقوا فيها، لعدم وجود نصوص شرعية توضح ذلك، ولكن وجودهم كان سابقاً على وجود البشر، قال تعالى: {**وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون**}[البقرة:٣٠] [2] فاللهُ تعالى يخاطبُ الملائكةَ بأنه سيخلق خليفة في الأرض وهو آدم أبو البشر، فذلك يدلّ على أنهم مخلوقون قبل آدم ، كما إنهم خلقوا قبل الجن أيضاً، وقد جاء حديث مسلم –المتقدم– بترتيب الخلق، فأولاً الملائكة، ثم الجانّ، ثم آدم.

الثانية: لا يمكن رؤيتهم على هيئتهم الأصلية: فالله تعالى حجب الملائكة عن البشر.

فلا يستطيعُ أحدٌ أن يراهم على هيئتهم الحقيقية، إلا أن يأذن الله تعالى بذلك كما وقع للنبي ﷺ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أنَّ النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية مرتين[3] ، ولكن يمكن رؤية البشر للملائكةِ إذا تشكلتْ في صورة بشرٍ كما جاء في بعض النصوص.

الثالثة: خِلْقَتُهم عظيمة:

إنَّ خِلقةَ الملائكة عظيمة، ولا يتصَّورُ عظمَ خِلقتهمْ أحدٌ، ولكن النصوص أشارت لشيء من ذلك، فقد روى الإمام مسلم عن عائشة ﵂ أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: **{وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ}** [التكوير: ٢٣]، **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}** [النجم: ١٣] فقال: (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ٤/٢٢٩٤ .

(٢) راجع: الدكتور عمر سليمان الأشقر: عالم الملائكة الأبرار، دار الفلاح، الكويت ط٣ ١٩٨٣م، ص ١٠.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عزوجل (ولقد رآه نزلة أخرى) ١/١٥٩.

الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)[1].

الرابعة: لهم أجنحة:

فالملائكة لديها أجنحة، منهم من لديه جناح ، ومنهم من لديه اثنان أو ثلاثة، أو أربعة، أو حتى أكثر من ذلك، ولكن لا نعلم طبيعة الأجنحة ولا مكانها، فنؤمن بذلك دون أن نتخيله، قال الله تعالى : **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}**[فاطر:١] ، وجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، ففي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي عنه أن النبي ﷺ (رَأَى جِبْرِيلَ فِي صورته لَهُ سِتّمائَة جنَاح)[2].

الخامسة: لهم صور جميلة:

الملائكةُ خلقهم الله تعالى في صور جميلةٍ وكريمة، قال الله تعالى في جبريل: {**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى** }[النجم:٥-٦] قال ابن عباس: ذو مرة أي ذو منظر حسن.

وقد تقرَّر عند الناس وصفُ الملائكةِ بالجمال، كما تقرَّر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك فهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، وقد جاء ذلك على لسان النسوة في نبي الله يوسف: { **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم**}[يوسف:٣١] [3].

السادسة: لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة:

فهم منزوعو الشهوة فلا نكاح بينهم ولا تكاثر، وقد وصفَ المشركونَ الملائكةَ بأنَّهم بناتُ الله، أي أنهم إناث، فاستنكرت العديدُ من الآيات هذا الوصف، قال الله تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عزوجل (ولقد رآه نزلة أخرى) ١٥٩/١.

(٢) البخاري: كتاب التفسير، باب سورة النجم، ١٨٤٠/٤، ومسلم: كتاب الإيمان، باب في ذكر سورة المنتهى ١٥٨/١.

(٣) راجع: الدكتور عمر سليمان الأشقر: عالم الملائكة الأبرار ص ١٢.

{**وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُون**}[الزُّخرُف:١٩]، كما ذمَّ القرآنُ من وصفَ الملائكة بالإناث، وسماهم الذين لا يؤمنون بالآخرة، قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى**}[النجم:٢٧]

السابعة: لا يأكلونَ ولا يشربونَ:

فهم مجبولون على عدم وجود شهوة للطعام والشراب، فلا يطلبون الطعام والشرابَ ولا يشتهونه، فعندما جاءتْ الملائكة نبيَّ الله تعالى إبراهيمَ في صورةِ بشرٍ، وقدم إليهم الطعامَ لم تمتدَّ أيديهم إليه، قال الله تعالى: **{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ.** } [الذاريات ٢٤-٢٩].

الثامنة: لا يملّون ولا يتعبون:

فهم يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره من دون مَلَلٍ أو كَلَلٍ، ولا يدركهم ما يدرك البشر من سآمة أو تعب، قال تعالى **{فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُون}**[فُصِّلَت:٣٨] (١).

التاسعة: لهم قدرة على التشكّل بأشكال تخالف خلقتهم الأصلية:

أعطى اللهُ تعالى الملائكة القدرةَ على التشكل في هيئات مخالفة لهيئاتهم وصورهم الأصلية ، فقد جاء جبريل لمريم بنت عمران في صورة بشر سوي، قال تعالى: {**فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**}[مريم:١٧] وجاءت الملائكة إبراهيمَ عليه السلام في صورة بشريةٍ، كما جاؤوا إلى نبيّ الله تعالى لوطٍ في صورة شباب

(١) راجع: الدكتور عمر سليمان الأشقر: عالم الملائكة الأبرار ص ١٥.

وجوههم حسنة، قال تعالى: **{وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيب}**[هود:٧٧] وقد ظهر جبريلُ للنبيِّ ﷺ في صور متعددة، كصورة دحية الكلبي أو صورة أعرابي، وشاهده الصحابة في صورة أعرابي يسأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأمارتها ليُعلِّم المسلمينَ دينهم.

العاشرة: لهم سرعة عظيمة:

أعطى الله تعالى الملائكة سرعةً عظيمة، وسرعتهم فوق كل سرعة، ولا تقاس بمقاييس البشر، قال تعالى: **{تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة}**[المعارج:٤]

الحادية عشرة: التنظيم:

الملائكة منظمون في عباداتهم وسائر شؤونهم، فقد أخبر الله تعالى أنَّ الملائكة تأتي يوم القيامة في صفوف منتظمة، **{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}**[النبأ:٣٨] وقال تعالى: {**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**}[الفجر:٢٢]، وقد حثَّ النبي ﷺ المسلمينَ على الاقتداء بهم في التنظيم حين قال: (ألا تصفُّونَ كما تصفُّ الملائكةُ عند ربها؟) قيل: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: (يتمُّون الصفوفَ ويتراصُّون في الصفِ)(١).

الثانية عشرة: العصمة:

الملائكة معصومون، فليس لهم قدرة على معصية الله تعالى، فهم مجبولون على الطاعة وعبادة الله تعالى(٢)، قال تعالى عن الملائكة: **{ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}**[التحريم:٦]، وقال تعالى: **{لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة ١/٣٢٢.

(٢) راجع: الدكتور عمر سليمان الأشقر: عالم الملائكة الأبرار ص ٢٩.

يَعْمَلُون}[الأنبياء:٢٧].

ثالثاً: أعداد الملائكة:

الملائكة خلقٌ كثير لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وقد سماهم القرآن جنود الله، فقال: **{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ }**[المدَّثر:٣١]، وهم كثيرون جداً جداً، دون أن نستطيع حصرهم بعددٍ محدَّد، وهناك أحاديث كثيرة دلَّتْ على كثرتهم، منها:

- روى البخاري ومسلم أنَّ النبي ﷺ ذكر بأنَّ سبعين ألفَ ملك كلَّ يوم يحجون للبيت المعمور في السماء ولا يعودون إليه(١).

- في المستدرك للحاكم: (مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ)(٢).

- وفي حديث مسلم: (يؤتى بجهنَّم يوم القيامة يومئذ لها سبعونَ ألفَ زمام، مع كل زمام سبعونَ ألفَ مَلك يجرُّونها)(٣).

ولكلِّ إنسان ملكانِ يكتبانِ أعماله، وملائكة تحفظه، فكل ذلك يدلّ على كثرة الملائكة.

رابعاً: أعمال الملائكة ووظائفهم:

إنَّ الملائكةَ لهم علاقةٌ ببني آدم، وهي علاقةٌ وثيقةٌ فهم يقومون عليه عند خلقه، ويكلَّفون بحفظه بعد خروجه إلى الحياة، ويأتون بالوحي لأنبياء الله ورسله، ويراقبون أعمال الإنسان وتصرفاته، وينزعون روحه إذا جاء أجله(٤)، بالإضافة إلى جملة من الوظائف

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ١٠٩/٤، مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ ١٤٥/١

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الجنائز ٤٩٢/١ وقال: إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٣٧/٤ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) راجع: الدكتور عمر سليمان الأشقر: عالم الملائكة الأبرار ص ٣٨-٣٩.

والأعمال التي وكلهم الله تعالى بها، وسنوضح ذلك بشيء من التفصيل مع الأدلة من خلال ذكر أبرز الوظائف والأعمال التي وكلهم الله تعالى بها[1]:

الأولى: النزول بالوحي على الأنبياء وتقدير الأمطار والأقوات، والنفخ بالصور وقبض الأرواح: فقد وكَّل الله تعالى رؤساء الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت بوظائف خاصة لكل منهم، بالإضافة إلى وظائفهم الأخرى في عبادة الله تعالى وتأييد المؤمنين ونصرتهم والنزول بالرحمة.

فجبريل صاحبُ الوحي إلى الأنبياء والرسل، فكان ينزل بالوحي من الله تعالى على الأنبياء السابقين ونزل به على قلب خاتم النبيين مُحَمَّد ﷺ، قال تعالى: {**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**}[النجم:١٤-١٦] وقال تعالى: {**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِين**}[البقرة:٩٧].

وميكائيل موكَّل بالأرزاق والأمطار، وإسرافيل صاحب الصور الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى عند قيام الساعة، ومن ثم ينفخ فيه ثانية لبعث الخلائق بعد الموت، وملك الموت هو رئيس الملائكة الموكلين بقبض أرواح الخلائق، قال تعالى: {**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون**}[السجدة:١١].

الثانية: ملائكة موكلون بحمل عرش الله تعالى وذكر الله تعالى والاستغفار للمؤمنين: قال تعالى: {**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيم**}[غافر:٧]، وقال تعالى: {**وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** }[الزُّمَر:٧٥]،

(١) راجع: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٢٣٧-٢٤٣.

الثالثة: ملائكةٌ موكَّلون بأهلِ الجنةِ وعلى رأسهم رضوان خازن الجنة، وملائكةٌ موكَّلون بأهل النار وعلى رأسهم مالك خازن النار: قال تعالى: {**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِين**}[الزُّمَر:٧١] وقال تعالى: {**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِين**}[الزُّمَر:٧٣]

الرابعة: وملائكة موكَّلون ببني آدم من أجل نفخ الأرواح في الأجنة وكتابة مستقبل أعمالهم وآجالهم وأرزاقهم وسائر أحوالهم: جاء في حديث البخاري ومسلم: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ)(١).

الخامسة: ملائكة يتعاقبون على الإنسان بالليل والنهار، موكلون بحفظ الإنسان: قال تعالى: {**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ** }[الرعد:١١].

السادسة: ملائكة كرام كاتبون موكَّلون بمراقبة أعمال المكلفين وحفظها وإحصائها وتسجيلها في صحف: قال تعالى:{**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد، مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد**}[ق:١٧-١٨] وقال تعالى: {**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِين، كِرَاماً كَاتِبِين، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُون**}[الانفطار:١٠-١٢].

(١) أخرجه البخاري: كتاب القدر، باب في القدر ١٢٢/٨، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ٢٠٣٦/٤.

المطلب الثاني: الإيمان بعالم الجنِّ

أولاً: تعريف بالجن ووجوب الإيمان بهم:

الجنُّ نوعٌ من المخلوقات العاقلة المريدة المكلَّفة ، مخلوقون من النار، مستترون عن الحواس، لا يُرون بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكّل، يأكلون ويشربون ويتناكحون، ولهم ذرية، ويحاسبون على أعمالهم في الآخرة.

والإيمان بالجن وصفاتهم من مُسّلمات العقيدة الإسلامية، فلا يجوز إنكارُ عالم الجنّ أو تأويلهُ أو اختراعُ أوصاف وأفعال ليست له، فالقرآن الكريم تعرّض لذكر الجنِّ في أربعين آية، مؤكداً على صفاتهم وأفعالهم والغاية من وجودهم، قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** }[الذاريات: ٥٦-٥٧] وقال تعالى: {**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَان**}[الرحمن:٣٣].

ولا نعرفُ عن حقيقة هذا العالم إلا ما جاءنا عن طريق القرآن وسنة النبي صلى الله ﷺ، لأننا لا نتصل بهم عن طريق الحسِّ اتصالاً يفيد العلم اليقيني حتى نعرف تكوينهم وحقيقتهم، وحسبنا أن نقتصر على ما وردت به النصوص.

ثانياً: صفات الجن:

من خلال الآيات والأحاديث يمكن لنا أن نعرف أهم صفات الجنّ، ومن تلك الصفات[1]:

١- مخلوقون من مارج من نار:

الجنُّ مخلوقون من مارجٍ من نار، أي: من أخلاط نارٍ صافية، وفي بيان عنصر خلقهم قال الله تعالى:{ **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ** }[الرحمن:١٤-١٥] كما ذكر القرآن لنا حقيقة خلقهم في احتجاج إبليس على ربّه حين أمره بالسجود لآدم فلم يسجد، وادَّعى أنّ عنصره الناري الذي خُلقَ منه أفضلُ من عنصر آدمَ الطيني، فقال: **{ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِين}**[الأعراف:١٢].

٢-مخلوقون قبل الإنس:

والدليل على ذلك قوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم}**[الحِجر:٢٦-٢٧] أي أنَّ الجانَّ خُلِقَ قبل الإنسان، دون تحديد المدّة التي تفصل بين خلق الجانِّ وخلق الإنس.

٣- يتناسلون ولهم ذرية:

الجنُّ يتناسلون ولهم ذرية، والدليل على ذلك قوله تعالى عن إبليس: **{ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً}**[الكهف:٥٠] ووصف الله

(١) راجع: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٥٣٧-٥٤٥ ، الدكتور عمر سليمان الأشقر: عالم الجن والشياطين ، مكتبة الفلاح، الكويت ط٤ ١٩٨٤م، ص ١١-٤١.

تعالى الجنَّ بأنَّ فيهم رجالاً كالإنس، قال تعالى: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}**[الجن:٦]، فإذا كان فيهم رجال فيقتضي أن يكون فيهم نساء، وأن تكون لهم ذرية، شأنهم بذلك كالإنس.

٤-يروننا من حيثُ لا نراهم:

أعطى الله تعالى الجنَّ قدرة على رؤية بني آدم، دون أن يراهم بنو آدم، قال تعالى عن إبليس وجماعته:**{ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ }**[الأعراف:٢٧]، وهذا لا يعني أنه لا يمكن رؤية الجن مطلقاً، وإنما يعني أنه لا يمكن رؤيتهم على حقيقتهم، أما إن كان للجنِّ تشكلٌ فيمكن لبعض الناس أن يروهم.

الخامسة: مخلوقات قابلة للعلم والمعرفة ولهم إرادة واختيار:

الجنُّ مخلوقات قابلةٌ للعلم والمعرفة، ولها إرادة واختيار كالإنسان، فهم مكلَّفون مثلنا بالإيمان والعبادة، منهيون عن الكفر والعصيان، والدليل على تكليفهم ما جاء من خطاباتِ التكليفِ والتحدِّي في القرآن الكريم، فقد جمع الله تعالى فيها بين الجنّ والإنسِ، قال تعالى في سورة الذاريات:**{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}**[الذاريات:٥٦]، أي: حكمة خلق الإنس والجنّ هي العبادة لله تعالى، وقال تعالى: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِين}**[الأنعام:١٣٠]، فالله تعالى خاطب الجن والإنس بالتكليف عن طريق الرسل، ولكن تكليف الجن يختلف عن تكليف الإنس في قضايا الشريعة والأحكام ويتناسب مع حالهم وخلقتهم.

٦- الجن قسمان: مؤمنون وكافرون:

الجن قسمان: مؤمنون وكافرون، وهذا تابع لما منحهم الله به من إرادة واختيار، فبعضهم مؤمن وبعضهم كافر ، وبعضهم صالح وبعضهم فاجر، كل ذلك بحسب اختيارهم،

فالكافرون من الجن هم الشياطين، قال تعالى حكاية عن الجن واختلاف أحوالهم بين الإيمان والكفر والضلالة والهدى: **{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً }**[الجن:١-٢] وقال تعالى على لسان الجن:**{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً }**[الجن:١٤- ١٥].

٧- يحشرون يوم القيامة ويحاسبون على أعمالهم:

يحشرُ الجنُّ يوم القيامة ويحاسبونَ على أعمالهم، فيثابون ويعاقبون؛ لأنهم مكلفون بالإيمان ومطالبون بالتكاليف التي تتفق مع خلقهم ووجودهم الخاص، قال تعالى: **{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم}**[الأنعام:١٢٨] وقال الله تعالى -مقرراً عقوبة الكافرين من الجن والإنس معاً - في سورة هود: **{ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين}**[السجدة:١٣] .

٨-لهم قدرات عظيمة ومهارات صناعية كبيرة:

ذكر القرآن صوراً لقدرات الجن ومهاراتهم، فقد سخر الله لسليمان الجنّ فكانوا يقومون له بأعمال البناء والغوص في البحار، والأعمال الصناعية الكبرى، كالجفان الكبيرة والقدور الراسية والأعمال الفنية الضخمة، قال تعالى:**{فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَاب والشياطين كل بناء وغواص}**[ص:٣٦-٣٧] ، وقال تعالى: **{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ }**[سبأ:١٣].

وقال تعالى حكاية لقول أحد الجنّ من جنود سليمان الذين سخرهم الله له، ويتكلم عن قدرته في إحضار مُلك بلقيس ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام: **{قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ**

الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِين}[النمل:٣٩].

التاسعة: لهم قدرة على التشكل بالأشكالِ الجسمية التي يمكن أن نراها بحسب استعداداتنا البشرية:

فالجنُّ يمكن أن يتشكَّلوا ويتمثَّلوا بصور شتَّى، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : (إِنَّ عفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ تَفلَّتَ عليَّ الْبارحةَ ليقْطَعَ علَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمكنَنِي اللَّهُ منهُ فَأَردتُ أَن أَرْبطَه إِلَى سارية مِنْ سوَارِي الْمسْجد حَتَّى تصبحوا وَتنظروا إِلَيه كلُّكمْ فذكرت قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: **{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي }**[ص:٣٥] (١).

وجاء في حديث طويل عند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ) ثم عاد للمرة الثانية والثالثة، فأراد أبو هريرة أن يرفعه إلى رسول الله ... فقَالَ له: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، فقال أبو هريرة: مَا هُوَ؟ قَالَ : (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: **{اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}** [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ)، فخلّى أبو هريرة سبيله ...وفي نهاية الحديث قال رسول الله ﷺ: (تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: لاَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ)(٢).

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة ٣٨٤/١.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً ١٠١/٣

ثالثاً: تأثير الجنّ على الإنسِ:

إنَّ بعضَ الناسِ يتخوفُ من عالمِ الجنّ وينسب لهم تأثيرات كثيرة على حياة الإنسان وجسمه وتصرفاته وعقائده وإرادته، مع أنَّ الله تعالى بين لنا في آيات كثيرة ضعف الجن وعجزهم عن إيذاء الإنسان والتأثير عليه، فقال تعالى مبيناً ضعف كيد الشيطان: **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}**[النساء:٧٦] ، وقال تعالى في موضع آخر حكاية عن الشيطان يوم القيامة: **{ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم }**[إبراهيم:٢٢]، فالشيطان يتبرأ يوم القيامة من أي تأثير وسلطان ويقول لمن استسلم لأوهامه فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، فليس لي سلطان على إضلالكم ولكن أنتم استجبتم .

وهذا يؤكد على أنَّ ما يقع من تأثير من خبثاء الجن فهو ضعيف، وتأثيره لا يكون على المؤمنين الصادقين، وإنما يكون لمن يستكين بأوهامه وتخيلاته لسلطانهم، قال تعالى:**{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}**[الحِجر:٤٢]، وقال تعالى موضحاً حال فئة من الناس كانوا يستسلمون للجن ويلتجئون إليهم فيزدادون تخبطاً وشدة: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}**[الجن:٦]

كما أنَّ حدودَ هذا التأثير لا يمكن أن يصل إلى تغيير عقائد الناس وإراداتهم- كما يتوهم بعض الناس- ذلك أنَّ الله تعالى جعل الإنسان مكلفاً ومسؤولاً عن عمله، فلو سلَّط الله تعالى الجنَّ على إرادة الإنسان لسقط عنه التكليف والمسؤولية.

وقد جاءت الآيات الكثيرة التي توضح بعض أنواع التأثير مع ذكر الأمور التي تحفظ الإنسان وتحميه من تأثير الجن، وسأوضح ذلك من خلال الآيات:

- النزغ: قال تعالى:**{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}**[فُصِّلَت:٣٦].

– **الوسوسة:** قال تعالى:{**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس**}[الناس:٥].

– **الطائف:** قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُون**}[الأعراف:٢٠١].

– **التخويف:** قال تعالى: {**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين**}[آل عمران:١٧٥].

– **الوعد:** قال تعالى:{**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم**}[البقرة:٢٦٨] {**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ** }[إبراهيم:٢٢]

– **التزيين:** قال تعالى:{**تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم**}[النحل:٦٣].

فالآياتُ التي تقدمت تشرح حدود تأثير الجن، من نزغ ووسوسة وتخويف وطائف ووعد وتزيين، وكل ذلك يتخاذل أمام حزم المؤمن وإرادته والتجائه إلى الله تعالى بالاستعاذة والذكر والمراقبة، لذلك كانت الآيات تذكر تأثير الشيطان وفي الآيات نفسها تذكر معه الوقاية والحماية منه، فالنزغ والوسوسة تقابلهما الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه، والتخويف تقابله الثقة بالله والخوف منه وحده، والوعد تقابله الثقة بوعد الله تعالى وعدم الاستسلام للأوهام.

رابعاً: أخبار الجنّ وعلومهم:

للكلام عن الأخبار والعلوم التي يلقيها الجن للإنس نحتاج أن نفصل بين نوعين من العلوم والأخبار[1]:

(١) راجع: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٥٤٧–٥٤٨.

النوع الأول: الأخبار والعلوم المشهودة:

الجنُّ لهم اتصال بعالمنا المشهود فيطَّلعون على بعض الأخبار والأحداث والوقائع التي تتعلق بالأمور المشهودة أو الأخبار عن الوقائع الماضية، وكل ذلك ليس غيباً ، وإنما هي أخبار مشهودة، ونقلها عن طريق الجن يحتمل الصدق والكذب فلا يجوز الاعتماد على كلامهم وما يلقونه للإنس، لأننا لا نملك مقاييس للتفريق بين كذبهم وبين صدقهم.

النوع الثاني: الأخبار والعلوم الغيبية

الخبر الغيبي قسمان:

الأول: غيب نسبي وهو يتعلق بالمغيبات التي قُضيَ أمرها في السماء، وأصبحت معلومة لذوي الاختصاص من الملائكة، كما أصبحت معدَّة لتبليغها للملائكة، فقد يعلمها الجن لأنها أصبحت من العلوم المشهودة، ولكن الجنَّ ينقلونها ويكذبون في تبليغها، وهذا ما جاء صريحاً في حديث البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الْملائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ -وَهُوَ السَّحَابُ- فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)[1].

الثاني: غيب مطلق: ويتضمن العلوم والأخبار التي استأثر الله بعلمها كما جاء في قوله تعالى:**{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}[الأنعام:٥٩]** وقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**[لقمان:٣٤]، فلا يمكن لإنس ولا جن أن يعرف ذلك، ولا يكون التحدّث بشيء

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب ذكر الملائكة ١١١/٤.

منها إلا كذباً وافتراء على الله تعالى.

فالجنُّ لا يستطيعون الاطلاع على هذا الغيب، وقد جاء في قصة سليمان مع الجن ما يؤكد ذلك بشكل قطعي، فسيدنا سليمان قبضه الله عز وجل وهو مستندٌ إلى عكازهِ قيل: بقي مدة طويلة، إلى أن جاءت دابَّة الأرض – حشرة صغيرة- ونخرت في هذه العكَّازة، فلما أتت عليها كلها انكسرت فوقع سيدنا سليمان، قال تعالى مخبراً عن ذلك وموضحاً جهل الجنّ بالغيب وعدم اطلاعهم عليه:**{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ}**[سبأ:١٤].

فكان سليمانُ يكلّفهم بأعمال شاقة وكانوا يتحملونها خوفاً منه، واستمروا على عملهم وهو ميت على عكازته، فلو أنهم يعلمون الغيب لعلموا بموته وتركوا أعمالهم، فالله تعالى جاء بهذه القصة ليؤكد بشكل قاطع، ودليل جازم أنَّ الجنَّ لا يعلمون من الغيب شيئاً.

الفصل الخامس: الإيمانُ بالكتب الإلهية والأنبياء والرسل

المطلب الأول: الإيمان بالكتب الإلهية

أولاً: حقيقة الإيمان بالكتب الإلهية:

من أصولِ عقيدةِ المسلم الإيمان بجميع ما أنزله الله تعالى على الأنبياء السابقين، وعلى نبينا مُحَمَّد ﷺ، وهذا يتضمن أمرين:

الأول: الإيمان بما ذكره الله تعالى من هذه الكتب على وجه التعيين والتحديد وهي:

١- القرآن الذي أُنزل على خاتم النبيين محمدٍ ﷺ، قال تعالى: **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ }**[يوسف:٣]، وقال تعالى: **{طهَ، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}**[طه:١-٢]وقال تعالى: {**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل**}[آل عمران:٣].

٢- صحفُ إبراهيم عليه السلام: قال تعالى: **{إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}**[الأعلى:١٨-١٩].

٣- توراة موسى عليه السلام : قالَ تعالى: **{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}** [المائدة:٤٤] (المائدة ٤٦)، وقالَ تعالى:{ **وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل**}[آل عمران:٣].

٤- زبورُ داود عليه السلام: قال تعالى: { **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**} [النساء:١٦٣].

٥-إنجيلُ عيسى عليه السلام: قال تعالى عن عيسى عليه السلام: **{ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ }**[المائدة:٤٦]، وقال أيضاً: {**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ**

مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ }[الحديد:٢٧]

الثاني: الإيمان العام بالكتب الإلهية وبكل ما أنزله الله تعالى على أنبيائه ورسله، فكتبُ الله تعالى ليست محصورة في هذه الكتب، بل إنها أكثر من ذلك بكثير؛ لأنَّ الله تعالى قد بعث في كلِّ أمةٍ رسولاً وجعل لكلِّ قوم هادياً وأرسل إلى كل أمة نذيراً ، وأعطى لهؤلاء الهداة والرسل والمنذرين ما يكون سبيلاً لهداية أقوامهم، وإن لم نطّلع عليه تحديداً أو نعلمه تفصيلاً.

ثانياً: الموقف من الكتب السابقة:

إذا كان الإسلام يطلبُ من أتباعه الإيمان بكل الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله إلا أنه قد أوضح أنه لم يبق من تلك الكتب أي كتاب محفوظ إلا القرآن الكريم، أمَّا ما سواه فهو إمَّا أنه ليس بأيدي الناس كصحف إبراهيم وما أنزله الله من وحي على نوح ويونس وهود وإلياس وأمثالهم ممن لم نعرف كتبهم، وإما أنه بأيدي الناس ولكن لحقهُ التحريف والتبديل كما هو حال التوراة والإنجيل، وقد جابهَ القرآنُ أصحابَ الكتابيْن وبينَ أنهم قاموا بتحريفهما وتبديلهما، فبدلوا كلام الله تعالى وغيروه وأضافوا إليه وحذفوا منه، فقال تعالى: **{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ }** (البقرة: الآية ٧٩)، وقال تعالى: **{ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }** (البقرة: الآية ٧٥) ، وقال أيضاً: **{ مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ }** (النساء: الآية ٤٦).

ولأنَّ الكتب الباقية كالتوراة والإنجيل دخلها التحريف والتغيير نزل القرآن مهيمناً عليها، يصدّق ما جاء بها من وحي الله تعالى لأنبيائه، ويكشفُ ما دخلها من تحريف وتغيير، قال تعالى: {**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا**

عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ }[المائدة:٤٨] فالقرآن مهيمن على الكتب السابقة لأنه محفوظ بحفظ الله تعالى له، ولا يأتيه الباطل ولا يجري عليه التحريف والتغيير، قال تعالى: **{ إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون}** (الحجر ٩) وقال تعالى: **{ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد}** (فصلت ٤١-٤٢).

فجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكامها إلا ما صحَّ وأقرَّه القرآن.

ثالثاً: مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية:

إنَّ الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله تتفق مع بعضها في أشياء وتختلف في أشياء أخرى.

١-**مواضع الاتفاق:** تتفق الكتب السماوية في أمور عديدة منها:

أ- وحدة المصدر: فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله تعالى، قال تعالى: **{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل}**[آل عمران:٣].

ب- وحدة الغاية: فالكتب السماوية غايتها واحدة، فكلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، وتعاليم الكتب الإلهية واحدة هي أساس دعوة الأنبياء، قال تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** فَمِنْهُم}[النحل:٣٦].

ج- مسائل العقيدة: فالكتب الإلهية جميعها اشتملت على الإيمان بالله تعالى وصفاته ومسائل العقيدة الأخرى، كالإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر ومسائل الغيب.

د- العدلُ والقسط: وهذا من مواطنِ الاتفاقِ؛ فجميع الأنبياء عليهم السلام حملوا ميزان

العدل والقسط، قال تعالى: **[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ]**(الحديد: ٢٥).

هـ- القواعدُ العامَّةُ في التكليف ومكارم الأخلاق: فالكتبُ السماويةُ تقرّرُ القواعد العامة في التكليف ومكارم الأخلاق، ومنها[١]:

- قاعدة الثواب والعقاب وأنَّ الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره كما قال تعالى: **{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى}**[النجم:٣٧-٤١].
- قاعدة تزكية النفس، وبيان أنَّ الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتزكية النفس بالطاعة لله تعالى، والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل، قال تعالى: **{ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}** [الأعلى: ١٤ـ١٩].
- قاعدة أنَّ الذي يستحق وراثةَ الأرض هم عبادُ الله الصالحون، قال تعالى: **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}**[الأنبياء:١٠٥].

٢-مواضع الاختلاف:

تختلفُ الكتبُ السماويةُ في الشرائع، فشريعة عيسى عليه السلام تخالف شريعة موسى عليه السلام في بعض الأمور، وشريعة مُحَمَّد ﷺ تخالف شريعة موسى وعيسى عليهما السلام في أمور، قال تعالى: **{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }**[المائدة:٤٨] وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافاً كلياً؛ فالناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية، وقد

(١) راجع: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٢٥٢-٢٥٣.

مرَّ بنا شيء من ذلك، فالاختلاف بينها إنما يكون في تفصيل الأحكام وهيئاتها، فعدد الصلوات، وأركانها، وشروطها، ومقادير الزكاة، ومواضع النسك، ونحو ذلك تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يُحِلُّ اللهُ أمراً في شريعة لحكمة، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة يعلمها الله تعالى، ويلزم أن نعلمها، ومن الأمثلة ذلك: ما تميزت به الشريعة الخاتمة أنها عامة لجميع الناس إلى قيام الساعة، بخلاف الشرائع الأخرى، فهي خاصة بقوم دون قوم، أو فترة دون فترة.

المطلب الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

أولاً: تعريف النبي في اللغة والاصطلاح:

١- النبي لغة:

النبوة مأخوذة من النبأ، وهو الخبر؛ قال تعالى : **{عَمَّ يَتَسَاءلُون، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ }**[النبأ:١-٢] وإنما سُمي النبي نبيًّا لأنَّه مُنبَأ؛ أي: مُخْبَر من الله عزَّ وجلَّ أي: يُوحِي اللهُ إليه نبأً من شَرعِه؛ قال تعالى :**{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا }**[التحريم:٣]، وهو أيضًا مُنْبِئٌ؛ أي: مُخبِر عن الله عزَّ وجلَّ بما يُوحِيه الله إليه من أمره وشرعه؛ قال تعالى:**{نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيم}**[الحِجر:٤٩].

وقيل: النبي مشتق من النَّبْوَة؛ أي: المكان المرتفِع من الأرض، فمُرتفعات الأرض أشرافُها، فإنَّ العرب تُطلِق لفظ (النبيّ) على العَلَمِ من أعلام الأرض التي يُهتدَى بها؛ لشرفها وإشرافها على ما سواها.

فالرَّبط بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضحٌ؛ وذلك لأنَّ النبي ذو رفعةٍ عند الله تعالى في الدُّنيا والآخِرة، وذو شَرَفٍ وسُؤدُد في قَومِه، وهو مُنبَّأٌ من الله تعالى بأمره الديني الشرعي الذي يهتَدِي به العباد ويسعَدُوا في دُنياهم وأُخراهم، وهو يُنبئهم بذلك؛ أي: يُخبرهم به[1].

٢- النبيُّ اصطلاحاً:

النبي في الاصطلاح الشرعي: إنسانٌ حرٌّ ذكَر أُوحِي إليه بشرعٍ، وبُعِث إلى قومٍ مؤمنين بشرعٍ سابق.

ثانياً: تعريف الرسول في اللغة والاصطلاح:

١- الرسول لغة:

مأخوذٌ من البعثِ وهو الإرسال والتوجيه؛ فالرسول هو المبعوث الملوجَّه برسالة؛ قال

(١) راجع: القاضي عياض: مشارق الأنوار ٢/٢.

تعالى عن ملكة سبأ :{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُون}[النمل:٣٥]

فالرُّسلُ عليهم الصلاة والسلام إنما سُمُّوا رسلاً؛ لأنهم بُعثوا من قِبَلِ الله تعالى برسالةٍ حملوها وأُمِروا بتبليغها للناس؛ قال تعالى :{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ}[النحل:٣٦] وقال تعالى :{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا }[المؤمنون:٤٤].أي: بعثناهم يتبع بعضهم بعضًا.

٢- **الرسول اصطلاحاً:**

إنسان حرٌّ ذكَر أُوحِي إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه لقومٍ كافرين، أو لم تبلغهم رسالةٌ سابقة.

ثالثاً: الفرق بين النبي والرسول:

١- الخلاف بين العلماء:

اختلف العلماء في هذه المسألة بناء على الأدلة التي تناولت موضوعات النبوة والرسالة، وأحوال الأنبياء والرسل، ويمكن إجمال الخلاف في رأيين:

أ- ذهب بعض العلماء إلى أنَّ الكلمتين مترادفتان تردان على معنى واحد، فكل نبي رسول وكل رسول نبي، إلا أنه يسمَّى رسولاً من حيث إنه أرسل للناس، ويسمى نبياً من حيث إنه نبئ وأوحي إليه(١).

ب- ذهب جمهور العلماء إلى القول بوجود فرق بين النبوة والرسالة، ولكنهم اختلفوا في تحديد الفرق بينهما، واشتهر بينهم القول بأنَّ النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وأنَّ الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

وقد استدلوا بعدةِ أدلة لقولهم بالتفريق بين النبي والرسول، منها:

- قوله تعالى :{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ }[الحج:٥٢]، فالعطف بين

(١) راجع: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٢٦٢.

الرسول والنبي بـ(حرف الواو) يدل على المغايَرة والاختلاف ، أي: إنَّ الذي بعد الواو مُغايِرٌ للذي قبلها [1].

- أنَّ الله تعالى وصَف بعضَ أنبيائه بالإرسال والنبوَّة معًا، ووصَف آخَرين بالنبوَّة فقط في مواضع أخرى؛ مما يدل على وجود فرق بينهما، قال تعالى عن موسى :**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}**[مريم:٥١] وقال عن إسماعيل :**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}**[مريم:٥٤]، وقال عن إسحاق :**{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِين}**[الصافات:١١٢]، فهناك من اجتمعت فيه النبوة والرسالة مثل موسى وإسماعيل، وهناك من خصّه الله تعالى بالنبوة فقط مثل إسحاق.

٢- المناقشة والترجيح:

من خلال التتبُّع والاستقراء لأحوال الأنبياء والرسل عليهم السلام، والنُّصوص الواردة بشأنهم، وعلاقتهم مع أقوامهم، نلحظ أنَّ هناك فرقاً بين الأنبياء والرسل، إلا أنهُ لا يصحُّ ما اشتهرَ عن بعضِ العلماءِ من القولِ بأنَّ الفرقَ بينهما أنَّ النبيَّ هو مَن جاءهُ الوحيُ ولم يؤمرْ بالتبليغ، وأنَّ الرسول هو من جاءه الوحي وأمر بالتبليغ، لأنَّ الله تعالى أوحى لجميع أنبيائه ورسله، وأمرهم بتبليغ الوحي والرسالة التي أوكلها إليهم.

ويترجح لدي أنَّ الفرق بين النبي والرسول في أمر آخر أشار إليه ابن عاشور في تعريف النبي والرسول، فقال: "فالرسولُ هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة، والنبي من أوحى الله إليه بإصلاح أمر قوم بحملهم على شريعة سابقة أو بإرشادهم إلى ما هو مستقرٌ في الشرائع" [2].

وسنوضح ذلك ونؤكده من خلال ذكر الأمور التي يشترك فيها كل من الأنبياء والرسل، والأمور التي يفترقون فيها:

---

(١) راجع: الألوسي: روح المعاني ١٦٥/٩.

(٢) راجع: ابن عاشور: التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر ١٩٨٢م، ٢٩٧/١٧.

أ- المشترك بين الأنبياء والمرسلين:

- **الوحي** : يشترك النبي والرسول في تلقي الوحي من الله تعالى، قال تعالى :**{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}**[النساء:١٦٣]، فالوحي من الله تعالى مشترك بين الأنبياء والرسل، فلا تثبت نبوة أو رسالة دون وحي من الله تعالى.

- **الإرسال من الله تعالى:** فالله تعالى يرسل الأنبياء والمرسلين إلى أقوام ليبلغوهم شرع الله تعالى وأحكامه، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ }**[الحج:٥٢]، فالله تعالى أرسل الأنبياء والرسل وأمرهم بالتبليغ، فالإرسال يقتضي التبليغ، ولا يجوز للنبي أو الرسول أن يكتم الوحي من الله تعالى، أو أن يمتنع عن تبليغه للناس، قال تعالى مبيناً أن الأنبياء أيضاً أمروا بالتبليغ والحكم بين الناس: **{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ }**[المائدة:٤٤] [(١)].

- التبشير والإنذار: فالله تعالى بعث النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين، فقال تعالى في حق الرسل: **{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ }**[الأنعام:٤٨] وقال تعالى في حق النبيين:**{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ }**[البقرة:٢١٣].

ب- المختلف بين النبيين والمرسلين:

-أنَّ النبيَّ يُرسَل إلى قومٍ مؤمنين برسالةٍ سابقة، والرسول يُرسَل إلى قومٍ لم تبلُغْهم رسالةٌ من قبله، أو بلغَتْهم ولكن كفَرُوا فخالَفوا أمرَ الله تعالى، وممَّا يُوضِّح ذلك أنَّ إسحاق وإسماعيل - وهما أخوان من ذريَّة إبراهيم عليهم الصلاة والسلام - وصِفَ إسحاق بالنبوَّة، ووصف إسماعيل بالرسالة والنبوَّة معًا؛ ذلك - والله أعلم - لأنَّ إسحاق خَلَفَ أباه إبراهيم فصار نبيًّا

(١) راجع: د. عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات ص ١٤.

لأتْباع إبراهيم وفي رسالته، وإسماعيل أُرسِل إلى (جُرْهُم) الذين لم تبلغهم رسالة إبراهيم قبله، -أنَّ النبي لا ينزل عليه كتاب وإنما يُؤمَر باتِّباع كتاب مَن قبله، أمَّا الرسول فغالبًا ينزل عليه كتابٌ، أو قد يُكلَّف باتِّباع كتاب مَن قبله[1].

المطلب الثالث: الوحي

أولاً: معنى الوحي لغة وشرعاً:

هناك تلازم بين الرسول والوحي، فلا رسالة ولا نبوة بلا وحي من الله تعالى، ولكن ما هي حقيقة الوحي وما هي أنواعه، وكيف يكون وحي الله تعالى لأنبيائه ورسله.

١- الوحي لغة:

استعمل لفظ الوحي في اللغة العربية استعمالات عديدة، فمادة الكلمة تدل على معنيين أصليين، هما: الخفاء والسرعة، ولذا قيل في معناه: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجّه إليه بحيث يخفى على غيره، وهذا المعنى اللغوي للوحي يشتمل على عدة أنواع:

(١) راجع: د. عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات ص ١٥.، كما ذكر العلماء دليلاً آخر على أنَّ النبوة ليس شرعاً جديداً، بل تكون عن طريق العمل بشرع سابق، كما عملَ شيث ابن آدم بشرع أبيه آدم عليهما السلام، وشيث هو نبي جاء النص على نبوته في حديث ابن حبان وأن الله تعالى أنزل عليه خمسين صحيفة (راجع: صحيح ابن حبان ٧٦/٢).

أ–الإلهام الغريزي: كالوحي إلى النحل؛ قال الله تعالى: **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُون}**[النحل:٦٨] أي: ألهم الله تعالى النحل.

ب–الإلهام الفطري : كالوحي إلى أمّ موسى، قال تعالى: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ }**[القصص:٧].

ج–وسوسة الشيطان: قال تعالى: **{ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ }**[الأنعام:١٢١].

د–الإشارة السريعة: كإشارة زكريا عليه السلام لقومه على سبيل الرمز، قال تعالى: **{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}**[مريم:١١].

هـ–الإلقاء من الله تعالى للملائكة: قال تعالى: **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ }**[الأنفال:١٢].

٢–الوحي في الشرع:

الوحي في الشرع: إعلام قطعي من الله تعالى لنبيّ من أنبيائه أو رسول من رسله بحكم شرعي ونحوه.

ويترتب على هذا التعريف عدة أمور تفرق بين المعنى العام للوحي، والمعنى الشرعي الذي يختص بأنبياء الله تعالى ورسله[(١)]:

أ–الوحي يكون من الله تعالى، المحيط علمه بكل شيء، قال تعالى:**{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ }**[الشورى:٥٢].

ب–أنَّ الرسول أو النبي يتلقى هذا العلم الإلهي وهو مستجمع كامل شعوره الفكري

(١) راجع: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٢٧٢ وما بعدها.

والوجداني حول ما يلقى إليه، دون أن يكون لإرادته واختياره تدخل في مضمون ما يلقى إليه قال تعالى:{**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**}[النجم:٣-٤].

ج-إنَّ ما يلقى من وحي إلى النبي أو الرسول يقع في نفسه موقع العلم اليقيني القاطع بصحة التلقي عن الله سبحانه، بحيث لا يعتريه في ذلك أدنى تردد أو شك، قال تعالى: {**لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِين**}[يونس:٩٤].

د- إنَّ ظاهرةَ الوحي هي ناموس إلهي به يتلقى جميع الرسل والأنبياء ما يلقى إليهم من أمر، قال تعالى: {**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** }[النساء:١٦٣].

ثانياً: أنواع الوحي:

يأتي الوحي من الله تعالى لأنبيائه ورسله على ثلاثة أنواع، ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة: {**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم**}[الشورى:٥١].

١- إلقاء المعنى في القلب: وقد يعبّر عنه بالنّفث في الرّوع، قال صلّى الله عليه وسلّم :(إنَّ روح القدس نفثَ في رُوعي[١]: إنَّ نفساً لن تموت حتى تستكملَ رزقها وأجلها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)[٢].

٢- الكلام من وراء حجاب: وهو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه السلام نداء ربه من وراء الشجرة، قال تعالى :{**فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ** } (القصص: ٣٠).

٣- هو ما يلقيه ملك الوحي المرسَل من الله تعالى إلى رسول الله: فيراه متمثلاً

---

(١) بضم الواو: أي قلبي .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٦/١٠، وأخرجه الحاكم بلفظ قريب في المستدرك: كتاب البيوع ٥/٢.

بصورة رجل أو غير متمثل، ويسمعه منه أو يعيه بقلبه، وهذا النوع الثالث أشهر الأنواع وأكثرها وقوعاً، ووحي القرآن كلّه من هذا القبيل، وهو المسمّى(الوحي الجلي) قال تعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}** (الشعراء: ١٩٣- ١٩٥).

ثالثاً: حالاتُ الوحي للنبي مُحَمَّد ﷺ:

كان جبريل عليه السلام يأتي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على حالات متنوعة[١]:

١- فتارة يظهر للرسول في صورته الحقيقية الملكية، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : **{لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى }**(النجم:١٨) قال: رأى جبريل في صورته، له ستمائة جناح[٢].

٢- وتارة يتمثَّل بصورة إنسان يراه الصحابة ويستمعون إليه، كما في حديث عمر ﷺ الذي رواه البخاري:(بينما نحن جلوس عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) ، وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم في آخر الحديث : (إنّه جبريل جاء يعلّمكم دينكم) [٣] ، وكان كثيراً ما يأتي في صورة (دحية الكلبيّ) [٤] الصحابي الجليل، وكان دحيةُ من أجمل الصحابة.

٣- وتارة يهبط الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر التّغيّر والانفعال على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيغطّ غطيط النائم، ويثقل ثقلاً شديداً حتى قد يتصبّب جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد.

٤-وقد يكون وقعُ الوحي على رسول الله كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وذلك أشدّ أنواعه، روى البخاري في صحيحه: عن عائشة أم المؤمنين ﷺ: أنّ الحارث بن هشام

---

(١) راجع: د.مصطفى الخن، ود.محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) البخاري: كتاب التفسير، باب سورة النجم، ١٨٤٠/٤، ومسلم: كتاب الإيمان، باب في ذكر سورة المنتهى ١٥٨/١.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ١٩/١.

(٤) راجع: مسند أحمد ، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ٩/٤١.

سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :(أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس- وهو أشدّه علي- فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول) قالت عائشة: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقاً) [1].

رابعاً: شبهُ الجاحدين والمنكرين للوحي

حرصَ بعض المنكرين والجاحدين قديماً وحديثاً أن يفسّروا حادثة الوحي بنظريات غامضة ومنحرفة، وتهدف في النهاية إلى إنكار رسالة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، فنجدهم يفسّرون ظاهرة الوحي بالإلهام النفسي تارة، وبالإشراق الروحي تارة أخرى، ويعميهم الحقد فيتجرؤون على القول بأنه كان ينتابه ضرب من الصّرع والجنون، وواضح أنّها شبه واهية لا تثبت أمام الوقائع النّيّرة والمنطق السليم والحكم العادل النزيه، والذي يهمنا أن نرد عليه هنا، ونكشف زيفه، هو ما يسمّيه الملحدون في هذا العصر بـ: (الوحي النفسي)، أو (الإشراق الروحي) وهو باطل لأسباب كثيرة من أهمها:

-إنَّ حالة الإلهام النفسي، أو الإشراق الروحي، لا تستدعي الخوف والرعب وتغيّر اللون، لأن الصفاء النفسي والتدرّج في التفكير والتأمل لا ينسجم مع حالة الخوف والاضطراب، بل هما حالتان متناقضتان تماماً، وخوف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثابت في حديث بدء الوحي وفيه أنَّ النبي ﷺ رجع ويرتجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ﵂، فقال: (زمّلوني زمّلوني)، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر:(لقد خشيتُ على نفسي) [2]، كما ذكرنا في حالات الوحي ما كان يعتري رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من تغير واضطراب وتصبّب العرق من جبينه وهو على مرأى من أهله

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ٦/١.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ٧/١.

وأصحابه.

-اقتضت حكمة الله تعالى أن يحتجب الملك عن رسول الله مدة بعد رؤيته له في غار حراء، فاستبدّ به القلق، وخاف أن يكون الله تعالى قد قلاه وهجره لسوء صدر منه، إلى أن رأى جبريل وقد ملأ شكله ما بين السماء والأرض، وهذا الانقطاع الذي حصل في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يجعل القول بأنَّ الوحي إلهام نفسيّ كلاماً باطلاً وضرباً من الجنون.

-إنَّ جانباً عظيماً من القرآن الكريم احتوى على أنباء من سبق من الأمم والجماعات، وقصص الأنبياء، وذكر الأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة، وهذه الأخبار لا يمكن أن يقول عاقل بأنها إلهام نفسي أو إشراق روحي؛ لأنها لا تعتمد إلا على التلقي والتعليم؛ قال تعالى :{**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ** }(يوسف: ٣) وقال سبحانه : {**وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**} (آل عمران: ٤٤).

- احتوى القرآن كذلك على حقائق علمية، ونظريات طبيعية وفلكية تثبت الأيام بعد تقدّم العلم صحتها وأسبقيتها، قال تعالى:{ **سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَق** }(فصلت: ٥٣)، وتضمّن القرآن في بيان العقائد أموراً تفصيلية عن بدء الخلق ونهايته وعن الحياة الآخرة وما فيها من الموقف والحساب والجنة والنار، ويضاف إلى ذلك كله ما تضمّنه القرآن من أحكام قاطعة عن أخبار المستقبل، وما يجري من أحداث تقع وفق سنن الله الاجتماعية في القوة والضعف والعزة والذلة، والذي ينطق بهذا رجل أميّ لم يعرف الكتابة ولم يقرأ في كتاب، ومع ذلك يتحدّى بما جاء به جميع الناس في كل أرض وفي كل زمان، فلا يمكن أن يكون ذلك من وحي النفس أو إشراقات الروح، بل التفسير الصحيح، أنه وحي من الله تعالى، قال تعالى : {**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**}[النجم:٣-٤].

المطلب الرابع: حقيقة الإيمان بالأنبياء والرسل ولوازمه والحكمة منه

أولاً: حقيقة الإيمان بالأنبياء والرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان وعقيدة المسلم، فلا يصح إيمان العبد إلا به، والأدلة الشرعية متواترة على تأكيد ذلك، فقد أمر سبحانه بالإيمان بالرسل وجمع بينهُ وبين الإيمان بالله، فقال تعالى:**{ فآمنوا باللهِ ورسلِهِ }** (النساء: ١٧١) وجاء الإيمان بهم في المرتبة الرابعة من التعريف النبوي للإيمان كما في حديث مسلم: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ..)[1] ، وقرنَ الله سبحانه الكفرَ بالرسلِ بالكفرِ به، فقال:**{ومنْ يكفرْ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخر فقدْ ضلَّ ضلالاً بعيداً }** (النساء:١٣٦).

ففي هذه الآيات دليل على أهمية الإيمان بالرسل، وأنه أصل من أصول عقيدة المسلم، فهم الواسطة التي عرف الناس عن طريقها وحي الله تعالى وكتبه وشرائعه وسائر العقائد والعبادات، ولا تستقيم حياة البشرية ولا تنتظم إلا ببعثة الرسل عليهم السلام،

(١) تقدم تخريجه أكثر من مرة.

فالرسالة ضرورية للعباد وحاجتهم لها فوق حاجتهم لكلّ شيء[1].

وبذلك يكونُ الأنبياءُ والرسل سادةَ البشرية وهداتها، وصفوةَ الله الذين اختارهم لحمل رسالته وتبليغ دينه، فقاموا بما كلفوا به خير قيام، وتحلموا صنوف الأذى في ذلك، فمنهم من قتل، ومنهم من رُمي في النار، ومنهم من نُفي، ومنهم من سُلط عليه سفلةُ الخلقِ وهملُهم، وهم في كل ذلك صابرون محتسبون، راغبون في إيصال الخير لأقوامهم وهدايتهم، فكانوا بحق هداة حقيقيين للبشرية، فلو بحثت البشرية في تاريخها كله لما أوجدت أشرفَ ولا أنبل من أنبياء الله ورسله.

ثانياً: لوازمُ ومقتضيات الإيمان بالأنبياء والرسل:

إنَّ الإيمان بالأنبياءِ والرسلِ يلزم عنه عدَّةُ أمور:

١- التصديق بنبوتهم، وبما أتَوا به من عند الله عز وجل، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ }**[الحديد:١٩]، فلا يقبل إيمان من كذَّب نبياً أو كفرَ برسول، أو أنكر رسالتهم وفضلهم.

٢- عدمُ التفريق بين أحد منهم، كما قال تعالى: **{ لا نفرّقُ بينَ أحدٍ منْ رسلهِ}** (البقرة:٢٨٥) ، فلا يجوز التفريق بين الأنبياء أو انتقاصهم، أي: في نبوتهم ورسالتهم، فكلهم أنبياء الله تعالى المصطفون الأخيار، ولكن ذلك لا يعني أنه لا تفاضل بينهم في المنزلة عند الله تعالى، فالله تعالى أوضح أنه فضَّل بعضهم على بعض وذكر أسباب التفضيل، فقال تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ }**[البقرة:٢٥٣] .

٣- توقيرهم واحترامهم: قال تعالى: **{ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه}** (الفتح:٩).

٤- وجوبُ العمل بشرائعهم: وذلك في حقّ كلِّ أمة لنبيها، ولا يخفى أنَّ ذلك قبل بعثة نبينا

(١) راجع: د.عثمان جمعة ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٢٠.

ﷺ التي نسخت شريعتُه كلَّ شريعة، فبعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ لا يجوز العمل والاتباع إلا لما جاء به، فشريعته ناسخةٌ ونبوته خاتمةٌ.

ثالثاً: الحكمة من بعث الأنبياء وإرسال الرسل

تتلخص الحكمة من ذلك في أمور:

١- إقامةُ الحجَّة على العباد، وتبشير المؤمنين بنعيم الله وجنته في الآخرة، وإنذار الكافرين من عذابه وعقابه، قال تعالى: **{ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:١٦٥]، وجاء في حديث البخاري ومسلم عن النبي ﷺ ما يبين الحكمة من بعثة الرسل، فقال ﷺ: (ولا أحدٌ أحب إليه العذر من الله، من أجلِ ذلك بعثَ الله المرسلين مبشرين ومنذرين)[(١)].

٢- إقامة الدِّين وسياسة الدنيا ، وهداية الخلق، قال تعالى عن الأنبياء والمرسلين: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}**[الأنبياء:٧٣].

٣- توحيدُ الأمة وجعل الناس يدينون بالطاعة لله تعالى، ويتبعون الأنبياء فيما جاؤوا به من الدِّين الحق.

٤- تحقيق القدوة والأسوة العملية، وهذه لها عدة فوائد:

أ- دحضُ حجة من زعم أنه ليس في مقدوره تطبيق تلك الشرائع، فيقال له: إنَّ الأنبياء وهم بشر أيضاً، قد طبقوا تلك الشرائع ومارسوها عملياً، وكانوا يتعرضون للأمراض والآلام والمعاناة وسائر ما يتعرض له البشر.

ب- تحقيق الأسوة والقدوة للمؤمنين في كيفية تطبيق تلك الشرائع، وكيفية العمل بها، لأن كثيراً من الأمور النظرية تختلف الأفهام في تطبيقها، فيأتي الفعل النبوي

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ لا شخص أغير من الله ١٢٣/٩.

فاصلاً ومبيناً.

ت- تحقيق الأسوة والقدوة للمؤمنين بحثّهم على الإكثار والاستزادة من فعل الصالحات، اقتداء بالأنبياء عليهم السلام، الذين كانوا القدوة في ذلك بسلامة إيمانهم وكثرة أعمالهم الصالحة، قال تعالى: **{أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }**[الأنعام:٩٠].

المطلب الخامس: النبوة ليست اكتساباً بل هي اصطفاءٌ من الله تعالى

النبوةُ اصطفاء واختيار من الله تعالى، فاللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالتَهُ، فلا يختار للنبوة إلا أصلحَ الناسِ لها، قال تعالى: **{ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }**[الأنعام:١٢٤] وقال: **{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين}**[آل عمران:٣٣] وقال أيضاً: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلآئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ }**[الحج:٧٥].

فليست النبوة مذهباً فلسفياً ينال بالتفكير والتأمل ونضج الملكة العقلية، وليس اكتساباً بالقراءة والكتابة، لذلك خاطب الله نبيه مُحَمَّداً بقوله: **{وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُون}**[العنكبوت:٤٨] .

وليست النبوة خبرة تجريبية مكتسبة، أو ثمرة خيال متوقد ولا شعور متوهج ولا أثراً لعبقرية ولا غوصاً في أعماق الشعور أو اللاشعور، بل هي اصطفاء إلهي ورحمة لا يعلم عنها النبي شيئاً قبل أن يوحى إليه، قال تعالى: **{وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ }**[القصص:٨٦] .

المطلب السادس: عددُ الرسلِ والأنبياء

عددُ الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن خمسةٌ وعشرونَ نبياً ورسولاً، منهم ثمانية عشر نبياً ورسولاً ذكرتْ أسماؤهم في موضع واحد من القرآن في سورة الأنعام، في قوله تعالى: {**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** {الأنعام: ٨٢-٨٦}.

ويبقى بعدهم سبعةٌ ذكروا في آيات أخرى، وهم: آدم وإدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل ونبينا مُحَمَّد صلى الله عليهم وسلَّم أجمعين.

فهذه أسماء خمسة وعشرين رسولاً ونبياً، فيجبُ الإيمانُ بهم جميعاً دون تفريق بينهم، وقد وصفَ الله تعالى المؤمنين بأنهم لا يفرقون بين الرسل من حيث الإيمان بهم والتصديق بنبوتهم، قال تعالى: { **آمنَ الرسولُ بما أنزل إليهِ من ربه والمؤمنون كلٌّ آمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ لا نفرّق بينَ أحدٍ من رسلهِ**} (البقرة ٢٨٥).

وقد جاء في القرآن ما يبين أنَّ النبوة ليستْ محصورةً بهؤلاء الذين ذكروا بأسمائهم في القرآن، بل هناك أنبياء آخرون لم يحدِّد القرآنُ عددهم ولم يذكر أسماءهم، قال تعالى: {**ورسلاً**

قد قصصناهم عليكَ منْ قبلُ ورسلاً لم نقصصهم عليك} (النساء ١٦٤)، فما من أمَّة أو قومٍ إلا وبعثَ اللهُ فيهم نذيراً وهادياً وإن لم نعرفهم بأسمائهم، قال تعالى:{ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِير}**[فاطر:٢٤] وقال تعالى: { **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد**}[الرعد:٧].

فالإيمان بالأنبياء والرسل على مستويين:

-الإيمان التفصيلي بكل الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن بأسمائهم وصفاتهم ومواقفهم مع أقوامهم.

-الإيمان الإجمالي بكل أنبياء الله تعالى ورسله ممن لم يقصصهم علينا ربنا تعالى، ولا نعلم عنهم شيئاً.

المطلب السابع: صفاتُ الرسلِ

اختار الله تعالى رسله وأنبياءه من أعظم الناس نفساً وأشرفهم نسباً وأكرمهم خَلْقَاً وخُلُقَاً، وذلك من تمام الحكمة الإلهية؛ ليكون النبي حجةً على قومه في دعوته وأفعاله وأخلاقه؛ وليضرب المثلَ بنفسه على استطاعة البشر تطبيق أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، لذلك اختارهم الله تعالى بشراً من بين الناس فيهم غرائز البشر، ويجري عليهم ما يجري على سائر البشر، كتعرّض الأنبياء للأمراض غير المنفِّرة وكالجوع والنومِ والإغماءِ والموتِ، وغير ذلك من العوارضِ البشرية التي لا تخلُّ بأداء الرسالة وتبليغ الدعوة، إلا أنَّ الله تعالى اختصهم بالوحي والرسالة وخصَّهم بعدة صفات ملازمة لنبوتهم وموافقة لرسالتهم، ومن تلك الصفات:

أولاً: الفطانة

اختار الله تعالى الأنبياء في أعلى درجاتِ الذكاء والنباهةِ والفطنةِ، مع كمال العقل والرشد؛ ليكونوا قادرين على محاجَّةِ أقوامهم ومجادلتهمْ بالتي هيِ أحسن وتبليغهم الدعوة بأفضل طريق وأسهل وسيلة، فصفةُ الفطانةِ من الصفات الثابتة للأنبياء والرسل، فحملُ الرسالةِ مهمة تربوية دينية وقيادةٌ سياسية تحتاج أن يرافقها استعداد لحمل الرسالة وأدائها.

فالفطانةُ تقتضي أن يعرف الرسول ما يلقى إليه، وأن يحفظه ولا ينساه، وأن يستطيع تبليغه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يتميز بالنباهة وقوة الحجة، وكمال العقل والبديهة الحاضرة ، وقد عرض القرآن صوراً كثيرة لحوارات الأنبياء مع أقوامهم وذكرَ نماذج من مناهجهم وحسن الحجة عندهم وكمال نباهتهم، فقال تعالى مبيناً منهج النبي ﷺ: **{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }**[النحل:١٢٥]، وقال تعالى عن فطانة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحسن حجته وقوة بديهته: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}[البقرة:٢٥٨] وأثنى على حجته وفطانته في موضع آخر، فقال: **{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ }**[الأنعام:٨٣].

ثانياً: العصمة

الرسول هو المثل الأعلى في أمته وهو الأسوة الحسنة لها، قال تعالى في حق نبينا مُحَمَّد ﷺ: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }**[الأحزاب:٢١] وقال تعالى في حق جميع الرسل: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }**[الممتحنة:٦] ويقتضي ذلك أن تكون اعتقاداتُ الأنبياء وأفعالهمْ وأقوالهمْ وأخلاقهم موافقةً لطاعة الله تعالى، ووجب أن لا يدخل في شيء من اعتقاداتهم وأفعالهم وأخلاقهم وظواهرهم وبواطنهم معصية لله تعالى، كما لا يقعُ منهم فعل شائنٌ أو سلوك سيء تتقززُ منه طبائعُ الناسِ وتنفرُ منه نفوسُهم.

فالرسالة تستدعي جلب قلوب الناس إلى الإيمان والحق والطاعة بأفضل السبل وأحكمها وتستدعي تأليف قلوب المؤمنين للإقبال على رسولهم ومحبته ومجالسته، لذلك عصم الله تعالى الرسل من كلِّ ما ينفِّر الناسَ بالقول أو الفعل أو الأخلاق.

ثالثاً: الصدقُ

الصدقُ من الصفاتِ الملازمة للنبوة، وهي ممّا ينبغي أن يكون عليها عامة البشر، لكنها في الأنبياء ضرورية؛ لتحصل الثقة فيما ينقله النبي عن ربِّه، وليكونَ أهلاً لذلك الاصطفاء والاختيار من الله تعالى.

شهد الله تعالى في كتابه لرسله بأن ما جاؤوا به وحيٌ من عنده، وبأنه الحق من ربهم، فمن ذلك شهادة القرآن للنبي مُحَمَّد ﷺ، قال تعالى: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}**[النجم:٣-٤]

وأشار موسى عليه السلام في خطابه لفرعون إلى صدق دعواه، فقال تعالى حكاية عنه: **{ وقالَ موسى يا فرعونُ إني رسولٌ من ربِّ العالمين ، حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى**

اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ }[الأعراف:١٠٤-١٠٥].

رابعاً: الأمانة

وهي صفة ملازمة للنبوة أيضًا؛ فالنبي مستأمنٌ على شرعِ الله تعالى وعلى أحكامه ولا يُتصوَّر أن يختاره الله تعالى ثمَّ يخون الأمانةَ، فيزيد في شرعِ الله تعالى أو ينقص، لذلك كان من أهم معانيها تبليغ وحي الله تعالى إلى الناس دون كتمان شيء، ودون زيادة أو نقصان، وقد تكرر ذلك على لسان عدد من الأنبياء فكل واحد منهم يقول لقومه: **{ إِنِّي لكمْ رسولٌ أمين}** (الشعراء ١٠٧، ١٤٣،١٢٥).

خامساً: التبليغ

اختارَ اللهُ تعالى الرسلَ لحمل رسالته وتبليغها للناس فلم يكتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه، قال تعالى مخاطباً النبي ﷺ بوصفه واحداً منهم: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }**[المائدة:٦٧] وقد بلَّغ النبي ﷺ كما أمره ربهُ، ولم يكتمْ شيئاً ولو كتمَ شيئاً لكتم الآيات التي تضمنت ألوان العتابِ له.

كما وصف الله تعالى رسله بالتبليغ، وشهد القرآن للرسل جميعاً بأنهم قاموا بتلك المهمة وبلغوا رسالة الله تعالى للخلائق، فقال تعالى: **{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ }**[الأحزاب:٣٩]، وقال تعالى: **{لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}**(الجن:٢٨).

المطلب الثامن: المعجزة وشروطها

أولاً: أهمية المعجزة والحاجة لها

جرت سنةُ الله تعالى أن يؤيِّد أنبياءهُ ورسلهُ بالمعجزاتِ الواضحاتِ الدالةِ على

صدقهم، وأن يسوق بين أيديهم من الخوارق ما يلفت الأنظار إلى التسليم والتصديق بما جاؤوا به ، ولقد علمنا من القصص القرآني أنَّ كل أمة جاء فيها رسول يدَّعي أنه مرسل من قبل الله إليهم كانت تطلبُ منه أن يأتي ببرهان يدل على صدقه فيما يدَّعي، ففي قصة قوم صالح قالوا له: **{مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين}**[الشعراء:١٥٤]، وفي قصة موسى مع فرعون ، قال موسى لفرعون:**{ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين، حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيل}**[الأعراف:١٠٤-١٠٥] فقال له فرعون: **{قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين}**[الأعراف:١٠٦].

فالرسالةُ أمر عظيم قد يصعبُ على بعض الناس أن يسلِّموا بمضمونها دون أن تشفعَ بدليل وبرهان، والنبي أو الرسول بشر يعرفه الناس، ويعيش بينهم، ثم يخرج عليهم بدعوى اتصاله بالله تعالى وتلقيه الوحي منه ، لذلك جعل الله تعالى مع الأنبياء دلائل تؤيد دعواهم وتبرهن على صدقهم، قال أبو المظفر الإسفراييني : " الدليل على صدق مدَّعي النبوة هو المعجزة ... وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيداً بمعجزة أو معجزات " [(١)].

ومن حكمة الله تعالى أنه كان يؤيد رسله وأنبياءه بخوارق للعادات من النوع الذي برع به هؤلاء القوم الذين جاءت إليهم المعجزات حتى يتحقق الإعجاز على أبلغ وجه، ويكون أدعى للتصديق والتسليم.

فقوم موسى برعوا بالسحر وما شاكله، فأيَّد الله تعالى موسى بقلب العصا حية، وبإخراج يده من جيبه بيضاء من غير سوء، وفي عهد عيسى عليه السلام برعَ الناسُ في الطبِّ والعلاج، فأيده الله تعالى بإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، ويصنع من الطين طيراً فينفخ فيه فيكون طيراً، وكل ذلك بإذن الله تعالى.

---

(١) التبصير في الدين ص ١٠٤ .

وعندما أُرسل نبينا ﷺ كان قومه بارعين في الفصاحة والبلاغة، وكانوا أئمة البيان وفرسان القول، فكانت معجزة نبينا ﷺ من جنس ما برعوا به، فأيده الله تعالى بالقرآن العظيم الذي نزل بلغتهم وتحداهم أن يأتوا بمثله فصاحة وبلاغة، فعجزوا عن ذلك، وأقروا بعجزهم وضعفهم عن مجاراته[1].

ثانياً: تعريف المعجزة

المعجزةُ هيَ أمرٌ خارق للعادة، داعٍ إلى الخيرِ والسعادةِ ، مقرونٌ بدعوى النبوةِ، قصد به إظهار صدق من ادَّعى أنه مرسل من الله [2] .

فالمعجزةُ ليست أمراً عادياً؛ بل هي أمر خارق للعادة، وهي علامة على صدق النبي، وعلى هذا فليست المعجزة راجعة إلى قوة معينة كامنة في نفس النبي؛ بل هي خارقة لنظم الكون وحوادثه المألوفة التي اعتادها الناس، فالأحداث الكونية لها نظام أو ناموس تسير عليه وتخضع له، والله هو الخالق للكائنات ، وقد وضع لها نظاماً وناموساً معيناً ، وما دام هو الخالق المدبر المسيِّر للكائنات ، فإنه قد يخلق فعلاً مخالفاً للنظام الذي تسير عليه، ويجري ذلك على يدِ مدّعي النبوة تصديقاً لدعواه، وهو منزَّل منزلةَ قول الله تعالى: صدقَ عبدي فيما يبلّغ عني، فكأنَّ الله تعالى يخرق له نواميس العادة ليقول للناس: أنا أرسلته، وقد جعلتُ له برهاناً على صدقه، وسأظهره لكم من خلال المعجزة التي يتحدَّاكم بها.

ثالثاً: شروط المعجزة:

١- أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: أي: مخالفة للمعتاد المألوف في قوانين الكون وأنظمته، ولا يمكن للإنسان بصفته البشرية مهما بلغ من القوة المادية والروحية أن يأتي بمثلها

(١) راجع: د.مصطفى الخن، ود.محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) راجع : الجرجاني : التعريفات ص ٢٨٢ ، وأيضاً : الاسفراييني: التبصير في الدين ص ١٠٤ .

حسب العادة والمألوف، إلا أن يجريها الله تعالى على يديه تأييداً له ودلالة على صدقه، وقد يقع هذا الخارق للعادة على أشكال عدة:

- فيكون من قبيل الأقوال وما يشبهها: مثل الإعجاز القرآني في بلاغته ونظمه، ومثل تسبيح الحصى، وحنين الجذع.

- أو يكون من قبيل الأفعال: كانفجار الماء من بين أصابع النبي مُحَمَّد ﷺ، وتكثير الطعام القليل له وكفايته للجمع الكثير.

-أو من قبيل الترك : مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وعدم إغراق الماء لنبي الله موسى عليه السلام وقومه.

٢- **التحدّي**: وهذا شرطٌ أساس في المعجزة، يثبتُ عجز الجاحدين ويقيم الحجة عليهم، والتحدي من النبي يشمل من تناولتهم دعوتهُ وشملتهم رسالتهُ[١]، وذلك بأن يطلبَ منهم أن يأتوا بمثل ما جاء به؛ مع توفر الأسباب لديهم، وإزالة الموانع، ووجود المقتضي للمعارضة.

٣- **سلامتها من المعارضة**: فيشترط في المعجزة أن لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، فلو استطاع الخصم أن يأتي بمثل ما جاء به النبي بطلت حجة النبي ، لذلك اشترط في المعجزة سلامتها من المعارضة.

٤- وقوعها على مقتضى الدعوى: يشترط في المعجزةِ أنْ تكونَ موافقةً لقولِ مدّعيها، غير مخالفة له، فإذا جاءت المعجزةُ على وجهٍ غيرِ الوجهِ الذي عيّنهُ الرسولُ لم تكن دليلاً على صدقه، بل تثير عندئذ الشكوك حول ادعائه، فلو قال: آية صدقي أن ينطق الجمل، فنطق الحجر فليست معجزة؛ لأنها مخالفة لدعواه.

٥- أن لا تكون مكذبة له: فإذا طلب قومه منه معجزة فظهرت مكذبة له فعلاً أو قولاً، فليست معجزة، فإذا نطق الجماد وقال له أنت كذاب، أو طلب من شجرة أن تتقدم إليه

(١) راجع: د.عبد الرحمن حبنكه: العقيدة الإسلامية ص ٣٠١.

وتشهد بنبوته ففرَّت من أمامه، فيعد ذلك تكذيباً له، وإذا قال: آية صدقي أن ينطِقَ الله يدي، فإذا أنطقها الله تعالى، فكذبته، وقالت : أنت مفتر، فلا يكون ذلك آية [1] .

٦–أن تكون مقرونة بدعوى النبوة والرسالة حقيقة أو حكماً: فلو وقعت قبل النبوة أو الرسالة كانت إرهاصاً، أي تأسيساً وتمهيداً للنبوة، كما حصلَ مع نبينا صلَّى الله عليه وسلم من تظليل الغمام له قبل البعثة.

٧– أن تكون على يدِ من يدَّعي النبوةَ أو الرسالةَ: وهو شرطٌ مهمّ للتمييزِ بين المعجزةِ وغيرها من خوارق العادات، فقد تقعُ بعض الخوارق للعادات على يدِ غير الأنبياء والمرسلين ولا تسمى معجزة، ومن ذلك:

- ما يظهر على يد عبد صالح من غير دعوى النبوة فهي: الكرامة.
- ما يظهر على يد واحد من عوام الناس تخليصاً له من شدة فهي: لطف من الله تعالى ومعونة.
- ما يقع على يد فاسق خديعة له ومكراً فهي: الاستدراج.
- ما يظهر على يد كافر أو فاجر تكذيباً له فهي: إهانة، كما وقع لمسيلمة الكذاب أنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وأنه تفل في بئر ماء ليكثر ماؤه فغار الماء في البئر.

رابعاً: معجزات الأنبياء في القرآن:

كثيرةٌ هي الآياتُ القرآنية التي اهتمَّت بقصص الأنبياءِ مع أقوامهمْ وفيها تعريفٌ بدعوتهم وسيرتهمْ وأخلاقهمْ وموقفهمْ منَ المكذّبينَ، كما تضمَّنتْ تأييد الله تعالى لهم من

(١) راجع : النووي : بستان العارفين ص ٧٦ ، راجع أيضاً : الجويني ، الإرشاد ص ٣٠٨–٣١٥ .

خلال خرق العادات بالمعجزات التي تدل على صدقهم، فالمعجزة تدلّ على أنّ ما جاء به الأنبياء ليس بمقدور البشر؛ بل هو خرق للقانون العادي، وقد ذكر لنا القرآن أنواعاً كثيرة من المعجزات التي أيّد الله بها الأنبياء ، ونشير إلى بعض منها:

-فسيدنا إبراهيم ألقي في النار وأنقذه الله تعالى وكانت له برداً وسلاماً، قال تعالى: **{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِين، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيم}**[الأنبياء:٦٨-٦٩].

- نبي الله موسى أنقذه الله تعالى من فرعون وجنوده، وأظهر له خوارق كونية، قال تعالى: **{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيم، وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِين، وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِين، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِين}**[الشعراء:٦٦-٦٣]، فمن الآيات التي أظهرها الله تعالى لموسى عليه السلام أنَّه حوَّل الجمادَ إلى حيةٍ فيها حياة تسعى وتتحرَّك، ولم يكن ذلك سحراً أو خداعاً؛ بل حقيقة، فالسحر فيه خداع وتخييل وسحرٌ للأعين وليس فيه تغيير للحقائق، أمَّا مَا فعله موسى بقدرة الله تعالى ففيه تغيير للحقائق، فقد حوَّل العصا إلى حيةٍ تسعى، قال تعالى عن عصا موسى: **{قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى }**[طه:١٩-٢٢]

- ويونس عليه السلام خرج غاضباً من قومه دون أن يأذن له الله تعالى بالخروج فألقي في البحر والْتقمهُ الحوتُ، ثم نبذهُ خارج البحر بعد أن ظل في بطنه عدة أيام، وتلك معجزة إلهية، قال تعالى:{**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُون، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِين، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيم**}[الصافات:١٣٩-١٤٢] وقال تعالى: {**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيم**}[الصافات:١٤٥]

- ونوح عليه السلام لبثَ في قومه ألف سنة إلا خمسين، ولم يؤمن له إلا القليلُ، فأمره الله تعالى أن يصنع سفينة وأن يحمل فيها من آمن من أهله وقومه، وأن يحمل معه من كل شيء

زوجين ثم أمر الله تعالى الأرض أن تخرج ماءها؛ فتفتحت الينابيع ، وفاضت الأرض، ونزلت المياه من السماء ، وجرت السفين، وأغرق الماء من بقي كافراً، ثم قال تعالى: **{وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِين}**[هود:٤٤]

-وعيسى عليه السلام أيده الله تعالى بمعجزات خارقة آيةً وبرهاناً على نبوته وصدقه، فقال تعالى في حقه: **{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}**[آل عمران:٤٩]

-ومعجزات نبينا ﷺ كثيرة ومعروفة ومنها: انشقاق القمر التي أشار إليها القرآن: **{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَر}**[القمر:١]، ومعجزة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ، ومعجزات جاءت في الأحاديث الصحيحة، مثل: حنين الجذع للنبي ﷺ، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام القليل، ومعجزات كثيرة أخرى، إلا أنَّ أعظم المعجزات وأبلغها القرآن المعجز بلفظه وبلاغته وإخباراته وتشريعاته، وهو معجزة باقية خالدة.

خامساً: معجزة القرآن الكريم:

القرآنُ الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي مُحَمَّد ﷺ، وقد تحدَّى الله بها العالم من إنس وجنّ، ويستمر هذا التحدّي إلى يوم القيامة، قال تعالى: **{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ**

ظَهِيرًا}[الإسراء:٨٨]

وقد كانت معجزات الأنبياء معجزاتٍ لأقوامهم وقد انتهت، بخلاف معجزة القرآن الكريم فهي معجزة خالدة، قال النووي: " معجزاتُ الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم ، ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة"(١) .

كما كانت معجزات الأنبياء السابقين أمراً آخر غير الرسالات التي يبشرون بها، ويدعون إليها، فعصا موسى عليه السلام غير توراته، وطب عيسى عليه السلام غير إنجيله ، إلا أنَّ الله تعالى شاء أن يجعل معجزة نبينا مُحَمَّد ﷺ شيئاً لا ينفصل عن الرسالة التي جاء بها، فجعل حقائق الرسالة ودلائل صحتها معجزة باقية إلى يوم القيامة (٢) ، ويوضح هذا ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحى الله إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرهم تابعاً يوم القيامة) (٣) ، قال النووي في شرحه لهذا الحديث:(كلُّ نبي أعطي ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فآمن به البشر، وأما معجزتي الظاهرة – معجزة النبي مُحَمَّد ﷺ– فهي القرآن الذي لم يعطَ أحدٌ مثله). (٤)

وقد ثبتَ أنَّ القرآن الكريم معجزةٌ حقيقيةٌ خالدة، فقد تحدَّى اللهُ العربَ– وهم أهل البلاغة والفصاحة– أن يأتوا بمثله فعجزوا ولم يستطيعوا، ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثل القرآن، وهذا التحدي لا ينقطع إلى يوم القيامة، قال تعالى : **{ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}**[الإسراء:٨٨]، وقد تواترَ الخبرُ بما كان من العربِ من الحرصِ على معارضة النبي ﷺ، والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها، لإبطال دعواه، وتكذيبه في الإخبار عن الله ،

---

(١) النووي : شرح صحيح مسلم ٤٦٦/١.

(٢) راجع : الشيخ مُحَمَّد الغزالي : عقيدة المسلم ص ٢١٠ وقارن الباقلاني : إعجاز القرآن ص ٢٧٠ ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م ، يقول الباقلاني أيضاً في إعجاز القرآن ص ٢٣ : " نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة ، وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة ".

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٤٦٣/١ ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان برسالة نبينا مُحَمَّد ﷺ ١٣٤/١.

(٤) النووي : شرح صحيح مسلم ٤٥٦/١.

وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزةُ الملك على معاندته، والأمراء الذين يدعوهم السلطان إلى مناوأته، والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته، وجاءنا الخبر المتواتر أنه مع طول زمن التحدّي ، ولجاج القوم في التعدي، أصيبوا بالعجز، ورجعوا بالخيبة، وحقَّت للكتابِ العزيز الكلمة العليا على كل كلام [1] .

وإذا عجزَ العربُ عن أن يأتوا بمثل القرآن ، وهم أهل البلاغة والفصاحة، ولم يقدروا على معارضة نظمه المخالف لأساليب كلام العرب، فلا يعني هذا أنَّ إعجازَ القرآن في بلاغته وأسلوبه فحسب، بل هناك وجوه عديدة للإعجاز، سأذكر أهمها[2] :

- إعجازه بنظمه وأسلوبه، ذلك أنَّ كتاب الله الكريم قد انطوى على نظم غريب، ووزن عجيب، وأسلوب لم يعهده العرب وهم أهل البلاغة والبيان .

- إعجازه ببلاغته، ومن وجوه بلاغته التعبير عن المعاني الكثيرة بالعبارات الوجيزة، والتعبير عن معنى سديد بلفظ شريف منبئ عن المقصود من غير مزيد .

- إعجازه في إخباره بالغيب، حيث اشتمل على أمور حدثت بعد النزول وكانت بمعزل عن الرسول ﷺ وقومه وقت النزول.

- إعجازه في الإشارة إلى حقائق علمية كثيرة في المسائل الطبيعية والطبية والجغرافية والفلكية والنفسية، ولم تكن هذه الحقائق مدركة في عصر التنزيل إلا على سبيل الإجمال والتأويل .

- إعجازه بما أحدث من تغيير اجتماعي ، فقد أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وطهَّرهم من دنسِ الشرك ورذائل الأخلاق الجاهلية التي ورثوها.

---

(١) الشيخ محمد عبده: رسالة التوحيد ص ١٦٩ وقارن الباقلاني : إعجاز القرآن ص ٣٣ وما بعدها والإنصاف ص ٦٢ وأيضاً: الإسفراييني : التبصير في الدين ص ١٠٥ .

(٢) راجع: د. عبد اللطيف العبد في كتابه : رد مزاعم المبطلين ص ٨٩-٩٠-٩٩ ، د. عبد المقصود عبد الغني: في علم الكلام ص ٢٣١-٢٤٣. وللتوسع في ذلك يمكن مراجعة الباقلاني : التمهيد ص ١٢٥-١٣٦ ، الإنصاف ص ٦٢-٦٣ والجويني : الإرشاد ص ٣٤٩-٣٥٣ ونشير هنا إلى أنَّ الباقلاني له كتاب في إعجاز القرآن وقد أسهب في الحديث عن وجوه الإعجاز في القرآن (راجع ص ٥٠ وما بعدها).

- إعجازه التشريعي بما تضمنه من عقائد وأحكام وآداب ونظم اجتماعية واقتصادية.

- إعجازه بسلامته من الاختلاف حيث لم يقع في القرآن على طوله أي تناقض أو تخالف بين آية وآية.

سادساً: الحكمة من المعجزات:

هناك عدةُ وجوهٍ تظهرُ الحكمةَ من ظهورِ المعجزات على يدِ الأنبياء والمرسلين من أهمها[1]:

١-**إثباتُ صدقِ مدَّعي النبوة:** وذلك أنه سبحانه حينما يجري هذه المعجزات على أيدي رسله إنما يجريها باعتبار أن الشواهد المادية والمعنوية الخارقة للمعتاد المألوف في قوانين الكون وأنظمته تضع الباحث عن الحق أمام البرهان الواضح الدال على صدق الرسول في دعواه، ذلك أنَّ الذين يتحداهم الرسول بالمعجزة لا يستطيعون الإتيان بمثلها منفردين أو مجتمعين في حدود قدراتهم الممنوحة لهم.

٢- **تكريم الرسول:** فالمعجزة إلى جانب كونها دليل صدق النبي فهي تكريم من الله تعالى له، كما هي الحال في معجزة موسى عليه السلام أمام السحرة حين ألقى عصاه فالتقمت عصي السحرة وأبطلت خدعهم، وكما أكرم الله تعالى نبينا مُحَمَّداً ﷺ برحلة الإسراء والمعراج، فإنها وقعت بعد أن اشتدَّ أذى قومه له ومات عمه أبو طالب وكان يدافع عنه، وماتت زوجته خديجة وكانت تشدّ من أزره، وبعد أن ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام فردوا عليه أشنع رد، فأراد الله تعالى أن يكرمه فعرج به إلى الملكوت الأعلى؛ ليرى من آيات ربه الكبرى.

٣-تنبيه الغافلين: فالمعجزة أشبه شيء بالهزةِ العنيفة التي توقظُ النائمَ من سباته وغفلته ليفتح عينيه ويعي ما حوله، فتكذيب النبي في دعواه شأن المتكبرين والكافرين، والمتجبرين والغافلين،

(١) راجع: د.مصطفى الخن، ود.محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٣٠٠-٣٠١.

فإذا أجرى الله تعالى أمام أعينهم أمراً غير مألوف ومخالف لنواميس الكون يكون داعياً إلى تنبيههم ويقظتهم.

الفصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الأول: التعريف بالقضاء والقدر وأنواعه

أولاً: تعريف القضاء والقدر لغة

القضاء في اللغة معناه: الحكم، والصنع، والتقدير، قال الله تعالى: **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ }**[الإسراء:٢٣] ، أي: حكم، وقال تعالى: **{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا }**[فُصِّلَت:١٢]، أي: صنعهنَّ وقدرهنَّ.

القدر في اللغة: تبيين كمية الشيء بمقدار مخصوص ونظام محدد، قال تعالى: **{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}**[الفرقان:٢].

ثانياً: تعريف القضاء والقدر شرعاً:

معنى القضاء: علمُ الله تعالى السابقُ وإرادتهُ الأزليةُ المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث.

معنى القدر: إيجادُ الله الأشياء على مقاديرها المحدَّدة في ذواتها وصفاتها وأفعالها وأحوالها وأزمنتها وأمكنتها وأسبابها.

ثالثاً: الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره أصل من أصول عقيدة المسلم، وركن من أركان الإيمان، جاء في حديث مسلم:(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1] وفي صحيح ابن حبان عرَّف النبي ﷺ الإيمان بقوله:(تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث من بعد الموت والحساب، والقدر: خيره وشره، وحلوهِ ومُرّهِ) [2].

والإيمان بالقضاء والقدرِ يتضمن التصديقَ بأنَّ كلَّ ما يقعُ ويجري إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره، سواء أكانَ خيراً أمْ شراً ، حُلواً أمْ مرَّاً، قليلاً أمْ كثيراً، ظاهراً أمْ باطناً، محبوباً أم مكروهاً، وهو إيمانٌ بركنٍ ركين، لا يصحّ إيمان العبد ولا يقبلُ ما لمْ يعتقد به اعتقاداً جازماً.

وحقيقةُ الإيمانِ بالقضاء والقدر هي التصديق بصفات الله تعالى، فالله تعالى عالم وعلمه محيط بكلِّ شيء، وهو مريد وإرادته شاملة تامة، وقادر وقدرته لا يعجزها شيء، فما من شيء يتم خلقه وتكوينه ووجوده إلا وقد أحاطَ به علمُ الله تعالى، ويقع بإرادة الله تعالى وقدرته.

رابعاً: أنواع القدر:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦ .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ١/٣٩٠

يطلق لفظ القدر في الأدلة الشرعية على كل ما قضاه الله تعالى وقدَّره، وقد ذكر بعض العلماء لذلك أنواعاً أربعة، توضح معاني القضاء والتقدير الإلهي[1]:

الأول: التقدير في العلم: وهو علمُ الله في الأزل بما سيكون من العبد، وعلمُ الله بالأشياء قبل حصولها، وهو يدل على كمال الصفات الإلهية، وكمال علم الله تعالى.

الثاني: التقدير في اللوح المحفوظ: أي أنَّ اللهَ تعالى يكتبُ الأشياءَ في اللوح المحفوظ، فإما أن يثبتها وإما أن يمحوها ويغيرها، وهذا معنى قوله تعالى: **{يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَاب}** [الرعد:٣٩].

الثالث : التقدير في الرحم: وذلك أنّ الله يأمر الملك أن يكتب ما يتعلق بالإنسان وهو في رحم أمه، فَيُؤمرُ الملكُ بكتب رزقِ العبد ، وأجلهِ ، وعملهِ ، وشقيٍّ أو سعيدٍ.

الرابع : إيجاد الأشياء وفق علم الله تعالى، وسوق المقادير إلى المواقيت، أي خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء والعلم الإلهي.

(١) راجع : النووي : الأربعون النووية وشرحها ص ٣٣-٣٤ .

المطلب الثاني: الأدلة على قضاء الله تعالى وقدره

تناولتِ الأدلة الشرعية توضيح عقيدة القدر، وبيان إحاطة علم الله تعالى وإرادته وقدرته بما يقع من حوادث الخلق والتكوين المتعلقة بالإنسان وسائر المكوَّنات، مما يؤكد على أهمية الإيمان بهذا الركن، ومنزلته في عقيدة المسلم، وسأذكر أهم الأدلة التي توضح ذلك من القرآن والسنة؛ وذلك يتضمن الردَّ الجازم على من يثير شبهات حول منزلة هذا الركن بين أركان الإيمان، ويزعم أنَّ هذا الركن جاء بالأحاديث النبوية ولم يثبت بالآيات القرآنية، مع أنَّ دلالة الآيات القرآنية صريحة وقطعية في التأكيد على الإيمان بالقدر وما يتعلَّق به، بالإضافة إلى الأحاديث الصحيحة التي تؤكد ما جاء في القرآن.

١- أدلة القرآن:

وردتْ آياتٌ كثيرة في إثبات قضاء الله تعالى وقدره، نذكر بعضاً منها مع توضيح دلالتها:

أ- قوله تعالى: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}**[القمر:٤٩] ، وقوله تعالى:**{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}**[الفرقان:٢] ، فالعموم الوارد في الآيتين يدل على أنَّ الله تعالى قدَّر الزمان والمكانَ والأشخاص والمقادير والآجال، وقدَّر الأقواتَ والأفعالَ والأجناس والأنواع.

ب-قوله تعالى: **{ وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً}** (الأحزاب:٣٨)، ومعناه كما قال ابن كثير:

" وكان أمره الذي يقدِّره كائنًا لا محالة، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل"[1].

ج-قوله تعالى: **{فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}**[المرسلات:٢١-٢٣]، وقوله تعالى **{مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}**[عبس:١٩]. فالآياتُ توضحُ تقدير الله تعالى لمراحل خلق الإنسان، وكيف يتنقَّل بتقدير الله تعالى من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة؛ في مدّة معلومة وأجلٍ محدّد قدّره الخالق سبحانه، ثم قدّر له تصوير خلقته وهيئته، وقدّر أجله ورزقه وعمله، وشقاوته أو سعادته.

د-قوله تعالى:{**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِير**}[الحديد:٢٢] وقوله سبحانه: **{ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلّ مِّنْ عِندِ اللّهِ}**[النساء:٧٨]، فالآياتُ صريحة بإثبات قدر الله تعالى وعلمه بما يقع من مصائب وحسنات وسيئات قبل وجودها.

فمجموع هذه الآيات -التي تقدمت- تتكلَّم عن تقدير الله تعالى وفقَ علمه وقدرته وإرادته، ودلالتها جلية في إثبات صفات الله وكمال ألوهيته، فلا يعلم الأشياء قبل وجودها إلا الله تعالى، فنفي علم الله تعالى بها يخالف معنى الألوهية، فلو لم يعلم فليس بإله، وإن لم يقدر على الإيجاد فهو عاجز، وإن كان معه من يفعل فهذا هو الشرك، لذلك كان الإيمان بالقدر هو عِقْدُ التوحيد لله تعالى.

٢- أدلة السنَّة:

بعد أن ذكرنا الآيات القرآنية التي تكلَّمت عن قدر الله تعالى، نذكر بعض الأحاديث التي تؤكد ذلك مع بيان وجه الدلالة فيها:

١-**الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان:** روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) تفسير ابن كثير ٤٢٧/٦.

(الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1]. وروى الترمذي أنَّ النبي ﷺ قال: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر)[2].

٢- **الإيمان بالقدر يقتضي التصديق بأن ما وقع على الإنسان كان بعلم الله تعالى وقدره:** روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه)[3] ، وفي حديث مسلم عن النبي ﷺ قال: (كلُّ شيء بقَدَر، حتى العجزُ والكَيْسُ) [4] والعجز هو عدم القدرة، والكَيْس هو النشاط والقوّة.

٣-إن وقوع الأشياء وحصولها تمَّ بقدر الله تعالى وفعله: روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (احرص على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تعجز، فإن أصابكَ شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قلْ: قدَّرَ اللهُ، وما شاءَ فعل)[5].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان١/٣٦ .

(٢) رواه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ٤/٤٥٢.

(٣) رواه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ٤/٤٥١.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر ٤/٢٠٤٥.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله ٤/٢٠٥٢.

المطلب الثالث: إثبات اختيار الإنسان وإرادته

الآياتُ والأحاديث واضحة في دلالتها على عقيدة القدر، وهي صريحة في إثبات صفات الخالق تعالى، الذي خلق كلَّ شيء وقدره وأعطاه صفته وزمنه، فالله تعالى له صفات العلم المحيط بكل شيء والإرادة التامة التي لا يسوقها طبع أو يكرهها مكره ، والقدرة المطلقة التي تتعلق بإيجاد الأشياء دون عجز أو قصور.

إلا أنَّ الآياتِ والأحاديثَ التي تتكلَّم عن القدر لا تنفي فعل الإنسان واختياره، فهي تتكلَّم عن فعل الله تعالى وعلمه ولا تتكلَّم عن فعل الإنسان، وفيها إثباتُ قدرةِ الخالقِ وليس فيها نفيُ قدرة العبدِ، وفيها الكلامُ عن الإرادة الإلهية وليس فيها الكلام عن حرمان الإنسان من الإرادة والاختيار.

فليس في هذه الآيات أيّ دلالة على أنَّ الإنسان مجبور في فعله ومسير في سائر شؤونه ، ولا تدل على أنَّ الإنسان لا يملك فعلاً، وأنه مضطر في كل أفعاله -كما يتوهم بعض الناس-.

لذلكَ إذا أردنا أن نتكلَّم عن الفعل الإنساني وعلاقته بالقدر، وعن حرية الإنسان واختياره، لا بدَّ من قراءة الآيات الأخرى المتعلقة بفعل الإنسان وكسبه، والوقوف عند دلالاتها على تكليف الإنسان واختياره، وسنبرز بعض تلك المعاني من خلال الآيات، ونبين علاقة قدر الله تعالى بفعل الإنسان واختياره:

١-زوَّد الله تعالى الإنسان بأدواتِ التكليف وأعطاه إرادة واختياراً يجعله قادراً على الإيمان وضده، وعلى الطاعة والمعصية، وعلى الهداية والضلالة ،وعلى الخير والشر، وعلى الحسن والقبح، قال تعالى: { **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**}[البلد:٨-١٠] وقال:{**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ**

نَارًا }[الكهف:٢٩].

٢-ما يفعلهُ الإنسان ينسبُ إليه كسباً واكتساباً، وفعلاً وعملاً، فيحاسب على إساءته ويجزى على إحسانه، ويثاب على طاعته، ويعاقب على معصيته، دون أن يظلم أو يضيع حقّ من حقوقه، قال تعالى: **{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ }**[البقرة:٢٨٦].

٣- إنَّ الله تعالى أعطى العبدَ قدرة على الفعل، ولم يجبره على الهداية أو المعصية، بل أمر ونهى، وترك للعبد حرية الاختيار، ويأتي الإنسان يوم القيامة ويجد ما فعله حاضراً، خيراً كان أو سوءاً، قال تعالى: **{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً}**[المزَّمل:١٩].

٤- اقتضت مشيئة الله تعالى وعدله أن يجعل الناس مخيرين غير مجبرين ، لذلك كان تزويد الإنسان بالاختيار بإرادة الله تعالى، قال تعالى:**{ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}**[الإنسان:٣٠]، اقتضتْ حكمة الله تعالى أن يزود الإنسان بالإرادة الحرة والاختيار ضمن دائرة التكليف والمسؤولية، فكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وكل فعل له ما يقابله من ثواب أو جزاء، ومصير الإنسان مرهون باختياراته وأعماله.

المطلب الرابع: العلاقةُ بين قدرِ الله تعالى وفعلِ الإنسان واختياره

لتوضيح علاقة قدر الله تعالى بفعل الإنسان واختياره، لا بدَّ من ذكرِ ثلاثِ مُسَلَّمَاتٍ شرعيةٍ وعقليةٍ:

المُسَلَّمةُ الأولى: إنَّ ما يتعلَّق بفعل الإنسان وما يجري عليه يقسم إلى قسمين:

أ- أمور تجري على الإنسان وما حوله دون أن يكون للإنسانِ إرادةٌ أو اختيار في قبولها أو ردِّها، فهو بالنسبة إليها مسيَّرٌ تماماً وخاضع لسلطان القضاء والقدر خضوعاً تاماً، من هذه الأمور: ولادةُ الإنسان، وصحتُه ومرضهُ، وصفاتهُ الجسدية ونماء جسمه، ودورة دمه وهضم طعامه وشرابه، وموته.

ب- أمور يعملها الإنسان نتيجة توجهِ إرادته، وهي قضايا التكليف، فهو يملك الاختيار الكامل في كل قضايا القول والعمل والاعتقاد، وفي التوجه إلى الأفعال وتركها، فهو بالنسبة لهذا القسم مخيَّرٌ.

المُسَلَّمَةُ الثانية: إنَّ مسؤولية الإنسان تتعلق بما يستطيع فعله وما يملك اختياراً فيه، فالشرع والعقل يدلان على أنَّ المسؤولية عن العمل منوطة باستطاعة الإنسان على الفعل أو الترك، أمَّا الذي لا يملك الإرادة والاستطاعة فلا يصح أن تتوجه إليه المسؤولية، وهذا أمر بدهي ، والعاقل حتماً يستطيع التفريق بين العمل الإرادي فيجعله مناط التكليف، وبين العمل غير الإرادي فيعفي صاحبه من تحمل تبعات المسؤولية، قال تعالى: **{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا }**[البقرة:٢٨٦]

المُسَلَّمَةُ الثالثة: إنَّ النصوص الشرعية أثبتت للإنسان كسباً وفعلاً اختيارياً يحاسب عليه ويتوجه إليه التكليف الشرعي، وما ليس للإنسان فيه كسب اختياري فلا مسؤولية تتعلق به، ولا يحاسب عليه، قال تعالى: { **هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُون**}[يونس:٥٢] أي أنَّ الجزاء متعلّق بكسبِ الإنسان وقدرته على الفعل.

وبناء على ما تقدَّم فإنَّ عدلَ الله تعالى وحكمته يقتضيان أنَّ الإنسانَ لا يحاسبُ إلا

على الأفعال الاختيارية التي يستطيع أن يختار بينها وأن يقوم بها، فلا يحاسبُ مثلاً على ولادته في بيئة معينةٍ وفي زمن محدَّدٍ، ولا يحاسبُ على لونه وحركة جسده الاضطرارية، ولا يحاسبُ على جمال منظره وقبحه، ولا يحاسبُ على كلِّ فعل اضطراري لا إرادة له فيه، ولكنه بالمقابل مسؤول عن اختياراته الحرة، وعن فعله الإرادي، فلن يسأله الله تعالى يوم القيامة عن طوله ولونه، ولن يعذبهُ لأنه ولد في بيئة معينة أو زمن محدد، ولكن سيسأله عن تركه للطاعة وإقباله على المعصية، وسيثيبه على إقباله على الإيمان والعمل الصالح، وسيجازيه إن تنكَّر للإيمان والطاعة، وبذلك يلتقي واقع الإنسان ومنطق العقل مع نصوص الشريعة ومفاهيمها التي تربط المسؤولية والتكليف بالاستطاعة والإرادة الحرة.

فالإنسانُ أمامَ قدرِ الله تعالى كسائق السفينة، حرٌّ في سَيره واختيار طريقه ووجهة سفينته وزمن سفره، ويتحملُّ المسؤولية كاملة عن أي تقصير، أما إن مرَّتْ ريح شديدة أو علتِ الأمواجُ فليس له في ذلك مسؤولية ولا يحاسبُ على أمر لا اختيار له به.

ومثالُ الطالبِ الذي يدخلُ قاعةَ الامتحانِ يشرح ذلك ويوضحه ، فالطالبُ لا يختار مكان الامتحان ولا شكل القاعة ولا زمن الامتحان، وليس لذلك أيّ أثر في نتيجته النهائية، بل هو محاسب على جدِّه واجتهاداته، وتصدر النتيجة بناء على إجاباته، فأيّ تقصير أو إهمال في الدراسة تظهر نتيجته في درجاته النهائية.

المطلب الخامس: العلاقة بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب

إنَّ الفهمَ الصحيحَ لعقيدة القضاء والقدر لا يعارضُ أخذَ الإنسانِ بالأسبابِ، فلا

يجوز أن يتعلّل الإنسانُ بالقدر وعلم الله تعالى السابق؛ فيترك العمل والسعي والتداوي والاجتهاد .

فبعضُ الناسِ يحاولُ أن يفهمَ موضوع القدر فهماً خاطئاً، فيقول: كل ما سأفعله يعلمه الله تعالى وقد كتبه عليَّ، فما فائدة العمل والسعي طالما أنَّ الله تعالى قدَّر كلَّ شيء؟ وهذا التساؤل ينشأ من فهمٍ منحرفٍ لقضاء الله تعالى وقدره، ويتعارض مع ما قدمناه من مسؤولية الإنسان عن فعله.

ولتوضيح علاقة القدر بالأسباب نشرح ذلك في عدّة نقاط:

١- مع إيماننا بأنَّ الله تعالى بيده كل شيء، وأنه قدرّ الأشياء قبل وقوعها بعلمه وإرادته، وبمقتضى الألوهية والربوبية، إلا أنَّ ذلك لا يعني ترك الأخذ بالأسباب، فالأسباب لها نتائج تؤثر في حياتنا وفي مصيرنا، وقد أمرنا الله تعالى أن نجتهد ونعمل ولا نتقاعس أو نفتر، وأن نسعى ونبذل، وأن نتنافس في فعل الخير والأعمال الصالحة التي تقربنا لله تعالى ورضاه، فقال تعالى: **{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}**[التوبة:١٠٥].

٢- جميعُ الحوادثِ كائنةٌ بقضاءِ الله وقدره، وقد أمرنا الله سبحانهُ أن نزيل الشرَّ بالخير، ونزيلَ الكفرَ بالإيمانِ، والبدعةَ بالسنَّةِ، والمعصيةَ بالطاعةِ، وكل إنسان مكلَّف بأن يأمرَ غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر، وأن يبذل جهده ويسعى في اكتساب رزقه والأخذ بأسباب النجاح والتوفيق.

٣-إنَّ تعاطي العبد للأسباب النافعة، سواء في الزواج، أو في الرزق، أو في الدراسة، أو في العلاج داخل في الإيمان بالقدر، ولا ينافيه، وإنما هو مقتضى من مقتضياته، وبغير هذا الفهم للقدر تبطل الحكمة، وتتعطلُ السنن، وتفسد مصالح الناس.

٤- إنَّ علم الله تعالى-كما هو مقرَّر في علم العقيدة- كاشفٌ غير مؤثر، فلا يجوز ترك

الأسباب استناداً إلى علم الله تعالى، ففي صحيح البخاري عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ عُودًا يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الجَنَّةِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟ قَالَ: (اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ {**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى**} [الليل: ٦])[1].

فالحديث فيه إجابة شافية وتأكيد على أنَّ علم الله وقدره لا يمنعان الإنسان من السعي والأخذ بالأسباب، لذلك قال النبي ﷺ: اعملوا، ولم يقل: اجلسوا واتركوا العمل والسعي؛ اتكالاً على سابق علم الله تعالى.

٦- إنَّ الله تعالى قدَّر الخير والشر، والصحة والمرض، والنشاط والتقاعس، وأمر الإنسان أن يأخذ بالأسباب التي تحفظه من الشر والسوء.

٧- اللهُ تعالى قدَّر الأشياء وقدَّر أسبابها، فالمقدور لم يقدَّر مجرداً عن أسبابه ، فكما أنَّ الله تعالى قدَّر الشبعَ بالأكلِ، والرِّيّ بالشربِ، وقدَّرَ الولد بالزواج، وقدَّرَ حصولَ الزرع بالبذرِ، كذلك قدّرَ دخولَ الجنَّة بالأعمال والأخذ بالأسباب الصالحة.

المطلب السادس: العدالة الإلهية وارتباطها بالمحن والابتلاءات

أولاً: العدالة الإلهية وعلاقتها بالفعل الإنساني:

العدل هو ضدّ الجور والظلم، ومعنى العدل: إعطاء كلّ شيء حقَّهُ من المكانةِ أو

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب (فسنيسره لليسرى) ٦/١٧٠.

المنزلةِ أو الحُكم[1] .

واللهُ تعالى عدلٌ حكيم، ليس بظلام للعبيد، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة التي تؤكد على تلك الصفة:

- قال تعالى نافياً عن نفسه الظلم: {**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيد**}[آل عمران:١٨٢]، {**إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**}[النساء:٤٠] ، وفي الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) [2].

-قال تعالى داعياً إلى أداء الأمانات، والحكم بين الناس بالعدلِ والإحسان: {**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ** }[النساء:٥٨]، وفي حديث مسلم:(اتقوا الظلمَ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة) [3].

فالأدلةُ واضحةٌ وصريحة في إثبات العدالة الإلهية، ولكن يبقى السؤالُ عن كيفية فهم العدالةِ الإلهيةِ في ظلِّ الظروفِ التي نرى فيها مظاهرَ القتلِ والتشريد والفقر والجوع والحروب والآلام والمصائب ؟.

يمكن لنا توضيح ذلك من خلال عدَّة نقاط ترتبط بسنن الله تعالى وبعقيدة المسلم وموقفه من الصفات الإلهية:

١- من أبرز مظاهر العدالة الإلهية أنَّ الله تعالى الله تعالى خلقَ الإنسانَ وزوَّدهُ بالإرادة الحرَّة التي هي مناط المسؤولية والمحاسبة، فحملُ الإنسان للأمانة والتكليف واحد بين البشر، لا فرق بين المؤمن وغيره، فكلهم سواء، وهذا من أبرز مظاهر العدالة الإلهية، قال تعالى: {**إِنَّا**

(١)راجع: د.عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٩٩٣م، ص ١١٤- ١١٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى ١٩٩٤/٤.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ١٩٩٦/٤.

عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً}[الأحزاب:٧٢]

٢- وضعَ الله تعالى الإنسان في ميدان الامتحان والاختبار وهو يملك أدواتِ الامتحان وقادر على الكسب والعمل والسعي والتمييز، ولم يسلبهُ شيئاً من أدوات الفعل أو موجبات الامتحان، قال تعالى: **{ألم نجعلْ له عينينِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْن وهديناه النجدين}**[البلد:٨-١٠].

٣- قانونُ العدالةِ الإلهيةِ لا ينظرُ إلى الخَلقِ - بالفتح- بل إلى الخُلق -بالضم-، ولا ينظر إلى الجسد، بل إلى القلب، ولا ينظر إلى مظاهر التكوين؛ بل إلى السعي والعمل، ولا يحاسب على شيء لم يفعله الإنسان ، أو شيئاً لا يستطيعُ أن يفعله؛ لنقص في الأدوات قال تعالى:**{ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا}**[الطلاق:٧] أو عجز في الوسع والإمكانيات، قال تعالى:**{لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا }**[البقرة:٢٣٣] أو اضطرار في بعض الحالات، قال تعالى:**{ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ }**[البقرة:١٧٣].

٤-إنَّ مظاهرَ البلاء والحروب والآلام والمصائب سنة إلهية ملازمة لطبيعة الحياة الدنيا التي جعلها الله تعالى دارَ ابتلاءٍ وامتحان وليستْ دار قرارٍ، ودار تكليف وليست دار جزاء، فكل مظهر من مظاهر الآلام والمصائب مرتبط بالغاية الأساسية والحكمة الإلهية لهذه الدنيا وهي الابتلاء والتمحيص، قال تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ }**[الأنعام:١٦٥] .

٥- ليست الحياة الدنيا وحدها بقصر مدتها هي المعبرة عن كمال العدالة الإلهية، أو الجزاء والثواب؛ بل هناك امتداد لحياة أخرى تتجلى فيها العدالة الإلهية التي تجزي كل نفس بما كسبت أو اكتسبت، قال تعالى: **{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَاب}**[غافر:١٧]، فالله تعالى يقيم القسط والعدل يوم القيامة ويعطي كل

صاحب مصيبة أو بلاء ما يعوضه عن ذلك.

٦ – إنَّ وجود الظالمين والمجرمين لا يتضمن إقراراً بما فعلوه، أو أنَّ العدالة الإلهية غافلة عن ذلك؛ بل سيكون لكل ظالم جزاء يقابل ظلمه، وحساب على كل ما فعله، قال تعالى: **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}**[إبراهيم:٤٢]، فمن الجهل بالله تعالى وصفاته أن ننظر للعدالة الإلهية من خلال مظاهر الآلام والابتلاءات والمظالم والمصائب دون النظر إلى ما يرتبط بها من حساب وجزاء، وحكمة وسنن، فالنظر إلى العدالة من خلال زاوية واحدة أو لقطة واحدة أو مشهد واحد، لا يوضح معنى العدالة الإلهية، بل لا بدَّ من النظر لذلك من خلال كون الحياة الدنيا دار امتحان واختبار يتنافس فيها الناس في فعل الخيرات والأعمال الحسنة، ويتدافع أهل الحق والباطل، ثم يكون هناك يوم حساب وجزاء .

المطلب السابع: علاقة الهداية والضلال بقدر الله تعالى

لا يستقيم فهم الأفعال الإلهية على أنها زج للناس في بحار الضلال والخسران دون سبب أو داع، وليس ذلك استنتاجاً عقلياً منطقياً فقط يعتمد على براهين العقل وقواعد التكليف والمسؤولية وبدهيات الفطرة؛ بل هو استدلال شرعي من منطوق الآيات ودلالتها الصريحة في بيان أسباب الهداية والإضلال، ونقف عند بعض الآيات لتكون أوضح دليل على أنَّ الله تعالى عدل في حكمه وفعله:

– قال تعالى مبيناً سنته في خلقه في هداية الناس وإضلالهم، وأنَّ الله تعالى لا يقضي بإضلال أحد إلا بعد أن يقيم الحجة عليه، ويبين له سبل الهداية :{**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم**}[التوبة:١١٥].

– وقال تعالى عن قوم ثمود: {**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون**}[فُصِّلَت:١٧]، فالآية صريحة بأنَّ الهداية لها أسبابها، فالله تعالى كشفَ لهم وأوضح لهم أسبابَ الهداية إلا أنهم آثروا الضلالة والعمى فأخذهم العذاب بسبب ما فعلوه واكتسبوه، كما أشارت لذلك خاتمة الآية (بما كانوا يكسبون).

– وقال تعالى:{**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِين**}[الروم:٢٩]، أي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم، فإنَّ اللهَ تعالى أضلَّهم بسبب ظلمهم واتباعهم للهوى، فالإضلال من الله تعالى كان بسببِ أفعالهم، وما كانَ الله ليمنعَ عنهم الهداية، لولا أنهم أوجبوا ذلك على أنفسهم بما اقترفوا، ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى عن قوم موسى: { **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين**}[الصف:٥] فقد زاغوا عن الحق والهداية فاستحقوا من الله تعالى أن يزيغ قلوبهم وأن يمنع عنهم الهداية.

– وفي آية أخرى يبين الله تعالى سبب إضلال بعض الأقوام وعدم هدايتهم، قال تعالى:{**كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين**}[آل عمران:٨٦] فهؤلاء كفروا وكذبوا الرسول وقد أقيمت عليهم الحجج الإيمانية إلا أنهم جحدوا واستكبروا عن كل ذلك، فكيف يهديهم الله تعالى بعد ذلك وهم ليسوا أهلا للهداية، ويؤكد عنادهم وجحودهم ما جاء في الآيات التي بعدها وهي تصف شدتهم وجحودهم ورضاهم بالضلال، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ**

إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّون}[آل عمران:٩٠].

فالله تعالى لا يمنع الهداية عن مستحقيها، ولا يعطي الضلالة لمن لا يستوجبها، وهذا من كمال عدله وحكمته، ونجد ذلك جلياً في قوله تعالى في سورة البقرة:**{أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِين}**[البقرة:١٦]، فهو يصف حال المنافقين وأنَّ سببَ ضلالهم هو أنهم تركوا الهداية التي أرشدهم الله تعالى إليها عن طريق آياته ورسله، واشتروا الضلالة التي زينها لهم الشيطان وأهواء نفوسهم فاستحقوا أن يكونوا من أهلها، وفي مقابل ذلك نجد أنَّ الله تعالى في (سورة الزمر) يصف المؤمنين المصدّقين بالله تعالى ورسله بأنهم نالوا أعظم ربح في تجارتهم مع الله تعالى فاستحقوا الهداية والسداد، قال تعالى: **{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَاب}**[الزُّمَر:١٨].

الفصل السابع: الإيمان باليوم الآخر

المطلب الأول: حقيقة اليوم الآخر والأدلة عليه

أولاً: أهمية الإيمان باليوم الآخر:

إنَّ الإنسانَ مخلوقٌ مكرَّم عند الله تعالى، وقد سخَّر له الكون وما فيه، كما كلَّفه الله تعالى بتكاليفَ عدَّة، وجعلَ الحياة الدنيا دارَ عمل لا دارَ جزاء ، ودارَ سعي ونصب لا دار قرار وخلود، وجعلَ بعد ذلك داراً للحساب والجزاء ، ولكن متى يكون الجزاء والحساب؟ وما

هي المراحل والمواقف التي يمرّ بها الإنسان بعد الموت؟ وما هو المصير الذي ستنتهي إليه حياة الإنسان؟ كلّ ذلك يأتي يوم القيامة، وهو ما يسمَّى اليوم الآخر، الذي يعدّ الإيمانُ به والتصديق بوقوعه ركناً أساسياً من أركان الإيمان في عقيدة المسلم.

والإيمان باليومِ الآخر يؤكدُ على كمال عدلِ الله تعالى وتمام حكمته، ذلك أنَّ الله تعالى لم يترك الناس سدىً ولم يخلقهمْ عبثاً؛ قال تعالى: {**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** }(الملك: ٢) ، فالحياة الدنيا دار تكليف وابتلاء، ثم تكون الحياة الآخرة دار جزاء، فيثابُ المؤمنون بالنَّعيم والجنَّة ورضوان الله تعالى، ويساقُ الكافرونَ إلى جهنَّمَ وعليهم غضبٌ من الله تعالى.

فيوم القيامة هو يوم الجزاء والحساب والثواب والعقاب، وهو يوم لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم يُطلعْ أحدًا من الخلق عن موعدهِ، ولكنه جعل لذلك اليوم علاماتٍ وشرائط يراها من أدركها من أهل الدنيا، ثمَّ يكون الموتُ، وحياة البرزخ وما فيها من نعيم القبر وعذابه، ثمَّ قيام الناس من قبورهم وبعثهم من برزخهم، ثمَّ تتوالى المواقف: من حشر وحوض وحساب وميزان وشفاعة وصراط وجنَّة ونار، كلُّ ذلك جاء في القرآن والسنة كما سنوضحُ ذلك.

ثانياً: أسماء اليوم الآخر:

جاءَ في القرآنِ الكريم تسميةُ اليوم الآخر بعدَّة تسمياتٍ تدلُّ على مراحله وما يتضمنه ذلك اليوم، فهو يومُ البعثِ والقيامةِ والخروجِ والدِّينِ والفصلِ والحشرِ والجمعِ والوعيدِ والحسرةِ والخلودِ، وهي كلُّها تسمياتٌ تدلُّ على صفاتِ اليوم الآخر ومراحله، فهو اليوم الذي يُبعثُ فيه الناسُ من قبورهم ويحاسبون على أعمالهم حساباً لا يغادرُ صغيرة ولا كبيرة، قال تعالى: {**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** } (الأنبياء: الآية ٤٧) .

ثالثاً: الأدلة القرآنية على اليوم الآخر:

اهتمَّ القرآن كثيراً بإقامة الأدلة على وجود يوم آخر يقوم فيه الناس لربِّ العالمين، وقد امتدح الله تعالى المؤمنين لثقتهم وتصديقهم بذلك اليوم، فقال تعالى: **{والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون}**[البقرة:٤]بل جعل من أعظم أنواع البرّ أن يؤمن الإنسان بالله تعالى واليوم الآخر، قال تعالى: **{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ }**[البقرة:١٧٧]

وجعل من أخطر أنواع الضلال أن يتنكر الإنسان لذلك اليوم وأن يكفر به، قال تعالى:**{ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}**[النساء:١٣٦]

ثم إنَّ القرآن اهتم ببيان قدرة الله تعالى على إعادة الخلق يوم القيامة للحساب والجزاء، لأنَّ عقيدة الإيمان باليوم الآخر تتضمن أشياء عجيبة قد تكون سبباً في إنكار ذلك اليوم، فاهتمَّ القرآن بإبراز تلك الأدلة وتفصيلها ومنها:

- قال تعالى في معرض الردِّ على من كفر بالله تعالى وبالحساب:{**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** } (البقرة٢٨) فالله تعالى قادر على إحياء الناس من قبورهم ومحاسبتهم، وذلك بمقتضى كمال ألوهيته ، وأنه الإله الحق القادر على كل شيء، قال تعالى: {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } (الحج: ٦).

- كما أثبت الله تعالى لنفسه التفرَّد بالخلق والحساب، وردَّ على المشركين الذين عبدوا آلهة غيره، وبيَّن عجز الشركاء عن أي فعل من أفعال الله تعالى، فقال في سياق الحجاج والرد عليهم: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** } (الروم٤٠).

- ردّ على من استبعد الإعادة بعد الموت، وحرَّك فيه نوازع الفكر وكوامن الفطرة، فقال تعالى

وهو يذكّره بالخلق الأول: {**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** } (يس: ٧٨-٧٩) ، كما أنه-في موضع آخر- أقام الحجةَ على كل منكر؛ من خلال الخلق الأول، وخلق السماوات والأرض، فقال تعالى : {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** }(الأحقاف٣٣).

فكل تلك الأدلة تؤكد أحقيةَ اليوم الآخر وضرورة الإيمان به، وتبين أنَّ الإيمانَ باليوم الآخر أصلٌ من أصول العقيدة، ولا يستقيم إيمان العبد إلا به.

رابعاً: آثار الإيمان باليوم الآخر:

الإيمانُ بالحياةِ الآخرةِ له آثارٌ قويةٌ على نفسِ المؤمنِ وعقلهِ وجميع مداركه، بل له آثارٌ على سائرِ شؤونهِ المرتبطةِ بالحياةِ الدنيا والآخرةِ، ويمكنُ أن نذكرَ أهمَّ تلك الآثار:

١-إذا أيقنَ الإنسانُ بوجودِ الآخرةِ أصبحَ في حال من يعلم أنه مسؤول عن أعماله وأقواله ومحاسب على ما يقدمه وما يؤخره وما يبطنه وما يظهره وما يخفيه وما يعلنه، وهذا ما يحمله على صدقِ القول، وإصلاح العمل، والإحسان في المعاشرة، والالتزام بالنصح لعباد الله تعالى، وأداء الأمانة، ووفاء العهد، والقيام بواجب الالتزامات في المعاملات المالية، ونحوها من سائر العقود والالتزامات.

٢-من ثمراتِ الإيمان باليوم الآخر، أداء العباداتِ والالتزام بالأخلاق والآداب على أكمل وجه، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في البأساء والضراء كلها ثمرات الإيمان واليقين بالله تعالى واليوم الآخر، وقد جمع الله تعالى في آية واحدة بينَ أصول الإيمان ومنها الإيمان باليوم الآخر وبين ثمراتها، فقال تعالى: {**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ والملائكة وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ والسائلين وَفِي**

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }(البقرة١٧٧).

٣-من ثمرات الإيمان باليوم الآخر الطمأنينة لعدل الله تعالى، ففي مواضع كثيرة من القرآن تدعو الآيات إلى التذكير بيوم الحساب ويوم الجزاء خاصة؛ لأهمية هذه العقيدة وعظم أثرها على النفس، قال تعالى: {**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** }(البقرة٢٨١)، كما تؤكد على أحقيته وأنه يوم العدل والقسط ولا يظلم فيه أحد، قال تعالى: {**فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** }(آل عمران٢٥)، وأنه يوم ترجع فيه الحقوق إلى أهلها ويقضى بين الخلائق بالحق، ولا تجزى كل نفس إلا بما كسبت ولا تحاسب إلا بما عملت، قال تعالى {**وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ** }(البقرة٤٨)، وقال تعالى: {**لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**}(إبراهيم ٥١) وقال تعالى: { **وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** }(الأنعام١٦٤).

٤-الإيمان باليوم الآخر يقي النفس من عِلاَّتها، ويحفظ القلب من أمراضه، قال تعالى: {**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** } (الشعراء ٨٨- ٨٩)، فلا يحمل المؤمن في قلبه كفراً ولا نفاقاً ولا غلاً ولا حسداً، بل يسعى ليلقى ربَّه بقلب سليم، وعمل صالح.

٥- الإيمان باليوم الآخر يستنهضُ العقولَ من غفلاتها ويستفزّ الأفكار من مراقدها كي لا يقفَ العاقل عند حدِّ العالم الفاني وينكر العالم الآخر، ولو فعل ذلك لضاعت حكمة الشرائع الإلهية الحكيمة القويمة، فحينئذ يتساوى الحق والباطل، والعدل والظلم، والفساد والصلاح، وهو من أبطل الأشياء وأقبح الأفعال، وقد بين ربُّنا سبحانه وتعالى فساد ذلك فقال: {**أَمْ**

نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } (ص: ٢٨) وأكَّد ذلك في موضع آخر فقال: **{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ }**(غافر:٥٨).

٦-إذا رسخَ الإيمان باليوم الآخر في قلب المؤمن؛ فإنه يحفظ النفس ويضبط الرغبات ويهذب النوازع ، ويدفع صاحبه إلى الجد والعمل ويمنعه من القعود والكسل ويحقق له الطمأنينة ويحفظه من القلق والجزع، فيشتغل بالعمل الصالح والقول الصادق والنية الطيبة والخلق الحسن والكسب الطيب .

٧-الإيمان باليوم الآخر ينهض بهمة صاحبه ويقوي عزيمته على الإقدام والبذل والعطاء، ويحفظه من الانحراف السلوكي أو الأخلاقي، وقد عرض لنا القرآن تعليلاً لوقوع بعض الناس في الانحرافات العملية وأكل أموال الناس بالظلم والغش، فقال تعالى: **{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}**(١-٦) فهذه صورة لطائفة من الناس ضعف الوازع الديني في قلوبهم؛ بسبب غفلتهم عن الحياة الآخرة ولقاء الله تعال، وهذا واضح من قوله تعالى: { **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**} فهو إنكار وتعجّب من حالهم في الاجتراء على التطفيف، والظنّ هنا بمعنى اليقين، أي: ألا يوقنُ أولئك بالبعثِ، ولو أيقنوا لما نقصوا في المكيال.

المطلب الثاني: علاماتُ يوم القيامة

إنَّ الله تعالى أخفى عن الناس موعدَ الساعةِ وموعدَ انتهاء الحياة الدنيا؛ ولكن جعلَ لذلك علاماتٍ تدلُّ على اقتراب ذلك اليوم، وهذه العلامات هي ما يسمى بعلامات يوم القيامة، أو أشراط الساعة.

فمن الحقائق المقرَّرة في الإسلام أنَّ يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه، وأنَّ العلم بوقت وقوعه مما استأثر الله به، قال تعالى: **{ إنَّ الله عنده علمُ الساعةِ }**(لقمان: ٣٤) غير أنَّ الله عز وجل قد أقام علامات تدلنا على قرب الساعة ودنو أجلها ، قال تعالى: **{فهل ينظرونَ إلا الساعة أن تأتيهم بغتةً فقد جاءَ أشراطُها }** (مُحَمَّد : ١٨).

وقد قسَّم العلماء هذه العلامات إلى ثلاثة أقسام: علامات الساعة الصغرى، علامات الساعة الوسطى، علامات الساعة الكبرى.

القسم الأول: العلامات الصغرى:

وهي علامات ظهرت وانتهت، ومنها:

١- بعثة النبي ﷺ: ففي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: (بعثتُ أنا والساعة كهاتين ، وقَرَنَ

بين السبابة والوسطى)[1]، وفي هذا إشارة إلى أنَّ قيام الساعة قريب كقرب الإصبع السبابة من الإصبع الوسطى.

٢-انشقاق القمر في عهده ﷺ: قال تعالى : { **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَر** } (القمر:١)، وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال : (انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين ، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا)[2].

٣-ظهور نار عظيمة من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، روى البخاري ومسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال:(لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى)[3]، وقد وقعت تلك العلامة في سنة ٦٥٤هـ كما ذكرت ذلك كتب التاريخ.

القسم الثاني: العلامات الوسطى:

وهي ما ظهر من العلامات ولم ينقض؛ بل هو في ازدياد، ومنها:

- ظهور مدّعي النبوة الدجالين الكذابين، ففي حديث مسلم أنَّ النبي ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين؛ كلهم يزعم أنه رسول الله)[4]، وقد ظهرَ جمع من هؤلاء في العصر الأول، منهم: مسيلمة الكذاب، الذي ادعى النبوة ومات ولم يسلم، وسجاح وهي امرأة شاعرة وأديبة ادَّعت النبوة ثم تابت وأسلمت، وطليحة بن خويلد الأسدي وقد أسلم أيضاً، والأسود العنسي الذي ظهر بصنعاء، وظهر كثير غيره ،كما ظهر في العصر الحديث ميرزا أحمد القادياني الذي ادَّعى النبوة، وصار له جماعة تدعى القاديانية، وألَّف العلماء في الرد عليه كتباً بينوا فيها كذبه وتدليسه وكفره.

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين، ١٠٥/٨، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة ٢٢٦٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية ٢٠٦/٤، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر ٢١٥٨/٤.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب خروج النار ٥٨/٩، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ٢٢٢٦/٤.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٢٠٠/٤.

- تضييع الأمانة بإسناد الأمر إلى غير أهله : روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا ضيّعت الأمانةُ فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ ، قال: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) (١).

- ظهور النساء الكاسيات العاريات : روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) (٢).

وقوله (كاسيات عاريات) أي أنهن يلبسن ثياباً غير ساترة لجميع أبدانهن، أو شفافة تصف ما تحتها، أو ضيقة تبرز عوراتهن وقد ظهر هذا الصنف في زماننا هذا، ولم ينقض، بل هو في ازدياد.

- كثرة القتل: روى مسلم عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج ؟ يا رسول الله ، قال : القتلُ ، القتلُ). (٣)

- عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً : روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ...وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا) (٤) وقد اكتشفَ العلم الحديث هذه الحقيقة، وأخبر علماء الجيولوجيا المعاصرون بمثل ما أخبر به النبي ﷺ قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان.

- ارتفاع شأن المفسدين في الأرض ، واستيلائهم على مقاليد الأمور : روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: (إنها ستأتي على الناس سنون خدّاعة ، يُصدَّق فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبِضَة " قيل وما

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه ٢١/١.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات ١٦٨٠/٣.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما ٢٢١٥/٤.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة ٧٠١/٢.

الرُّوَيْبِضَة ؟ قال : السفيه يتكلَّم في أمرِ العامَّة) [1].

القسم الثالث: علامات قيام الساعة الكبرى:

وهي العلاماتُ العظمى التي يعقبها قيامُ الساعة، فإذا ظهرت واحدة منها، فالأخرى على إثرها إلى أن تقوم الساعة، وهي كثيرة إلا أنَّ النبي ﷺ تكلَّم عن عشرة منها في حديث واحد.

جاء في حديث مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطَّلع النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: (ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنَّها لن تقومَ حتى ترونَ قبلها عشر آياتٍ، فذكر: الدخان، والدجَّال، والدابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطردُ النَّاس إلى محشرهم) [2].

فهذه عشر علامات تسبق قيام الساعة، وهي: الدخان، والدجَّال، والدابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطردُ الناس إلى محشرهم .

وقد جاء ذكر بعض تلك العلامات الكبرى في القرآن: كالدابَّة ويأجوج ومأجوج والدخان، فالدابَّة جاء ذكرها في القرآن صريحًا في قوله تعالى : **{ وإذا وقعَ القولُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أنَّ النَّاسَ كَانُوا بآياتِنَا لا يُوقِنُونَ}** [النمل: الآية ٨٢]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ٥١٢/٤ ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وأخرجه أحمد في مسنده: مسند أبي هريرة ﷺ ٢٩١/١٣

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٢٢٢٥/٤ .

.[1]

ويأجوج ومأجوج ورد ذكرهما صريحًا في القرآن في موضعين:

الأول: قوله تعالى: **{ قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداً }**[الكهف: الآية ٩٤].

والثاني: قوله تعالى: **{ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ }** [الأنبياء: الآية ٩٦] .

وكذلك الدخانُ ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: **{ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }** [الدخان: الآية ١٠-١١][2] .

أما نزولُ المسيح عليه السلام، فقد جاء في القرآن أنَّ مِن أهل الكتاب مَن سيؤمن به قبل موته، ومن المعلوم أنَّ الله تعالى رفع المسيح إلى السماء وأنه لم يقتل ولم يمت، وذلك يدلُّ على أنه سينزل في آخر الزمان، قال تعالى: **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}**[النساء:١٥٩]، كما دلَّت السنَّة الصحيحة على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وحكمه بكتاب الله تعالى، وقتله اليهود والنصارى [3]، بل إنَّ الأحاديث التي وردتْ فيه يمكن أن تصلَ إلى درجة التواتر، وهي صريحة في دلالتها[4].

كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذكر الدجَّال وصفاته وأفعاله، وطلوع الشمس

---

(١) اختلف المفسرون وأهل الحديث في المراد بالدابَّة ، وذكروا فيها عدَّة أقوال ، أشهرها أنَّها دابَّة عظيمة تخرج من جبل الصفا بمكة ، وأنَّها تسمُ بين عيني المؤمن سمة كأنَّها كوكبٌ درّي ، وبين عيني الكافر نكتة سوداء (راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١٣، النووي: شرح صحيح مسلم ٢٥٦/٩).

(٢) والمراد بالدخان هو دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام ويكون ذلك قبل قيام الساعة بقليل، وبهذا المعنى يكون ذكر الدخان صريحًا في القرآن والسنَّة، ولكن خالف في ذلك ابن مسعود من الصحابة وقال بأنَّ الدخان المذكور في الآية هو ما نال قريشًا من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان، فقوله يفيد أن الدخان الوارد في الآية شيء آخر وقد وقع، وقد خالفه في ذلك كثير من الصحابة كحذيفة وابن عمر والحسن ﷺ جميعا. (راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ٢٥٦/٩).

(٣) راجع: ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ٧٢.

(٤) جمعَ المحدِّث مُحَمَّد أنور شاه الهندي الأحاديث الواردة في نزول المسيح وبلغت عنده مبلغ التواتر؛ لذلك سمَّى كتابه: " التصريح بما تواتر من نزول المسيح" وقد طبع بتحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

من مغربها، وخروج نار من اليمن تحشر النَّاس إلى محشرهم، ووقوع ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب.

المطلب الثالث: عالم البرزخ

أولاً: التعريف بعالم البرزخ:

تعدُّ حياة البرزخ من الأمور الغيبية التي لا يُمكن لأحدٍ الاطلاع على حقيقتها، فضلاً عن التنبُّؤ بحوادثها وأحداثها ، إلا ما ثبت بخصوصها وجاء ذكره وبيان تفاصيله في القرآن أو الأحاديث التي صحت عن النبي ﷺ، لذلك فإنَّ الكلام عن حياة البرزخ ابتداء بالموت وانتهاء ببعث الناس من قبورهم لا مجال للاجتهاد فيها أو التنبؤ عن أحوالها، ويكفينا في ذلك ما جاء به الوحي من القرآن والسنة، فهما المصدر الأساس في ذلك، وكل ماذكره العلماء حول ذلك إنما هو توضيح وشرح لتلك الآيات والأحاديث.

١- البرزخ لغةً: هو الفاصل بين الشيئين، والحاجز بينهما، لذلك يقال للميت إذا دخل القبر إنّه بدأ يحيا في حياة البرزخ، لأنه بدخوله إلى القبر يكون قد انتقل إلى مرحلةٍ بين الدنيا والآخرة، ويكون القبر هو الفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

٢- البرزخ في عرف الشرع: هو المرحلة والفترة التي تفصل بين الحياة الدنيا والآخرة، ويكون لها عالمٌ مخصوص يختلف عن الحياة الدنيا ويختلف عن الآخرة، ويَرِدُ على هذه المرحلة جميع البشر بعد موتهم، يبقون في تلك المرحلة حتى تقوم الساعة، ويبعثون من قبورهم ، فأهل البرزخ ليسوا من أهل الدنيا ولا يعودون إليها، وليسوا من أهل الآخرة.

وقد وردت في بعض النصوص القرآنيّة والأحاديث النبوية إشارات إلى بعض ما يقع في تلك المرحلة، ومن تلك الأشياء: ضغطة القبر- سؤال الملكين-عذاب القبر ونعيمه، وسنذكر بعض ما جاء فيها.

ثانياً: ضغطة القبر:

ورد في الأحاديث عن النبي ﷺ أنَّ الميتَ بعد أن يوضعَ في قبره يضغط عليه ضغطة لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، وهي ضغطة لا ينجو منها أحد، سواء أكان كبيراً أم صغيراً، مؤمناً أم كافراً، صالحاً أم طالحاً، مع وجود فرق بين ضغطة الكافر وضغطة المؤمن، وضغطة الصالح وضغطة الفاجر، فالمؤمن يضغط ضغطة لطيفة ثم يفرّج عنه، أما الكافر والمنافق فيضغط ضغطة تختلف أضلاعه منها، وقد جاء في الأحاديث ما يدل على ذلك:

ففي حديث أحمد وابن حبان والحاكم أنَّ النبي ﷺ قال عن الكافر والمنافق بعد أن يوضع في قبره ويأتيه الملكان، فيسألانه ولا يقدر على الإجابة: (...ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه)[1].

وجاء في مسند أحمد وصحيح ابن حبان أنَّ النبي ﷺ قال: (إنَّ للقبر ضغطة، لو كان أحدٌ ناجياً منها، نجا منها سعد بن معاذ) [2]، وفي معجم الطبراني الكبير أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد دفن صبي :(لو أفلتَ أحدٌ من ضمةِ القبر، لنجا هذا الصبي)[3].

ثالثاً: سؤال الملكين:

ثبت في الأحاديثِ الصحيحة أنَّ الميت إذا وضعه أهله في القبر ثم انصرفوا عنه، فإنّه يأتيه ملكان موكَّلان به وبكلِّ من مات من البشر مبعوثان من الله –سبحانه وتعالى– فيُقعدانه في موضعه، ويسألانه عن دينه وربه ورسوله؛ وبناءً على تلك الأسئلة والأجوبة تتضح معالم حياته البرزخيّة وكيف سيحياها، فإن أجاب بما يوافق الحق الذي عاش من أجله

(١) مسند أحمد: مسند أنس بن مالك ٢٩٠/١٩، مستدرك الحاكم: كتاب الجنائز ٥٣٥/١، صحيح ابن حبان ٣٨٢/٧.

(٢) مسند أحمد: مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ٣٢٧/٤٠، صحيح ابن حبان ٣٧٩/٧..

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١٢١/٤.

ومات وهو موقن به، لقي في قبره من نعيم أهل الجنة ما شاء الله له أن يتنعَّم به، وإن كانت إجاباته مُناقضةً للحق بعيدة عن الإيمان واليقين، لبعده عن الله تعالى في الدنيا وتكذيبه لرسل الله تعالى ، يناله بعض من عذاب النار في قبره، قال الله سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم فيما يخص سؤال الملكين للميت في قبره، وتثبيت الله تعالى للمؤمن أثناء السؤال: **{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ }**[إبراهيم:٢٧].

وجاء في حديث الترمذي أنَّ اسم أحد الملكين منكر والآخر نكير ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ...) [(١)].

رابعاً: عذاب القبر ونعيمه:

من المسائل التي ترتبط بحياة البرزخ ما جاء في وصف عذاب القبر ونعيمه، فقد جاءت آيات وأحاديث تذكر بعضاً مما يقع في تلك الحياة البرزخية، فعذاب القبر ونعيمه ثابتان بنصوص الكتاب والسنة، قال ابن تيمية: "وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ما بين الموت إلى يوم القيامة: هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع" [(٢)]، ثمَّ أوضح ابن تيمية أنَّ الثواب والعقاب في القبر يلحقان الروح والبدن معاً، فقال: "بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعَّم النفسُ وتعذَّب منفردة عن البدن، وتعذَّب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح مفردةً عن البدن"[(٣)].

والأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة، منها: قوله تعالى في حق آل فرعون:

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ٣٨٣/٣.

(٢) السابق ٢٦٢/٤

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨٢/٤).

{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ } [غافر:الآية ٤٦] فالآية توضح أنَّ آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً قبل قيام الساعة، ثم يدخلهم الله تعالى أشدَّ العذاب بعد قيام الساعة، فيكون المراد بذلك أنهم يعرضون على النار في الحياة البرزخية والقبر .

كما جاءت الأحاديث المتواترة في بيان عذاب القبر ونعيمه قال التفتازاني: "الأحاديث في هذا الباب متواترة المعنى " [١] ، ونذكر أشهر الأحاديث في ذلك:

-في الصحيحين من حديث أنس أنّ النبي ﷺ قال: (العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ – أَوِ المُنَافِقُ – فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ)[٢].

– حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ بقبْرين فقال: (إنَّهما ليعذَّبان وما يعذَّبان في كبير، أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأمَّا الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثمَّ أخذ جريدةً رطبةً فشقَّها نصفين، فغرز في كلّ قبر واحدة، قالوا: يا رسولَ الله لمَ فعلتَ هذا ؟ قال: لعلَّه يُخفَّفُ عنهما ما لم يَيْبسَا) [٣].

– حديث ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنَّها سمعت النبي ﷺ : (وهو يتعوَّذ من عذاب

(١) راجع: التفتازاني: شرح المقاصد ص١١٢-١١٤.

(٢) البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال ٢/٩٠، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ٤/٢٢٠٠.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول ١/٥٣.

القبر). [1]

ومما ينبغي التنبيه عليه أنَّ عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه إن لم يتجاوز الله عنه، قُبر أم لم يقبر، فلو أكلته السباع، أو حرق حتى صار رماداً، أو نسف في الهواء، أو غرق في البحر ، وصلَ إلى روحه وبدنه من العذابِ ما يصلُ إلى المقبور.

خامساً: شبهات حول عذاب القبر ونعيمه:

أنكر بعضُ الملاحدة والزنادقة ما يقعُ للميت في القبر من سعة وضيق وعذاب ونعيم، وأنَّ الميت يجلس في قبره ويُسأل، وذكروا شبهات كثيرة منها:

– إذا كشفنا القبرَ فلا نجد فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد ناراً تأجَّج.

– لو كشفنا عن قبر ميت لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبقَ وعلى صدره الخردلَ لوجدناه على حاله.

– كيفَ يفسح للميت في قبره مدَّ بصره أو يضيق عليه، ونحن نجده بحاله، ونجد مساحة القبر كما هي دون زيادة أو نقصان.

– كيف يسع ذلك اللحد الضيق للميت وللملائكة التي تنزل عليه وتسأله.

– نرى المصلوبَ على خشبةٍ مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه ناراً.

–كيف يُسأل من افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح .

هذه أبرزُ الشبهاتِ التي يثيرها المشككون حول الحياة البرزخية وما يقع فيها، وقد

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر ٢/٩٩.

ذكرَ ابن تيمية تلك الشبهات، ثم أجاب عنها إجابات شافية، نقلها عنه ابن القيم في كتابه الروح[1]، ونحن نلخص تلك الإجابات في عدَّة نقاط، بما يوضح حقيقة الحياة البرزخية وما يقع فيها:

١- إنَّ الرسلَ صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل إخبارهم قسمان، أحدهما: ما تشهد به العقول والفِطر ، الثاني: مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً، وكل خبر يظن أنَّ العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذباً عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسداً .

٢-يجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمَّل كلامه مالا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان.

٣-إنَّ الله سبحانه وتعالى جعلَ الدور ثلاثاً: (دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار)، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركَّب هذا الانسان من بدن ونفس، وتفصيل ذلك في الآتي:

- جعل الله تعالى أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وان أضمرت النفوسُ خلافه.

- وجعل الله تعالى أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواحُ الأبدانَ في أحكام الدنيا، فتألمت بألمها والتذَّت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدانُ الأرواحَ في نعيمها وعذابها في أحكام البرزخ، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدانُ في أحكام الدنيا ظاهرة والأرواح خفية ،

(١) راجع: ابن القيم: الروح ص٦١ وما بعدها.

والأرواح في البرزخ ظاهرة والأبدان خفية ، فتجرى أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً، كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً.

وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم؛ فإنَّ ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً، والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثرَ الطعام والشراب في فيهِ ويذهبُ عنه الجوع والظمأ.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك؛ وذلك أنَّ الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس؛ فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع، فهكذا في البرزخ؛ بل أعظم، فإنَّ تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهى متعلّقة ببدنها لم تنقطع عنه كلَّ الانقطاع.

-فإذا كان اليوم الآخر، يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً.

فما أخبر به الرسولُ من عذاب القبر ونعيمه، وضيقه وسعته وضمه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه.

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر عند الآخر، فأمر البرزخ ليس بأعجب من ذلك .

٤- إنَّ الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين، فالملائكةُ تنزل على المحتضر، وتجلس قريباً منه، ويشاهدهم عياناً، ويتحدثون عنده، ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار، ويؤمّنون على دعاء الحاضرين بالخير أو الشر، وقد يسلّمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه، وتارة بإشارته، كل ذلك يقع للمحتضر وهو في الدنيا ولا يراه أحد ، قال تعالى: **{فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُوم، وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُون، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُون}**[الواقعة:٨٣-٨٥] أي: أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم.

٥- إنَّ الله سبحانه وتعالى يحدثُ في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك، فهذا جبريل كان ينزل على النبي، ويتمثل له رجلاً فيكلمه بكلام يسمعه، ومن يكون جانب النبي لا يراه ولا يسمعه، وأحياناً يأتيه الوحي مثل صلصة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين، وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلّمون بالأصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم، وقد كان جبريل يقرئ النبي ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعونه.

٦- كيف يستنكر من يعرفُ الله سبحانه ويقرّ بقدرته أن يحدثَ حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم ؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر ، وإنَّ أحدنا يمكنه توسعة القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولاً وعرضاً وعمقاً ويستر توسيعه عن الناس، ويُطلع عليه من يشاء، فكيف يعجزُ ربّ العالمين أن يوسعه ما يشاء على من يشاء، ويستر ذلك عن أعين بنى آدم فيراه بنو آدم ضيقاً، وهو أوسع شيء وأطيبه ريحاً، وأعظمه إضاءة ونوراً وهم لا يرون ذلك .

٧-إنَّ هذه السعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليست من جنس المعهود في هذا العالم، والله سبحانه إنما أشهد بنى آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها، فأمَّا ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء؛ ليكون الاقرار به والايمان سبباً لسعادتهم، فاذا كشف عنهم الغطاء صار عياناً مشاهداً، ولو كان الميتُ بين الناس موضوعاً لم يمتنع أن يأتيه الملكان

ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه، ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه، وهذا الواحد منا ينام إلى جنب صاحبه فيعذب في النوم ويضرب ويألم وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة..

٨- غير ممتنع أن تردَّ الروح إلى المصلوب والغريق ونحن لا نشعر بها؛ لأنَّ ذلك الردّ نوع آخر غير المعهود، ، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعلَ للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعلَ في الجماداتِ شعورا وإدراكاً تسبح ربها به وتسقط الحجارة من خشيته وتسجد له الجبال والشجر وتسبحه الحصى والمياه والنبات، فهو القادر على أن يوصل نوعاً من العذاب والنعيم إلى أجساد تفرقت وأرواح تباعدت.

المطلب الرابع: البعث بعد الموت

أولاً: حقيقة البعث بعد الموت:

الموت ليس نهاية الإنسان؛ بل بداية مرحلة جديدة تنقل الإنسان من هذه الدنيا إلى الآخرة بكلِّ ما فيها من نعيم أوعذاب، فبعد أن تنتهي حياة الناس على ظهر الأرض يأمر الله تعالى الملكَ الموكّل بالنفخِ في الصور لينفخ النفخة الأولى، فيهلك مَن في السماوات والأرض إلا من شاء الله تعالى، وتكون هذه النفخة لإنهاء الحياة على ظهر الأرض وفي السماء، وتسمى هذه النفخة نفخة الصعق، قال تعالى: **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ }**[الزُّمَر:٦٨]، وبعد أن يمرَّ على الناس زمان طويل في باطن الأرض يأمر الله تعالى الملك الموكل بالصور لينفخ نفخة ثانية؛ ليخرج الناس من قبورهم ويبعثون للحساب والجزاء، قال تعالى:**{ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُون}**[الزُّمَر:٦٨].

فالبعث يكونُ بعد النفخة الثانية، وهو عبارة عن الإخراج من القبور(١)، وبعد البعث تبدأ مواقف اليوم الآخر وما فيها من أهوال، وما يكون بعدها من جزاء وحساب.

ثانياً: الأدلة على البعث بعد الموت:

فصَّلت الآياتُ القرآنية كثيراً في هذه العقيدة وما يتعلق بها، فقد جاء في القرآن كلام عن البعث والحشر والقيام لربِّ العالمين وجمع الناس وحسابهم، كما احتوت على ذكر شبهات المنكرين ومجادلتهم، وضرب الأمثلة التي تقرِّب القضية إلى عقولهم، فأدلة القرآن هي أقوى الأدلة وأوضحها، فهي فطريَّة وعقلية وشرعية؛ فطرية لأنَّها تحرك فطرة الإنسان، وتثير ما هو مغروز فيها من الإيمان بأنَّ الموت ليس نهاية وعدماً وفناء؛ بل لا بدَّ أن يكون هناك يوم يبعث فيه الإنسان لحياة أخرى، وهي عقلية شرعية؛ لأنَّ الله تعالى خاطب بها العقول والعقلاء وأقام عليها الأدلة والبراهين وردَّ على الشبهات والإشكالات بما يتناسب مع كلِّ شبهة وبما يقنع كلَّ منكر، فالناس في ذلك ليسوا سواء، بل هناك صنفان من منكري البعث

(١) راجع: أحمد الصاوي: شرح الجوهرة ص ٣٦٦.

ذكرهما القرآن وردَّ على شبهاتهما:

الأول: من أنكرَ الخالقَ والبعث والإعادة:

وهم الذين أخبر عنهم القرآن بقوله تعالى: **{ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ }** [الجاثية: الآية ٢٤]، فهؤلاء أنكروا الخالق أولا ثمَّ أنكروا البعث والإعادة، فهم يقولون بالطبع المحيي والدهر المفني، لذلك استدلَّ عليهم القرآن بضرورات فكرية وآيات فطرية، ونبَّههم إلى صدق الرسول وأنه جاء بالحق من الله تعالى، وأنَّ كلَّ ما في الكون هو مخلوق لله تعالى، خلقهُ وأبدعه، وأنَّه لا خالق سواه ولا مبدع غيره، فقال الله تعالى: **{ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ }** [الأعراف: الآية ١٨٤-١٨٥].

الثاني: من أنكر البعث والإعادة وأقرَّ بالخالق وابتداء الخلق والإبداع:

وهم الذين قال عنهم الله تعالى: **{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ }** [يس: الآية ٧٨]، و قال أيضًا: **{ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً }** [الإسراء: الآية ٤٩] [(١)]، فجاءت آيات القرآن لتنبّه فطرهم إلى كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وقدرته على إحياء الموتى، فاحتجَّ عليهم القرآن أولاً بالنَّشأة الأولى: **{ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }** [يس: الآية ٧٩]، ثمَّ نبَّههم ولفت أنظارهم إلى ما هو أعظم من ذلك وهو خلق السموات والأرض، فقال تعالى: **{ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ }** [يس: الآية ٨١] وقال في موضع آخر لافتًا نظرهم إلى مظهر من

(١) راجع: الشهرستاني: الملل والنحل ص ٣٨٩-٣٩٠.

مظاهر العدالة الإلهية وهو أنَّ الله تعالى خلق الناس ولا يمكن أن يتركهم سدى، فقال تعالى: **{ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِيَ المَوْتَى }** [القيامة: الآية ٣٦- ٤٠].

فالقرآن إذًا في روعة بيانه وجمال أسلوبه وإعجاز كلامه خاطب العقل ونبَّه الفطرة إلى إمكان البعث والإعادة، وأنَّ ذلك ممَّا يتفق مع مظهر العدالة الإلهية، وأنَّه لا يُستبعد ولا يُستنكر مع قدرة الله تعالى وكماله، فقدرة الله مطلقة وإرادته كاملة.

ثالثاً: الدلالات العقلية في ردّ القرآن على منكري البعث:

من خلال إجابات القرآن ورده على الشبهات المتعلقة بالبعث يمكن أن نستخلص عدة طرق وبراهين عقلية أشارت إليها الآيات القرآنية، وهي:

١- قياسُ الإعادة على الابتداء:

وذلك بقوله تعالى: **{ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}** [الأنبياء ١٠٤] وقوله: **{ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ }**[الروم: الآية٢٧]، وقوله: **{ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ }** [ق: الآية ١٥].

٢- قياسُ الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى:

قال تعالى : **{ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [الأحقاف: الآية٣٣]، وقال: **{ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }** [غافر: الآية ٥٧]، وقال: **{ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا }** [النازعات: الآية ٢٧، ٢٨].

٣–قياسُ الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات:

وذلك في قوله تعالى: **{ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ }** [الروم: الآية ١٩] .

٤–قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر:

قال تعالى: **{ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ }** [يس: الآية ٧٩– ٨٠].

المطلب الخامس: الحوض

الحوضُ هو أول ما يتجه إليه الناس بعد البعث، لأنهم قد خرجوا من قبورهم عطاشاً، فيردونَ حياض الأنبياء، فلكل نبي حوض كما أخبر النبي ﷺ : (إنَّ لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة)[١].

(١) رواه الترمذي في سننه: كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة الحوض ٦٢٨/٤.

وحوض نبينا مُحَمَّد ﷺ كبير متَّسع الجوانب تردهُ أمة النبي ﷺ، ويكون على الأرض المبدَّلة وهي الأرض البيضاء كالفضَّة، من شربَ منه لا يظمأ أبداً.

وقد جاءت الأحاديثُ الكثيرة الصحيحة الصريحةُ في بيان حقيقة الحوض وصفاته، قال ملا علي القاري :" قد رواه بضعة وثلاثون، فكاد أن يكون متواتراً" (١).

ومن أشهر الأحاديث في ذلك:

-حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (أنا فرطكم على الحوض..) (٢).

والفَرَط: بفتح الفاء والراء، والفارط: الذي يتقدَّم الواردةَ ليصلحَ لهم الدّلاء والحياض ونحوها من أمور الاستقاء(٣)، فالنبي ﷺ يخبر أمته أنه سيسبقهم وينتظرهم على الحوض ليردوا عليه ويشربوا من مائه، بعد أن يكونوا قد عاينوا أهوال البعث والحشر والموقف.

- حديث أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثمَّ رفع رأسه متبسِّماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال: (أُنْزِلَتْ عليَّ آنفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}** [الكوثر: الآية ١-٣] ثمَّ قال: أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّه نهر وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ، عليه خير كثير، هو حوض تردُ عليه أمَّتي يوم القيامة..) (٤).

-حديثُ عبد الله بن عمرو، قال: قال النبي ﷺ: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحهُ أطيبُ من المسك، وكيزانهُ كنجوم السماء، من شربَ منها فلا يظمأ أبداً) (٥).

فالأحاديثُ في الحوضِ صريحة في ذكره وبيان صفاته، كما أنها توضح ما فيه من إثبات فضل نبيِّنا مُحَمَّد ﷺ وكرامته وكرامة أمته، قال ابن حزم: " صحَّت الأخبار في الحوض،

---

(١) ملا علي القاري: شرح الفقه الأكبر ص ٢٠٢ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض ١١٩/٨.

(٣) راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ٦٨/٨، مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ، مادة فرط.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة ٣٠٠/١.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض ١١٩/٨ .

وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمَّته "[1]

المطلب السادس: الحشرُ

أولاً: حقيقة الحشر وأدلته

فمن أعظمِ أهوالِ يوم القيامةِ التي يجبُ على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها موقف حشر الناس بعد بعثهم من قبورهم، والحشر هو أن يجمعَ اللهُ تعالى الخلائق يوم القيامة للعرض على الله تعالى والحساب بين يديه، وقد جاءت الآيات الكثيرة التي تتكلَّم عن يوم الحشر ، وأحوال الناس فيه، وما يجري عليهم من أهوال وشدائد، قال تعالى: **{قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِين، لمجموعونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُوم}** [الواقعة: ٤٩، ٥٠]. وقال تعالى: **{وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيم}**[الحِجر:٢٥] وقال تعالى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُود}**[هود:١٠٣]

والله عز وجل يحشرُ الناسَ جميعاً ويجمعهم ليوم الحساب والجزاء، سواء من كان منهم في قبره، أو مات بأي ميتة كانت، قال تعالى: **{ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا }** [البقرة: ١٤٨]، ولا ينسى الله سبحانه أحداً من الخلائق، قال تعالى: **{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ**

(١) ابن حزم: الفصل ٤/١١٥ .

نَسِيًّا} [مريم: ٦٤]. وقال تعالى **{ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا }** [الكهف: ٤٧] وقال تعالى مبيناً شدَّة ذلك اليوم: **{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه، وَأُمِّهِ وَأَبِيه ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِي، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه}**[عبس:٣٤- ٣٧].

وجاء في أحاديث النبي ﷺ ذكر الأهوال والشدائد في ذلك اليوم، روى الإمام مسلم في صحيحه عن الْمِقْدَاد بْن الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْت رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، يَقُولُ: (تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ) .. قَالَ: (فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً) قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[(١)].

وآيات الحشرِ عامةٌ تدلُّ على أنَّ الحشر يكون للجنّ والانس، وحتى البهائم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -: وأمَّا البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: **{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }** [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: **{ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ }** [التكوير: ٥]. وقال تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ }** [الشورى: ٢٩]، وحرف إذا إنما يكون لما يأتي لا محالة[(٢)].

ثانياً: الهيئة التي يكون عليها الناس يوم الحشر:

يحشرُ العباد يومَ القيامة حفاةً عراة غرلًا، أي: غير مختونين، كما ولدتهم أمهاتهم. ففي حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُحشر النَّاس يوم القيامة

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم ٤/٢١٩٦.

(٢) مجموع الفتاوى٤/٢٤٨.

حفاة عُراة غُرْلاً ، قلتُ: يا رسول الله ، النِّساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: يا عائشة الأمر أشدُّ من أن ينظرَ بعضهم إلى بعض) [(١)]. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إنَّكم محشورون حفاة عُراة غُرلاً، ثمَّ قرأ: **{ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }** [الأنبياء: الآية ١٠٤] وأوَّلُ من يُكسى يوم القيامة إبراهيمُ...) [(٢)].

وكل إنسان يُبعث على الحال التي مات عليها من التقوى والإيمان أو الكفر والعصيان، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر- رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) [(٣)]، وفي الحديث عن الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحرِمٌ: (فإنَّ اللهُ يبعَثُه يَومَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا)[(٤)]، وفي حديث آخر عن الشَّهِيد: (جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ)[(٥)].

ثالثاً: تفاوت أحوال الناس يوم الحشر:

يحشرُ الناسُ على أحوالٍ عدَّة:

- فالكفارُ يحشرونَ على وجوههم، قال تعالى: **{ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا }** [الإسراء: ٩٧]. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس- رضي الله عنه -: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: (أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!) [(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة٤/ ٢١٩٤.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب (كما بدأنا أول خلق نعيده) ٩٧/٦.

(٣) رواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى ٢٢٠٦/٤.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب جزاء الصيد ، باب المحرم يموت بعرفة ١٧/٣.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد ١٤٩٦/٣.

(٦) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب يحشر الكافر على وجهه ٢١٦١/٤.

-المتقون: يحشر المتقون يوم القيامة على أحسن حال: قال تعالى: **{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}**[مريم:٨٥].

وقد جاء في حديث النبي ﷺ أنَّ هناك فريقاً من الناس ينجيهم الله تعالى من هول الموقف وأهوال الحشر ففي الحديث الصحيح: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[(١)].

رابعاً: صفات الأرض التي يحشر الناس عليها:

ويُحشر الناس يوم القيامة على أرض غير هذه الأرض، قال تعالى: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار}**[إبراهيم:٤٨]، وفي حديث مسلم عن سهل بن سعد قال: سمعت النَّبي ﷺ يقول: (يحشرُ النَّاس يومَ القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقيّ..) [(٢)]، أي أرض بيضاء ليس فيها أثر بناء أو سكن.

وأخبر النبي – ﷺ – أنّ الوقت الذي تبدَّل فيه الأرض غير الأرض والسماوات هو وقت مرور الناس على الصراط، جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عزَّ وجل: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ }**[إبراهيم:٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسولَ الله ؟ فقال: (على الصراط) [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ١/١٣٣، ومسلم : كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٢/٧١٥.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور ٤/٢١٥٠. (عفراء): بيضاء إلى حمرة ، (النقي) هو الدقيق الحواري وهو الدرمك وهو الأرض الجيدة (ليس فيها علم لأحد) أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، كتاب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ٤/٢١٥٠.

المطلب السابع: الشفاعة

أولاً: تعريف الشفاعة:

لغة: مصدر من الشفع ضد الوتر، واصطلاحاً: الطلبُ للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرَّة .

ومثال جلب المنفعة: شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها ، ومثال دفع المضرة : شفاعة النبي ﷺ لمن استحقَّ النارَ أن لا يدخلها .

ثانياً: شروط الشفاعة:

وردت نصوص كثيرة من القرآن والسنة تؤكد أمر الشفاعة، وأنها بأمر من الله تعالى، وأنه لا حاكم إلا الله، وأنَّ الشفاعة من النبي ومن الملائكة ومن المؤمنين ليس فيها تعدّ على مقام الألوهية يوم القيامة؛ بل فيها مظهر من مظاهر التكريم والرحمة.

وشروط الشفاعة هي:

١- أن يكون المشفوع له من الموحدين: فلا تنالُ الشفاعة أهل الكفر والشرك، قال تعالى: **{مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاع}**[غافر:١٨]، فالظالم هنا هو الكافر والمشرك بالله تعالى، وهو باتفاق العلماء لا تناله الشفاعة، وفي حديث البخاري عن أبي هريرة قلت: يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)[(١)].

٢- إذنُ الله للشافع أن يشفع: قال تعالى:{ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ٣١/١.

بِإِذْنِهِ}[البقرة:٢٥٥].

٣- أن يرضى الله عن الشافع: قال تعالى: {**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى**}[النجم:٢٦]

٤- رضى الله عن المشفوع له: قال تعالى: {**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُون**}[الأنبياء:٢٨].

ثالثاً: أقسام الشفاعة:

قسَّم العلماء الشفاعة إلى خمسة أقسام(١)، وهذه الأقسام هي:

١) الإراحةُ من هولِ الموقفِ وتعجيلِ الحسابِ وذلك بشفاعة النبي ﷺ:

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا، فيأتون آدمَ فيقولون: أنت أبو النَّاس، خلقكَ الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماءَ كلِّ شيء، فاشفعْ لنا عند ربِّك حتى يريحنا من مكاننا هذا ...) ثم يأتون النبي ﷺ فيشفع لهم لتعجيل الحساب، والتخفيف عليهم من أهوال الموقف(٢).

٢) الشفاعة لقوم استوجبوا النار وهم أهل الكبائر والمعاصي: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي) (٣).

٣) الشفاعة بإدخال قوم الجنَّة بغير حساب: جاء في الصحيحين من حديث أنس ﷺ، أن الشفاعة تكون في قوم بأن يدخلوا الجنة بغير حساب، وفيه : (فيأتون ، فيقولون : يا مُحَمَّد ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا

(١) شرح صحيح مسلم ٢/٣٩-٤٠، د.عبد الرحمن حبنكه: العقيدة الإسلامية ص ٥٧٠.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة) ٩/١٣١، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٨٠.

(٣) أخرجه الترمذي والبيهقي عن أنس مرفوعًا وصححه ابن حزيمة وابن حبان والحاكم، وقال البيهقي إسناده صحيح.(راجع: العجلوني: كشف الخفاء ٢/١٤، ابن حبان: صحيح ابن حبان ١٤/٣٨٧).

إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله عليّ ، ويلهمني من محامده ، وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي ، فيقال: يا مُحَمَّد ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب)[1].

٤) الشفاعة لمن دخل النار من المؤمنين: كما جاء في الأحاديث عن إخراج من قال: لا إله إلا الله من النار، فلا يبقى فيها إلا الكافرون، روى البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)[2]، وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (يُدخل اللهُ أهلَ الجنَّة الجنَّة، يُدخل من يشاء برحمته، ويُدخل أهل النَّار النار، ثمَّ يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيمان فأخرجوه) [3].

٥) زيادة الدرجات في الجنَّة لأهلها[4]: جاء في حديث مسلم من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في أبي سلمة ﷺ : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ..) [5].

رابعاً: شفاعة غير الأنبياء:

هناك أنواع من الشفاعات يوم القيامة لغير الأنبياء والمرسلين، منها:

١-شفاعة الملائكة والمؤمنين من الناس: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة) ١٣١/٩، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٠/١.

(٢) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(لما خلقت بيدي) ١٢١/٩. .

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١٧٢/١.

(٤) راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ٣٩/٢-٤٠ ، الباجوري: شرح الجوهرة ص ١١٦-١١٧.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له ٦٣٤/٢ .

الخدري ﷺ مرفوعاً قال : (فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط)[1] .

٢- الأفراط وهم الأطفال الذين يموتون صغاراً: روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغن الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) [2]

٣ ـ الشهداء في سبيل الله: روى الترمذي وغيره عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في حق الشهيد : (وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ)[3] .

المطلب الثامن: العرض والحساب

أولاً: أحوال العرض والحساب:

بعد أن يُبعثَ الناس من قبورهم ويحشرون جميعاً على أرض بيضاء كقرص نقي،

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ١٦٧/١ .

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد ٧٣/٢ .

(٣) رواه الترمذي، أبواب فضائل الجهاد ، باب في ثواب الشهيد، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ٢٣٩/٣.

يعرض الناس على ربهم، فلا يخفى أحد على الله تعالى، قال تعالى: **{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ}**[الحاقة:١٨] وقال تعالى: **{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا}**[الكهف:٤٨].

ثم يُطلع الله سبحانه وتعالى عباده على أعمالهم وما فعلوه في الدنيا من تصرفات فعلية أو قولية أو اعتقادية، ويجري الحساب على الناس، قال تعالى: **{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}** [الغاشية:٢٦].

وقد جاءتْ الآياتُ الكثيرةُ الدالة على عدل الله تعالى، وإقامة الحساب بالقسط دون أن يغادر صغيرة أو كبيرة ودون أن يخفى على الله شيء من أعمال الناس، قال تعالى:

-{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[الأنبياء:٤٧].

-{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُم، فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه} [الزلزلة:٦-٨].

ثم إنَّ الله تعالى يُنطق جوارح الإنسان في موقف الحساب لتكون شاهدة على ما فعل صاحبها، وهذه من أبلغ الحجج التي يقيمها الله تعالى على الإنسان، وهي برهان على أن الجزاء يكون بعد أن يحاسب الله تعالى الناس ويقيم الحجج عليهم بشهادة جوارحهم وأعضائهم، قال تعالى:**{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**[يس:٦٥]، وقال تعالى: **{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**[النور:٢٤]وقال تعالى: **{حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**[فُصِّلَت:٢٠].

فالسمعُ والبصرُ والجلودُ، والألسنةُ والأيدي كلها تشهد على صاحبها، وقد صوَّر لنا القرآن ما يكون من مجادلة بين الإنسان وبين أعضائه، حين يخاطبها بعد أن تشهد عليه

مستنكراً أن تشهد على نفسها وصاحبها، فقال تعالى: **{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون}**[فُصِّلَت: ٢١].

ثانياً: أصناف الناس في الحساب:

النَّاس ليسوا سواء بالنسبةِ للحسابِ، وقد دلَّتْ الأدلةُ الشرعيةُ على وجود ثلاثة أصناف[١]:

١-صنفٌ يدخل الجنة بغير حساب: وقد ذكر رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفاتهم بقوله: (يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[٢].

٢- صنف يحاسب حساباً يسيراً: فهؤلاء تعرض عليهم أعمالهم عرضاً ثم يتجاوز الله عنهم، ويؤتون صحفهم بأيمانهم، قال تعالى: **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا}**[الانشقاق:٧-٩]، وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ما يقرب لنا صورة الحساب اليسير، فقال ﷺ:(يُدْنَى المُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ..)[٣].

٣- صنف يحاسبُ حساباً عسيراً: وهو الصنف الذي يناقش ويدقق عليه في الحساب، ولا تناله الشفاعة، بل يحاسب على كل صغيرة وكبيرة، قال تعالى مبيناً حال المجرمين يوم الحساب

---

(١) راجع: د.مصطفى الخن، ود.محيي الدين مستو: العقيدة الإسلامية ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما واللفظ للبخاري.(البخاري: كتاب الرقاق، باب (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ١٠٠/٨ ، مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١٩٨/١)

(٣) رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما(كتاب تفسير القرآن، باب قوله(ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ٧٤/٦).

وشفقتهم ووجلهم من شدة الحساب: **{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}**[الكهف:٤٩].

كما جاء في حديث البخاري -الذي تقدم عن ستر الله تعالى للمؤمن، ومحاسبته حساباً يسيراً - ذكرُ صورة من صور الحساب العسير للكافر وكيف يفضحه الله تعالى أمام الخلائق، قال النبي ﷺ:(أَمَّا الآخَرُونَ - أَوِ الكُفَّارُ - فَيُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ: **{هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}** [هود: ١٨]) [(١)].

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة زَوْج النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عُذِّبَ) فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**} [الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ)[(٢)].

ثالثاً: أول ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة:

١- في حقوق الله تعالى: إنَّ أول ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة من حقوق الله تعالى هي الصلاة؛ وذلك لمكانتها ومنزلتها في الدِّين، جاء في الحديث عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتُقِصَ مِنْهَا شَيْءٌ، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ سَائِرُ الْأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ)[(٣)].

٢- في حقوق العباد: أولُ ما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة في حقوق العباد هي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما(كتاب تفسير القرآن، باب قوله(ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ٦/٧٤).

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب ٤/٢٢٠٤..

(٣) أخرجه أصحاب السنن الأربعة وأحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه وغيرهم بألفاظ متقاربة. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ١/٣٩٤.

الدماء، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ) (١).

فأولُ ما يحاسب عليه العباد نوعان، منها ما يتعلق بحقوق الله تعالى ومطالبته لعباده، ومنها ما يتعلَّقُ بحق العبادِ والفصلِ في الخصوماتِ والدماء.

رابعاً: صحف الأعمال:

بعد أن يحاسبَ الله تعالى العباد ويقضي بينهم يتم تسلّم صحف الأعمال، وهي سجلات تتضمن أعمال الإنسان التي عملها في الدنيا وما فيها من حسنات وسيئات، وما يترتب عليها من جزاء.

وصحفُ الأعمالِ هي التي يستلمها العبادُ حسبَ أعمالهم، فهناك من يأخذ كتابه بيمينه تكرمة له فيفرح ويستبشر، وهم المؤمنون بالله تعالى والمصدِّقون برسله والموقنون بيوم الحسابِ والجزاء، وهناكَ من يأخذُ كتابهُ بشمالهِ إهانة له، فيسوء حالهُ وينادي على نفسه بالهلاك والويل، ويتمنى الموتَ الأبدي، وهؤلاء الجاحدون والمنافقون الذين كذبوا بالله تعالى ورسله، وكانوا يظنون أنَّ الحياة الدنيا هي غاية مطلبهم، ومنتهى مقصدهم، قال تعالى واصفاً حال الصنفين يوم القيامة، وكيف يستلمون صحفهم: **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة، فِي جَنَّةٍ عَالِيَة، قُطُوفُهَا دَانِيَة، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه}**[الحاقة:١٩-٢٩].

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ(البخاري: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ١١١/٨، مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص، باب المجازاة بالدماء في الآخرة ١٣٠٤/٣)

المطلب التاسع: الميزان

بعدَ تسلُّم الكتبِ تنصبُ الموازين، وتقام الحجة على الناس، ويكون الحساب دقيقاً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وليس فيه أي خطأ، بل ميزان عدل وحق بين يدي الله سبحانه، قال تعالى: {**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ** }[الأعراف:٨]، وقال تعالى: {**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**}[الأنبياء:٤٧].

فموقف وزن الأعمال شديد، وكل إنسان ينتظر أن يرى نتيجة أعماله التي عملها في الدنيا، ولشدةِ الهول ينسى أهله وأحبَّ الناس إليه، ويتطَّلع ليعلمَ هل يثقل ميزانه أم يخف، جاء في حديث عائشة ﵂ أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: (ما يبكيك ؟) قالت: ذكرتُ النار فبكيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو

يثقل، وعند الكتاب حين يقال: **(هاؤم اقرءوا كتابيه)** حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضعَ بين ظهري جهنَّم) (١).

أولاً: أصناف الناس في وزن الأعمال:

والناسُ في وزن الأعمال ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من ثقلت موازينه ورجحت كفة الحسنات على كفة السيئات، وهم المفلحون من أهل الجنة والنعيم، قال تعالى: **{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة}**[القارعة:٦-٧]، وقال تعالى: **{ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}**[الأعراف:٨].

الصنف الثاني: من خفَّت موازينهم، ورجحت كفةُ سيئاتهم على كفةِ حسناتهم، فهؤلاء أهل النار، الذين خسروا أنفسهم، قال تعالى:**{ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه، فَأُمُّهُ هَاوِيَة، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه، نارٌ حامِيَةٌ}**[القارعة:٨-١١]، وقال تعالى: **{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُون}**[الأعراف:٩].

الصنف الثالث: وهم أهل الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، ويكونون بين الجنة والنار، يطلعون على أهل الجنة فيطمعون أن يكونوا من أهلها، ويطلعون على أهل النار فيستعيذون بالله منها ، قال تعالى: **{ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُون، وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين}**[الأعراف:٤٦-٤٧]، فهؤلاء أمرهم موكول لربهم حتى يختبرهم ويجازيهم على أعمالهم، أو يعفو عنهم فيدخلونَ الجنة.

ثانياً: حقيقة الميزان وكيفية وزن الأعمال:

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في ذكر الميزان ٤/٢٤٠.

بقي سؤال يتعلَّق بحقيقةِ الميزان، فالآياتُ التي تقدمتْ أوضحت لنا أنَّ الله تعالى يحاسب الناس بالقسط، ولكن لم توضح لنا حقيقة الميزان، وجاء في الأحاديث الصحيحة أن الميزان يثقلُ بالكلمات الطيبة وبالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، والنفوس الزكية، ومن تلك الأحاديث:

- حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده) (١).

-حديث علي ﷺ قال: أمرَ النبي ﷺ ابن مسعود فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابهُ إلى ساقِ عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حُمُوشة ساقَيْه- أي: دقَّتها-، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : (ما تضحكون، لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ) (٢).

- حديث أبي الدرداء ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (ما شيء أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن) (٣).

فكل ما تقدَّم يؤكد على وجود ميزان يوم القيامة توزن فيه الأعمال، وأنه يثقل بالحسنات ويخف بالسيئات، دون بيان كيفيةِ وزن الأعمال وحقيقة الميزان، وهل هو حسي أم ليس حسياً، لذلك نؤمن بأنَّ الله تعالى يقيم الميزان يوم القيامة ونفوِّض علم حقيقته وكيفيته لله تعالى، فهي مسألة غيبية، ولا يمكن للعقل أن يستقلَّ بمعرفتها أو الإحاطة بتفصيلاتها، فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك الميزان، وهو القادر على إيجاد ميزان يتناسب مع وزن الأعمال، فكما أنَّ الله تعالى جعل لكل شيء في الدنيا ميزاناً يتناسب مع طبيعته ووزنه وحساب حجمه وثقله وكثافته، فهو يقيم ميزاناً للأعمال يوم القيامة يتناسب مع وزن الأعمال وتقدير

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ٨٦/٨.

(٢) أخرجه أحمد: المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة، من مسند علي بن أبي طالب ٢٤٤/٢، قال ابن حجر: أخرجه أحمد بسند حسن (ابن حجر العسقلاني: الإصابة ٢٣٥/٤).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في حسن الخلق ، ٤٣٠/٣ ، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ثوابها وحسابها.

المطلب العاشر: الصراط

أولاً: تعريف بالصراط وأدلته:

الصراط في اللغة هو الطريق الواضح، قال تعالى:{**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ** }[الأنعام:١٥٣].

واصطلاحاً: هو جسرٌ ممدود على ظهر جهنَّم يعبر عليه المؤمن والكافر، فيقطعه المؤمن إلى نهايته ويصل إلى الجنَّة، ويسقط من فوقه الكافر إلى جهنَّم [١].

والأدلة على الصراط كثيرة، منها:

- قوله تعالى في بيان مرور الناس جميعًا على الصراط: {**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيًّا**} [مريم: الآية ٧١].

- قوله تعالى: {**وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّ يُبْصِرُون**}[يس:٦٦].

- قوله تعالى في حق الكافرين: {**فَاهْدُوَهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ**} [الصافات: الآية ٢٣].

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم ٣٠/٢ ، الدكتور محمد سيد أحمد المسير: علم التوحيد ص ٥٨.

- روى البخاري ومسلم في حديث طويل فيه تفصيلات عن يوم القيامة وأهوال المحشر ثم الشفاعة، قال رسول الله ﷺ: (..ويضربُ الصراطُ بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلَّم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهمَّ سلِّم سلِّم..) (١).

- وفي حديث مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: (...وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ .. ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا ، قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ)(٢) .

- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ }**[إبراهيم:٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسولَ الله ؟ فقال: (على الصراط) (٣).

- روى الإمام مسلم في صحيحه من كلام أبي سعيد الخدري أنه قال: (بلغني أنَّ الجسرَ أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف) (٤).

ثانياً: صفة الصراط:

وقعَ خلافٌ بين العلماءِ حول اللفظِ الأخير الذي رواه مسلم عن أبي سعيد البخاري

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (البخاري: كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة ١٢٨/٩، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١٦٣/١) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٧/١.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، كتاب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ٢١٥٠/٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه موقوفاً على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ١٦٧/١، وقد روي اللفظ عند الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف (أخرجه أحمد: المسند، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ٣٠٣/٤١).

موقوفاً عليه ولم يرفعه للنبي ﷺ:(الجسرُ أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف):

-قال كثير من العلماء، اللفظ على ظاهره، فالصراط أحدّ من السيف وأدقّ من الشعرة، كما أنَّ روايته موقوفاً على أبي سعيد لا يعني إنكار الصفة الواردة فيه؛ لأنه يتكلَّم عن أمر غيبي لا مجال للرأي فيه، فاللفظ له حكم الحديث المرفوع، ولا يوجد أيّ مانع شرعي أو عقلي من حمل اللفظ على ظاهره؛ لأنَّ الله تعالى الذي جعلَ الطير يطير في الهواء ، قادر على أن يسيِّر الإنسانَ على الصراط [١]، إلا أنَّ ضيق الصراط ودقتهُ لا تكون للمؤمنين؛ بل للكافرين، قال الشيخ أحمد الدردير عن الصراط: " مختلف في الضيق والاتساع باختلاف الأعمال، فهو أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيفِ في حقّ الكافر، وهو متَّسعٌ في حقِّ المؤمن"[٢]، فمن التزم أمر الله تعالى وامتنع عمَّا حرَّمه اتسعَ عليه الصراط على متنِ جهنم، ومن ترك أمر الله تعالى في الدنيا و تجاوز حدوده وأحكامه ضاقَ عليه الصراط.

-ذهب فريق من العلماء ومنهم العز بن عبد السلام والقرافي والزركشي، إلى أنَّ اللفظ ليس على ظاهره، ؛ بل هو محمول على الكناية عن شدَّة المشقة[٣]، قال الزركشي: "فإنَّ يُسرَ الجواز عليه وعُسْره على قدر الطاعات والمعاصي، وما جاء في ذلك إنَّما هو مثلٌ جرت العادة بضربه، فدقَّة الشعر تضربُ مثلاً للغامض الخفي، وحدّ السيف يُضربُ مثلاً لإسراع الملائكة إلى المضي لامتثال أمر اللهِ في إجازة النَّاس عليه" [٤].

ثالثاً: الإيمان بالصراط وأحوال الناس عليه:

الآيات القرآنية أثبتت وجودَ صراط يمرّ الناسُ عليه جميعاً يوم القيامة، كما جاءت الأحاديث الكثيرة التي تؤكد ما جاء في القرآن من ذكر للصراط، وهي صريحة في إثباته وبيان

(١) راجع: البغدادي: أصول الدين ص ٢٤٦. إلكيا الهراسي: أصول الدين ص ٤٤٤، التفتازاني: شرح المقاصد ١٢٠/٥ شرح العقائد النسفية ص ٦٩- ٧٠.

(٢) الدردير: شرح الخريدة ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) راجع: الزركشي: تشنيف المسامع ٨١٨/٤، الدردير: شرح الخريدة ص ٣٣١-٣٣٢

(٤) الزركشي: تشنيف المسامع ٨١٩/٤.

كثير من صفاته، وأحوال الناس عليه، ومن أهمّ الأمور التي يجب علينا الإيمان بها بالنسبة للصراط:

- أنَّ الناس يجتمعون على الصراط يوم القيامة يوم تبدَّل الأرض غير الأرض .
- أنَّ الصراط جسر يوضع على ظهر جهنم، له كلاليب مأمورة بأخذ الكافرين والمنافقين إلى جهنَّم، فإذا أرادوا السير على الصراط فسرعان ما تنزلق أقدامهم وتخطفهم الكلاليب وتلقيهم في جهنم.
- أنَّ النَّاس يمرون على الصراط حسب أعمالهم، فبعضهم يجتازه كالبرق، وبعضهم كالريح المرسلة، وبعضهم كالطير، وبعضهم يمشي، وبعضهم يزحف زحفاً.
- أنَّ النبي محمدًا صلى الله عليه وأمته هم أولُ من يجوز على الصراط.

المطلب الحادي عشر: الجنّة والنار

أولاً: تعريف بالجنة والنار:

١- تعريف بالجنة:

الجنَّة في اللغة مشتقة من مادة (ج ن ن) التي تعني الستر، وقد سمي الجنّ جناً لاستتارهم واختفائهم عن الأنظار، كما سمي الجنين جنيناً لاستتاره في بطن أمه، ومنه جنون الليل، أي: شدة ظلمته وستره لما فيه، والجنَّة هي البستان، أو المكانُ الَّذي فيه زرع وثمار وأشجار، وسميت جنة؛ لأنها تواري من سارَ فيها وتستره[١].

أمَّا في المصطلح الشرعي، فإنَّها الدار التي أعدَّها الله تعالى لثوابِ المؤمنين في الآخرة، وفيها الفوز الكبير والنعيم العظيم لمن آمن بالله تعالى وأطاعه.

والجنة هي المرحلة النهائيَّة لرحلة الإنسان المؤمن، حيث هي دار القرار، ومبدأ الحياة الأبدية، فلا زوال عنها، ولا نهاية لنعيمها، وهي غاية المؤمنين، قال تعالى: **{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ}**[آل عمران:١٩٨] وقال تعالى:**{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**[السجدة:١٩].

٢- تعريف بالنار:

النارُ هي جهنَّم التي أعدَّها الله تعالى للكافرين والمستكبرين عن طاعته وعبادته، وهي دركاتٌ تتناسب مع مستوى الإجرام والمعصية بمقتضى العدل الإلهي [٢].

والقرآنُ الكريم قد أكثرَ من ذكرِ النار وأوصافها وأسمائها وبيان ما فيها من ألوان

---

(١) راجع: لسان العرب، مادة ج ن ن.

(٢) راجع: د.عبد الرحمن حبنكه: العقيدة الإسلامية ص ٥٦٧.

العذاب وأشكاله، حتى لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من الحديث عن العقاب الذي سوف يصيب الكفار والعصاة في النار.

يخبرنا الله تعالى في كثيرٍ من الآياتِ بأنَّ النارَ مثوى الكفار والعصاة والمتكبرين وإليها مآلهم ومرجعهم، كما في قوله تعالى: **{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا، لِلْطَّاغِينَ مَآبًا، لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا، إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا، جَزَاء وِفَاقًا}**[النبأ:٢١-٢٦] وقال تعالى :**{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ}**[إبراهيم: ٢٨-٢٩] أي قرارهم فيها، وبئس المقرُّ جهنم.

ثانياً: خَلْق الجنة والنار:

ذهبَ جمهورُ أهل السنَّةِ إلى القولِ بأنَّ الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، وخالف في ذلك بعض المعتزلة، وزعموا أن لا فائدة في خلقهما قبل يوم الثواب والعقاب [(١)]، ونذكر أهم الأدلة التي استدلَّ بها أهل السنةِ والجماعة للقول بخلق الجنَّة والنار:

١- أدلة القرآن:

-قوله تعالى في وصف الجنة: **{ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }** [آل عمران :الآية ١٣٣]، وقال تعالى في وصف النار **{ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**[آل عمران:١٣١]، فالمعدُّ لا يكون إلا موجودًا مهيئاً [(٢)].

- قوله تعالى في وصف ما رآه النبي ﷺ في السماء: **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى }** [النجم: ١٣-١٥]، فالآية صريحة بوجود جنَّة المأوى عند سدرة المنهى.

---

(١) راجع: التفتازاني: شرح المقاصد ٥/١٠٨-١٠٩.

(٢) راجع: الباقلاني : الإنصاف ص٥٣، الكمال بن الهمام: المسايرة ص ١٥٣، البزدوي: أصول الدين ص ١٦٥،التفتازاني: شرح المقاصد ٥/١٠٨- ١٠٩، الآمدي: أبكار الأفكار ٤/٣٢٧ .

– ما جاء في قصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة ثم إخراجهما منها[1]، قال تعالى:{**قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً** }[البقرة:٣٨]، أي: اهبطوا من الجنة التي كنتم فيها.

أدلة السنة: وهي كثيرة نذكر منها[2]:

–حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إذا اشتدَّ الحرُّ فأبردوا بالصلاة؛ فإنَّ شدَّة الحرِّ من فيحِ جهنَّم، واشتكتْ النَّار إلى ربِّها فقالتْ: يا ربِّ أكلَ بعضي بعضًا، فأذنَ لها بنفسين: نفسٍ في الشتاء، ونفسٍ في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحرِّ وأشد ما تجدون من الزمهرير) [3].

–حديث مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود ﷺ عن هذه الآية: **{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }** [آل عمران: الآية ١٦٩] قال: أما إنّا قد سألنا عن ذلك – يعني رسول الله– فقال: (أرواحهم في جوف طيرٍ خضر، لها قناديلُ معلّقة بالعرش، تسرحُ من الجنَّة حيثُ شاءتْ، ثمَّ تأوي إلى تلك القناديل..) [4].

–ما جاء في حديث الإسراء والمعراج وأنَّ الرسول ﷺ رأى أربعة أنهار، نهرين ظاهرين، ونهرين باطنين ، فسأل جبريل عنهما، فقال: إنَّ النهرين الباطنين من أنهار الجنَّة[5] .

–حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا) فَبَكَى عُمَرُ، وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا

---

(١) راجع: التفتازاني: شرح المقاصد ١٠٨/٥– ١٠٩، الباجوري: شرح الجوهرة ص١١٤ .

(٢) راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ٥٠٢/١، ١٢٩/٣، ٣٧/٧.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر ١١٣/١.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء ١٥٠٢/٣.

(٥) وهو حديث طويل أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما(البخاري: كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ١٠٩/٤).

رَسُولَ اللَّهِ [1] .

فالآيات والأحاديث صريحة الدلالة على أنَّ هناك جنة موجودة الآن، وقد أعدها الله تعالى للمتقين، وقد وصفت أنهارها وقصورها وما فيها من نعيم، وأنَّ أرواح الشهداء تسرح فيها، كما تدلُّ على أنَّ هناك نارًا أعدها الله تعالى للكافرين، وأنها تشتكي إلى ربِّها فيأذن لها بنفسين: نفس في الصيف ونفس في الشتاء، فظواهر القرآن والسنة -كما قال النووي -تدلُّ لمذهب أهل الحقِّ [2].قال البغدادي: " وهما عندنا مخلوقتان". ثمَّ قال:" ودليلنا على وجودهما إخبار الله تعالى عن الجنة أنَّها أعدَّتْ للمتقين، وعن النَّار أنَّها أعدَّتْ للكافرين، ويدلُّ على وجودهما ما تواترت به الأخبارُ في قصة المعراج، وسائر ما ورد في صفات الجنة والنار" [3].

ثالثاً: الخلود في الجنَّة والنار:

تقدَّم الكلامُ عن الجنَّة وأنَّها دار نعيم أعدَّها الله تعالى للمتقين، وعن النار وأنَّها دار عذاب أعدَّها الله للكافرين، ولكن يبقى سؤال عن مدَّة ذلك النعيم أو العذاب، وهل يمكن أن يكون لهما نهاية ؟

لقد أخبرنا الله تعالى في كثير من الآيات بأنَّ نعيم أهلِ الجنة دائم، وأنَّ أهلها مخلدون في جناتِ النعيم، تجري من تحتهم الأنهار، قال تعالى:{**أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين**}[آل عمران:١٣٦]، وقال تعالى:{**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**}[آل عمران:١٩٨] وقال تعالى: {**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** }[النساء:٥٧]، كما إنَّ كل ما في الجنة من نعيم باق ودائم، قال عزَّ وجلَّ عن أُكل الجنَّة وظلها: {**أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ**

(١) أخرجه البخاري : كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب ١٠/٥ .

(٢) راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ٣٨/٧.

(٣) البغدادي: أصول الدين ص ٢٣٧-٢٣٨

}[الرعد:٣٥] وقال تعالى عن فاكهة الجنَّة: {**لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَة**}[الواقعة:٣٣].

كما أخبرنا اللهُ تعالى في كثيرٍ من الآياتِ بأنَّ عذابَ النارِ دائم، وأنَّ أهلها لا يخرجون منها، وأنها خالدة باقية، والأدلة القرآنية التي تقطع وتثبت أبدية النار وخلودها ودوام أهلها فيها كثيرة جداً، نذكر منها قوله تعالى: { **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ** } [فاطر: الآية ٣٦] وقال تعالى: {**إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى** } [طه: الآية ٧٤]، وقال تعالى: {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**} [التغابن: الآية ١٠]، كما أكذبَ اللهُ تعالى اليهودَ في زعمهم بأنَّ النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة، بقوله تعالى:{ **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** }[البقرة:٨٠-٨١]، وقال تعالى في بيان عذاب المنافقين يوم القيامة: {**وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيم**}[التوبة:٦٨].

كما جاء في حديث البخاري ما يؤكد الخلود لأهل الجنة وأهل النار، قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بالموتِ كهيئةِ كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهلَ الجنَّة، فيشرئبون وينظرون، فيقولُ: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلّهم قد رآه، ثمَّ ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، فيذبح، ثمَّ يقولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ) [(١)].

فأدلةُ القرآن والسنَّة صريحة وقاطعة بالخلود لأهل الجنَّة ولأهل النَّار لا فرق بينهما، ولكن هناك بعض الآيات التي يوهمُ ظاهرها فناء النار، منها:

- ما جاء في قوله تعالى عن أهل النار: { **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله وأنذرهم يوم الحسرة ٩٣/٦، مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤.

إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } [هود: الآية ١٠٧].

- ما جاء في قوله تعالى: **{ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً }** [النبأ: الآية ٢٣].

والجواب على الآية الأولى أنَّ الاستثناء في هذه الآية لا يشملُ أهل الكفر والخلود، بل هو خاص ببعض أهلِ النار وهم عصاةُ الأمة وفسَّاقها، فهؤلاء لا يخلدون فيها، فمذهب أهل السنة والجماعة أنَّ النار خالدة لا تبيد، وأهلها فيها خالدون، ولا يخرج منها إلا عصاةُ الموحِّدين.

أما الجواب على الآية الثانية فهو أنَّ معنى قوله تعالى" أحقابًا" ، أي: دهورًا متتابعة غير متناهية، والعرب يعبِّرون بهذا اللفظ وأمثاله على الدوام.

لذلك نجد أنَّ هناك اتفاقاً بين أهل السنةِ والجماعةِ على أنَّ الجنةَ والنار دارا خلود هما للثواب والعقاب لا يفنيان [١]، وقد نقل كثير من العلماء إجماع أهل الإسلام على أنَّه ليس للجنَّة والنَّار آخر وأنَّهما لا تزالان باقيتين [٢]، وقال تقي الدين السبكي: هو معلوم من الدِّين بالضرورة وتواردت الأدلة عليه[٣].

رابعاً: الوصف العام للجنَّة:

١-الوصفُ العام للجنَّة أنَّ فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: (أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر، فاقرءوا إن شئتم: **{ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ }** [السجدة : الآية ١٧]) [٤].

---

(١) راجع: أبو المعين النسفي: بحر الكلام ص ٢١٩-٢٢١.

(٢) راجع: الأشعري: مقالات الإسلاميين١٦٧/٢، البغدادي: أصول الدين ص ٢٣٨ ، التفتازاني: شرح المقاصد ١٣١/٥، ١٣٤ ابن حزم: الفصل ١٤٥/٤ .

(٣) راجع: تقي الدين السبكي: الاعتبار ببقاء الجنة والنَّار ص ٦٦-٦٧ ، مطبعة الترقي ١٣٤٧ هـ.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ١١٥/٦، مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢١٧٤/٤.

لذلك نجد أنَّ الله تعالى يصف الجنة على نحو التقريب، فيقول عزَّ وجلَّ: **{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا }**[الرعد:٣٥]

ويقول في آية أخرى: **{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ }**[مُحَمَّد:١٥].

فاللهُ تعالى يضربُ لنا المثلَ فقط، لأنَّ الألفاظَ التي نتخاطبُ بها نحن قد وضعت لمعانٍ نعرفها، وإذا كانت في الجنة أشياء لم ترها عين ولم تسمعها أذن، ولم تخطر على بال بشر، فمن الممكن أن نقول إنَّه لا توجد ألفاظ عندنا تؤدي معنى ما هناك، وكل ما جاء من أوصاف الجنة ونعيمها إنما هي للتقريب إلى نفوس الناس، وهي فوق الوصف.

٢- نعيم الجنة خالص لا كدر فيه:

توجدُ في الجنة أنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، وأنهار من عسلٍ مصفًّى، ليس فيه ما يكدِّرهُ، والمياه التي في الجنة غير آسنة، فقد نزع الله تعالى من مياهها ما يكدِّر لونها وطعمها، فقال تعالى: **{ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ }**[مُحَمَّد:١٥].

ويوضح سبحانه أيضاً أنَّ في الجنة أنهاراً من خمر، ولكنَّها خمرٌ تختلف عن خمرِ الدنيا، فهي لا تؤثر على التكوين العضوي للعقل، قال تعالى:**{ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ، بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ، لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُون}**[الصافات:٤٥-٤٧]، أي: أنَّه سبحانه ينفي عن خمر أنهار الجنَّة كل المكدّرات التي تشوبُ خمرَ الدنيا.

٣- درجات الجنَّة وأبوابها وغرفها:

للجنَّة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال

الله تعالى :{**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**}[طه:٧٥]، ويقول سبحاته وتعالى في آية أخرى :{**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا**}[الإسراء:٢١].

وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في حديث البخاري عن سهل بن سعد ﷺ: عن النبي ﷺ قال: (في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمَّى الريان، لا يدخله إلا الصائمون) [(١)]، وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (مَن توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله، فتحت له ثمانيةُ أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء)[(٢)].

وللجنَّة غرفٌ بعضها فوق بعض تجري من تحتها الأنهار ، كما في جاء في القرآن الكريم، قال تعالى :{**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** }[الزُّمَر:٢٠]

٤- طعام أهل الجنة وشرابهم:

يجدُ المؤمن في الجنةِ كل ما تشتهيه نفسه من طعامٍ و شرابٍ ، قال تعالى: { **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ** }**[الزُّخرُف:٧١]** وقال تعالى: { **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون**}**[فُصِّلَت:٣١]**، وطعام الجنة يختلف كل الاختلاف عن طعام أهل الدنيا ، فهو أشهى و أطهر و أجمل ولا يوجد إلا في الجنة ، فإذا اشتهى المؤمن شيئاً من الجنة ، يأتي إليه وهو جالسٌ في مكانه، فلا يسعى في الجنة لقطف الثمار أو التعب في تحصيلها، بل تدنو إليه وتكون في متناول يده، قال تعالى: {**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً**}[الإنسان:١٤]، كما قال تعالى:{ **وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**}[الرحمن:٥٤]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد: كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة ١١٨٨/٣.

(٢) رواه الترمذي في سننه: كتاب أبواب الطهارة، باب ما يقال عند الوضوء ١٠٩/١، والنسائي في سننه: كتاب الطهارة، باب القول بعد الفراغ من الوضوء ٩٢/١.

وكلمة (دان) مشتقة من الدنو، وهو القرب، فإنَّ ثمار الجنتين وفواكههما قد دنت إلى المؤمن وأضحت في متناولِ يده وعند رغبته.

والطعام الرئيسي في الجنة هو الفواكه واللحوم، قال تعالى: **{وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُون}**[الطور:٢٢] وقال تعالى: **{وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُون، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُون}**[الواقعة:٢٠-٢١]، والجنَّة تحتوي على جميع ثمار وفواكه الدنيا من حيث الشكل، ولكنَّه يختلف تماماً عما في الدنيا من حيث طعمه، فنعيم الجنة لا يُعد ولا يُحصَى، و كرمُ الله لعباده المؤمنين في الجنة لا ينتهي .

وأهل الجنَّة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، جاء في حديث مسلم عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: (إنَّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك..)[(١)].

٥- لباس أهل الجنة:

لباس أهل الجنة هو الحرير والذهب والسندس والإستبرق، قال تعالى :**{ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير}**[الحج:٢٣]، وقال تعالى: **{ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}**[الكهف:٣١].

خامساً: عقاب الكافرين يوم القيامة في جهنم

١- أسماء النار: الله عزَّ وجل جعلَ النارَ يوم القيامة دركاتٍ مختلفةً في الجحيم والعذاب، ولها أسماء مختلفة، كل اسم من هذه الأسماء فيه ترعيب وترهيب وتخويف يقشعر منه القلب ويهتز لسماعه الفؤاد ويذوب منه الشعور والوجدان، وذلك لتخويف الطغاة

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها ٤/٢١٨٠.

والكفار، فمنها:

- سقر، قال تعالى:{**سَأُصْلِيهِ سَقَر، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر، لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر، لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَر، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر**}[المدَّثر:٢٦-٣٠]

-الحطمة، قال تعالى:{**كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَة، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَة، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَة**}[الهُمَزة:٤-٦].

- لظى، قال تعالى :{**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى، نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى**}[المعارج:١٥-١٦]

ومنها الهاوية، قال تعالى :{**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه، فَأُمُّهُ هَاوِيَة، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه، نَارٌ حَامِيَة**}[القارعة:٨-١١].

- جهنم، قال تعالى :{**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَاد**}[آل عمران:١٢].

وأخبرنا اللهُ تعالى بأنَّ لها سبعة أبواب، يدخل منها أصحاب السيئات والظلم على قدر سيئاتهم وظلمهم، وكل إنسان عاص يدخل من باب بحسب عمله، قال تعالى :{**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُوم**}[الحِجر:٤٤]، فإذا استقرَّ أهل النار فيها ،كلٌّ في دركه الذي يناسبُ عمله وكسبه، ذاقوا حرَّها وقاسوا شدّتها ونكالها .

٢- ما يصيب أهل النار من عقوبات الذل والهوان:

يحدثنا القرآن عن الكافرين والمجرمين أنهم يأتون يوم القيامة ذليلين ناكسي رؤوسهم، قال تعالى:{**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون**}[السجدة:١٢]، وقال تعالى:{**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**}[إبراهيم:٤٣].

كما إنهم يأتون سودَ الوجوه من الخزي والعار، يقول تعالى:{**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ**

كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِين}[الزُّمَر:٦٠].

ومن مظاهر الذل والخزي لأهل النار من الأشقياء والكفرة والمنافقين أنهم يساقون سوقاً عنيفاً، ويدفعون دفعاً إلى جهنم مع توبيخهم وتقريعهم، قال تعالى :**{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ }**[الطور:١٣-١٤]، أي يدفعون إلى النار دفعاً، ويساقون إلى النار سوقاً شديداً، وتفتح جهنم أبوابها لهم، قال تعالى: **{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا }**[الزُّمَر:٧١] ثم يُلقون فيها مقرَّنين، فيدعون على أنفسهم بالهلاك: **{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا}**[الفرقان:١٣].

ثم تقول لهم زبانية جهنم تقريعاً وتوبيخاً: **{اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}**[الطور:١٦]، أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيدَ لكم عنها ولا خلاص لكم منها، وإنَّ ذلك بسبب عملكم؛ فالله تعالى لا يظلم أحداً.

٣- طعام أهل النار وشرابهم:

صوَّر القرآنُ الكريم طعامَ أهل النار بعبارات مختلفة، تنفِّر الطبع، وتشير إلى بشاعته وشدته، فقال تعالى:**{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم، طَعَامُ الأَثِيم}**[الدخان:٤٣- ٤٤] وقال تعالى: **{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيم، وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِين، لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُون}**[الحاقة:٣٥-٣٧].

فشجرة الزقوم المشهورة بمراراتها هي طعام الكفار في جهنم، ولقد وصف الله الشجرة بوصف قبيح وصورة بشعة، فقال تعالى :**{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِين، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيم، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِين}**[الصافات:٦٢- ٦٥]، كما وصف الله تعالى الشجرة وطعامها وصفاً مرعباً،

فقال تعالى:{**وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**}[المزّمل:١٣].

فكلُّ ما ذكره الله تعالى من طعام وأكل الكفار في النار يدل على مدى بشاعته وكراهته وقبحه، مما ينفر النفوس منه، ويجعلها تطلبُ كل وسيلة للفرار والبعد عنه.

أما شراب أهل النار فقد ذكر الله تعالى في القرآن صوره بأنه يقطع الأمعاء ويذيب الأحشاء، قال تعالى: {**لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا، إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**}[النبأ:٢٤-٢٥]، وقال تعالى: { **وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُم**}[مُحَمَّد:١٥] فكلّ ما ذكره الله من أوصاف شراب أهل النار يفيد أنه حارٌ شديد الحرارة تذوب منه الأمعاء وتفتت منه.

الفصل الثامن: الإيمان والإسلام

تمهيد:

تناول علماء العقيدة مباحث الإيمان والإسلام تحت مبحثٍ خاص يسمُّونه " الأسماء والأحكام " وهم يعنون بالأسماء أسماءَ المكلَّفين في المدح والذمّ ، مثل: المؤمن والمسلم،

والكافر والفاسق والمنافق، وبالأحكام ما للمكلَّفين في الآخرة من ثواب وعقاب ونعيم وعذاب، ويتناولون في هذا المبحث حقيقة الإيمان والإسلام، والعلاقة بينهما، وزيادة الإيمان ونقصانه، وعلاقة الإيمان بالأعمال، وبعض المسائل التي ترتبط بهذا الموضوع ، كحكم مرتكب الكبيرة وأحكام التكفير [1]، وسنتناول أهم الموضوعات المتعلقة بهذه المبحث، مع ذكر الاختلاف حيث وجد، والأدلة المتعلقة به.

المطلب الأول: التعريف بالإيمان والإسلام

أولاً: الإيمان لغة واصطلاحاً:

الإيمان في اللَّغة هو التصديق، وضدّه التكذيب، يقال : آمن به قوم وكذَّب به قوم[2]، قال تعالى: **{ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}**[يوسف:١٧]، أي: بمصدّق.

والإيمان في اصطلاح علماء العقيدة: هو التصديق بكلّ ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علم من الدّين بالضرورة[3] ،كالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وافتراض العبادات، وتحريم قتل النفس عدواناً وظلماً، وتحريم الزنى وشرب الخمر، وغير ذلك مما أمر الله به أو نهى عنه.

ويكفي في الإيمان أن يكونَ التصديق إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي مما جاء به رسول الله ﷺ، ونقل ابن أبي العز الحنفي عن جمهور كبير من العلماء أنَّهم عرَّفوا الإيمان بأنَّه: تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان[4].

ثانياً: الإسلام لغة واصطلاحاً:

---

(١) راجع: الجويني: الإرشاد ص ٣٩٦، الرازي: المحصل ص ٢٣٧، التفتازاني: شرح المقاصد ١٧٥/٥ ، والجرجاني: شرح المواقف ٣٢٢/٨.

(٢) راجع: ابن منظور : لسان العرب، مادة "أمن"، دار بيروت، بيروت ١٩٥٦م. وقال صاحب مختار الصحاح: " والإيمان التصديق". (مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة" أمن" ، قدم له الدكتور عبد الفتاح البركاوي، دار المنار).

(٣) راجع: د.عبد الرحمن حبنكه: العقيدة الإسلامية ص ص ٨٠.

(٤) راجع: ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص ٢٦٦، وراجع: ابن قدامة: لمعة الاعتقاد ص ٩١.

الإسلامُ لغة: هو مطلقُ الامتثال والانقياد، وهو مصدر أسلمَ يسلمُ فهو مسلمٌ، قال تعالى: **{قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا }**[الحُجُرات:١٤].

والإسلام شرعاً: الامتثال والانقياد لما أتى به رسول الله ﷺ من الأفعال الظاهرة الشرعية وعلم من الدّين بالضرورة ويتحقق بالنطق بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً[(١)].

المطلب الثاني: حقيقة الإيمان

أولاً: أقوال العلماء وأدلتهم في حقيقة الإيمان:

هناك عدَّة أقوال للعلماء في بيان حقيقة الإيمان، والمشهور منها ثلاثة:

القول الأول: الإيمان في حقيقته هو التصديق:

وهو قول كثير من علماء العقيدة من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم[(٢)]، فالإيمان عند أصحاب هذا القول هو التصديق القلبي، أمَّا الإقرار والأعمال فهي فروع وآثار لهذا

(١) قال العز بن عبد السلام: " الإسلام في اللغة عبارة عن الانقياد والاستسلام، وقد يطلق على الخُلوص،.. وقد خصه الشرع بالانقياد إلى الشهادتين باللسان وعليه نحمله عند الإطلاق". (العز بن عبد السلام: معنى الإيمان والإسلام ص ١٧) .

(٢) راجع: البغدادي: أصول الدين ص ٢٤٨، الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٩٧ ، الغزالي: إحياء علوم الدين ١٥٥/١، الآمدي: أبكار الأفكار ٥/ ٩، ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٩٧/١. النسفي: تبصرة الأدلة ٨٠/٢.

التصديق.

ومن الأدلة التي ذكرها القائلون بأنَّ الإيمان هو التصديق، قولهم :

١-الإيمان في اللَّغة هو التصديق وهو كذلك في الشرع، قال الجويني: " والدليل على أنَّ الإيمان هو التصديق: صريح اللغة وأصل العربية، وهذا لا ينكر فيحتاج إلى إثباته، وفي التنزيل: **{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صادقينَ}** [يوسف الآية ١٧]، معناه: وما أنت بمصدِّق"(١).

٢-الإيمان شرط العبادة فمن صدَّق ثمَّ مات قبل أن يعمل فهو مؤمن.

٣-الآيات الدالة على أنَّ الإيمان والمعاصي قد يجتمعان، كقوله تعالى: **{ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا }** [الحجرات: الآية ٩].

٤-النصوص الدالة على الأوامر والنواهي بعد إثبات الإيمان، كقوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }** [البقرة: الآية١٨٣].

٥-النصوص الدالة على أنَّ الإيمان والأعمال متفارقان، كقوله تعالى: **{ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً }** [طه: الآية ١١٢].

القول الثاني: الإيمان هو تصديق الجنان وإقرار اللسان وعمل الأركان:

وأصحاب هذا القول نظروا إلى عرف الشارع؛ فإنَّه ضمَّ إلى التصديق أوصافاً وشرائط أخرى، مثل: الصلاة والزكاة وغير ذلك، فالعمل عند أصحابِ هذا القول ركنٌ من أركان الإيمان يزيد بزيادته الإيمان وينقص بنقصانه، ومن القائلين بهذا القول الإمام مالك وأحمد بن

(١) الجويني: الإرشاد ص ٣٩٧.

حنبل والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث[1].

وقد ذكروا عدة أدلة تؤيد قولهم ، منها:

١- الآيات التي أوقع الله تعالى فيها اسم الإيمان على أعمال البرّ والعبادات، كقوله تعالى: **{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَـاناً وَهُـمْ يَسْتَبْشِـرُونَ }** [التوبة: الآية ١٢٤]، وقوله تعالى:**{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** [البقرة:١٤٣]، أي: ما كان الله ليضع صلاتكم.

٢-التصديق لا يكون إيمانًا إلا إذا أضفنا إليه ما نصَّ الله تعالى عليه، فالإيمان نقل في الشريعة عن موضوعه في اللغة إلى معنى آخر [2] .

٣-الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمَّى إيماناً، فالصلاةُ من الإيمان، وكذلك الزكاة، والحج، والصوم، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل.

٤-الأحاديث الكثيرة التي تدخلُ الأعمال في مسمَّى الإيمان، ومنها:

أ-حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون شعبة- فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) [3] .

ب- حديث عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ : (إنَّ من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنَهم خُلقًا وألطفهم بأهله) [4].

ج-حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (من رأى منكم منكرًا

---

(١) راجع: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٧٧/٤ ، ابن تيمية: الإيمان ص ١٣٦، ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص٢٦٦ ، ابن قدامة: لمعة الاعتقاد ص ٩١، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٦١/١.

(٢) راجع: ابن تيمية: الإيمان ص ١٠٤- ١٠٥، الفصل ٢٣٠/٣-٢٤٦

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ٦٣/١.

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان عن رسول الله، ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ٩/٥ وقال الترمذي: حديث صحيح.

فليغيّره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [1].

القول الثالث: الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان:

وهو منقول عن أبي حنيفة وبعض علماء الحنفية [2]، وأصحاب هذا القول اختلفوا في الإقرار هل هو ركن من الإيمان، أم هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط، فذهب بعض أئمة الحنفية إلى أنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معًا، فالإقرار جزء من التصديق لا يحتمل السقوط إلا في حالة الإكراه، وقال كثير من محققي الحنفية بأنَّه شرط لإجراء الأحكام في الدنيا[3].

ومن خلال تتبّع الأدلة لهذا القول وجدت أنَّها ترجع إلى ثلاثة أدلة، وهي :

١- أنَّ الإيمان في اللغة هو التصديق، والتصديق يشمل النطق اللساني والتصديق القلبي.

٢-أنَّ النطق والتصديق لا بدّ أن يجتمعا، فالنطق وحده لا يكون إيمانًا؛ لأنَّه لو كان إيمانًا لكان المنافقون كلُّهم مؤمنين، والله تعالى شهد عليهم بأنَّهم كاذبون فقال: { **وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**} [المنافقون: الآية ١] .

٣- أنَّ المعرفة وحدها لا تكون إيمانًا؛ لأنَّها لو كانت إيمانًا لكان أهل الكتاب كلُّهم مؤمنين، قال تعالى: { **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} [البقرة: الآية ١٤٦]، فمجرد المعرفة لا تنفعهم؛ لأنَّهم ما أقروا بنبوته ﷺ ورسالته إلى الخلق كافَّة [4] .

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١.

(٢) راجع: الكمال بن الهمام: المسايرة في علم الكلام ص ١٧٣ ، وملا علي القاري: شرح الفقه الأكبر ص١٨١، وراجع: أبو حنيفة: العالم والمتعلم ١٢، ١٦، ٦٥. راجع: البزدوي : أصول الدين ص ١٤٩.

(٣) راجع: البزدوي : أصول الدين ص ١٤٩، نور الدين الصابوني: البداية من الكفاية في الهداية ص ١٥٢، تحقيق: الدكتور فتح الله خليف، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م. الكمال بن الهمام: المسايرة ص ١٧٤، ملا علي القاري: شرح الفقه الأكبر ص ١٨٢، ١٨٣.

(٤) راجع: البزدوي: أصول الدين ص ١٤٦، الكمال بن الهمام: المسايرة ص ١٧٣، ١٧٤، ملا علي القاري: شرح الفقه الأكبر ١٨١، وقارن: أبو حنيفة: العالم والمتعلم" الوصية" ص ٧٦.

فهذه الأقوال الثلاثة أشهر الأقوال، وعليها جمهور الأمَّة من السَّلف والخلف، وليس بين تلك الأقوال خلاف حقيقي، بل الخلاف بينهم صوري لفظي[1]، لأنهم جميعاً يقرون بأنَّ مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان؛ بل هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه أوعذَّبه، لكن الخلاف الحقيقي هو مع المعتزلة الخوارج، قال الخوارج: صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان ويدخل الكفر، وعند المعتزلة يخرج من الإيمان ولا يدخل الكفر فهو في منزلة بين منزلتين [2].

ثانياً: خلاصة عن أحوال الإيمان وحقيقته:

بعد عرض أقوال العلماء وأدلتهم حول حقيقة الإيمان، وبيانِ أنَّ الخلاف لا يعدو أن يكون خلافاً لفظياً، يمكن أن نخلصَ من ذلك إلى أنَّ للإيمان عدَّة حالات واعتبارات، ولكلِّ حالة دليل يوافقها من القرآن السنة، وبذلك نوفقُ بين كلّ الأدلة والأقوال المذكورة:

١- حقيقة الإيمان المنجي عند الله تعالى: وهو الذي ينجي صاحبه يوم القيامة، فالإيمان هنا ما يقابل الكفر والتكذيب، وهذا لا يمكن أن يكون بغير التصديق بما علم ضرورة من الدِّين، وهو ما يعرف بهويَّة الإسلام والمعلوم من الدّين بالضرورة وما لا يعذر المسلم بترك اعتقاده.

٢- حقيقة الإيمانِ الذي يُقبل في الدنيا من صاحبه: وهذا لا يكتفى فيه بالتصديق وإنَّما لابدَّ من ضميمة أخرى وهي النطق والإقرار، فالتصديق أمر قلبي لا يطّلع عليه أحد إلا الله تعالى، وإقامة أحكام الإسلام تقتضي التصريح والنطق لتستقرَّ الأحكام وتطبق الحدود والشرائع.

٣-حقيقة الإيمان الكامل والتامّ: وهو الإيمان الذي يحبّه الله تعالى ويرضى عن صاحبه، وهذا لا يكتفى فيه بالتصديق والإقرار، وإنَّما لا بدَّ من ظهور آثار ذلك التصديق على الجوارح ، وذلك من خلال العمل الصالح والإكثار من العبادات والطاعات.

---

(١) راجع: ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص٢٦٧، ٢٧١.

(٢) راجع: البغدادي: أصول الدين ص ٢٤٩، صفي الدين الهندي: الرسالة التسعينية ص ١٧٢.

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه

أولاً: الاختلاف حول زيادة الإيمان ونقصانه:

الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه يتفرَّع عن الخلاف في حقيقة الإيمان، وقد صرَّح بذلك كثير من العلماء[1]، ويمكن أن نجمل تلك الأقوال في قولين:

- القائلون بأنَّ الإيمان هو التصديق، قالوا بعدم قبوله للزيادة والنقصان في نفسه، وقد ذهب لذلك جمهور المتكلّمين من أهل السنّة.
- القائلون بأنَّ الأعمال جزء من الإيمان، قالوا بأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وعلى ذلك جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة.

ثانياً: أدلة القائلين بأنَّ الإيمان يزيد وينقص

(١) راجع: التفتازاني: شرح المقاصد ٢١١/٥، عضد الدين الإيجي: المواقف ٣٣٠/٨.

ذكرَ القائلون بزيادة الإيمان ونقصانه أدلة من العقل والنقل، أشهرها[1]:

١- من العقل: أنَّ الإيمان لو لم يتفاوت لكان إيمان آحاد الناس مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم باطل فبطل ما يؤدي إليه من التساوي.

٢- من القرآن: الآيات الكثيرة الواردة في زيادة الإيمان كقوله تعالى: { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** } [الأنفال:الآية ٢]، وقوله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ }** [الفتح: الآية ٤]، وقوله تعالى:**{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم}**[مُحَمَّد:١٧] وقوله تعالى: **{ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}**[الأحزاب:٢٢].

٣- من السنَّة: ذكروا عدَّة أحاديث:

- حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة..) [2] .

- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى -أو فطر- إلى المصلَّى ثمَّ انصرف فوعظ النَّاس وأمرهم بالصدقة فقال: (أيُّها النَّاس تصدَّقوا، فمرَّ على النِّساء فقال: يا معشرَ النِّساء تصدَّقْن؛ فإنِّي رأيتُكنَّ أكثر أهل النَّار، فقلنَ: وبمَ ذلك يا رسول الله ؟ قال: تكثرْن اللعن وتكفرْن العشير، ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أذهبَ للبِّ الرجل الحازم من إحداكنَّ...) [3]

-حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (فوالذي نفسي بيده لا يؤمنُ أحدكم حتى

---

(١) راجع: التفتازاني: شرح المقاصد ٥/ ٢١١، ٢١٣، ابن أبي العز الحنفي : شرح الطحاوية ص٢٧٧ ، ابن قدامة: لمعة الاعتقاد ص ٩٢،عبد السلام اللقاني: شرح الجوهرة ص ٥٤ ، السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ١/ ٤٠٥-٤٠٦، الباجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٣٢.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ٦٣/١.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم ٦٨/١.

أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده) [1].

- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يدخلُ أهل الجنَّةِ الجنَّةَ وأهل النَّارِ النارَ، ثمَّ يقول الله تعالى: أخرجوا من النَّار من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان) [2].

فدلالة الأحاديث على زيادة الإيمان ونقصانه واضحة وجلية في ألفاظ الأحاديث، ففيها:

- أنَّ للإيمان درجاتٍ متفاوتة وشعباً متعددة، وله أعلى وأدنى.
- أنَّ النقص يدخل على الدّين الذي هو الإيمان.
- أنَّ صاحبَ الإيمان يترقَّى في إيمانه بقدر محبته وأعماله.

ونقل ابن أبي العز الحنفي عن كثير من الصحابة روايات وأدعية تؤكد ما جاء في الآيات والأحاديث من زيادة الإيمان ونقصانه، ومن ذلك: أنَّ عمر ﷺ كان يقول لأصحابه: هلّموا نزدْ إيماناً، وكان ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً، وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول: اجلس بنا نؤمن ساعة [3].

ثالثاً: أدلة القائلين بأنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص

ذكر العلماء القائلون بأنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص:

أنَّ الإيمان اسم للتصديق البالغ حدَّ الجزم والإذعان، وهذا لا يتصوّر فيه الزيادة والنقص، فإذا ضمّ المصدِّق الطاعات إليه وارتكب المعاصي فتصديقه لم يتغيَّر أصلاً [4]، وإنَّما يتفاوت إذا كان اسمًا للطاعات المتفاوتة قلة وكثرة، وعلى ذلك حملوا ما جاء من آيات

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان ١٢/١.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١٣/١.

(٣) راجع: ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص ٢٧٨.

(٤) راجع: الجويني: الإرشاد ص ٣٩٩، التفتازاني: شرح المقاصد ٢١١/٥.

وأحاديث في زيادة الإيمان ونقصه.

وذكر ملا علي القاري دليلين لإثبات أنَّ هناك درجة من الإيمان يتساوى فيها المؤمنون، ولا تقبل الزيادة ولا النقصان، وإنَّما تكون الزيادة والتفاضل لما زاد عليها من الأعمال، أو يكون التفاوت في القوة والضعف لا في التصديق [١] :

الحديث الأول: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [٢].

الحديث الثاني: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير) [٣].

رابعاً: هل يقبل التصديق الزيادة والنقص

إنَّ الخلاف حول زيادة الإيمان ونقصانه يرجع إلى رأيين كما ذكرنا ذلك سابقاً، إلا أنَّ هناك رأياً آخر توسَّط بين الرأيين السابقين، فقال بأنَّ الإيمان الذي هو التصديق يمكن أن تدخله الزيادة والنقص، وهو قول النووي ووافقه عليه بعض العلماء [٤]، فأصحاب هذا القول قالوا بأنَّ الإيمان هو التصديق القلبي، وهذا التصديق نفسه تدخله الزيادة والنقص، وذلك بكثرة النظر ووضوح الأدلة، قال النووي: " نفسُ التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة؛ لذلك فإنَّ إيمان الصدّيقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشّبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض، بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيّرة وإن اختلفت عليهم الأحوال" ثمَّ قال: " هذا الذي

(١) راجع: ملا علي القاري: شرح الفقه الأكبر ص ١٨٦.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١ .

(٣) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله ٢٠٥٢/٤.

(٤) راجع: الإيجي: المواقف ٣٣١/٨. عبد السلام اللقاني: شرح الجوهرة ص ٥٦..

اخترناه هو الصحيح الموافق لظواهر النصوص القطعية، ولما قاله سلف الأمَّة ولما يقضي به الحسُّ " [1].

فالنووي أراد الجمع بين ظواهر الأدلة الصريحة في الزيادة والنقص، والقول بأنَّ الإيمان هو التصديق في اللَّغة، وهي طريقة من طرق التوفيق بين الأقوال والأدلة.

خامساً: حقيقة الخلاف حول زيادة الإيمان ونقصانه والتوفيق بين الأدلة:

من خلال ما تقدَّم من ذكر أدلة القائلين بزيادة الإيمان ونقصانه والمانعين، ظهر لنا أنَّ الأدلة تنطلق أساسًا من إدخال الأعمال في حقيقة الإيمان أو إخراجها، فالقائلون بأنَّ الأعمال هي من حقيقة الإيمان وماهيته وركن من أركانه قالوا بأنَّ هناك زيادة ونقصانًا؛ لأنَّ الأعمال تتفاوت بين رجل وآخر من عوام المسلمين، بله أعمال الأنبياء والصالحين مقارنة بأعمال غيرهم من المؤمنين، أما القائلون بأنَّ الإيمان هو التصديق وأنَّ الأعمال شرط كمال وتمام وليست ركنًا من أركان الإيمان فقالوا بأنَّ الزيادة والنقص لا يمكن أن تدخل حقيقة الإيمان، وإلا أدَّى ذلك للشكّ والكفر، ومن قال منهم بزيادة الإيمان ونقصانه لم يرد زيادة التصديق، وإنَّما أراد زيادة الأعمال التي تدخل في معنى الإيمان الشرعي لا في حقيقة الإيمان في اللغة والاصطلاح وهي التصديق.

لذلك سأنهي البحث في هذا الموضوع من خلال ذكر آراء للعلماء التي تضمنت التوفيق بين الأدلة التي تدل على زيادة الإيمان ونقصانه، والأدلة التي تدل على أنَّ الإيمان تصديق لا يقبل الزيادة والنقص، ومن تلك الآراء:

- ما ذكره الرازي من أنَّ الأعمال من ثمرات التصديق وليست من أصله، فكل ما دلَّ على أنَّ الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان كان مصروفًا إلى أصل الإيمان، وما دلَّ على أنَّه قابل لهما

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ١/١٨٥، ١٨٦ ، وفتاوى النووي ص ١٣٢ ، وقد نقل ابن السبكي كلام النووي في طبقاته ودافع عنه وذكر بعض العلماء الذين وافقوه عليه. (راجع: ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١/ ١٣٢- ١٣٤)

فهو مصروف إلى الإيمان الكامل [1].

– وهناك طريقة أخرى للتوفيق بين الأدلة والأقوال من خلال التفريق بين الإيمان بمعناه اللغوي ومعناه الشرعي، فعلى الأول هو تصديق لا يقبل الزيادة والنقصان، وعلى الثاني هو تصديق وعمل ويقبل الزيادة والنقصان ومحلّ ذلك العمل لا التصديق، وهو قول حسن في توجيه الأدلة وإزالة التعارض بين الأقوال، وهو قول جامع للمعنى اللغوي الذي هو التصديق ولإطلاق الشرع، فالإيمان في اللغة هو التصديق، وأطلقه الشرع على الأعمال، فجاز القول بأنَّ الإيمان بمعناه الشرعي يقبل الزيادة والنقص؛ لأنَّ الزيادة لم تقع على التصديق، وإنَّما على أمر زائد عليه وهو الأعمال والطاعات وكذلك الأمر في النقص[2].

المطلب الرابع: العلاقة بين الإيمان والإسلام

أولاً: الأقوال والأدلة حول العلاقة بين الإيمان والإسلام:

أشهرُ الأقوال في العلاقة بين الإيمانِ والإسلام ترجعُ إلى أربعة أقوالٍ، ولكل قول من تلك الأقوال أدلته، وهي:

١– القول الأول: الإسلام والإيمان مترادفان:

فهما واحد في الحقيقة وإن اختلفا في اللفظ، فوجود أحدهما هو وجود الآخر، ولا يظهر بينهما كثير فرق لرجوعهما إلى الانقياد والإذعان والقبول، فلا يعقل في الشرع إيمان بلا

(١) راجع: الرازي: المحصل ص ٢٣٩.

(٢) راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ١٨٥/١ الجويني: الإرشاد ص ٣٩٩.

إسلام، ولا إسلام بلا إيمان، وهو قول جمهور أهل السنَّة والمعتزلة [١] .

وأدلة هذا القول [٢] :

أ-لو كان الإيمان غير الإسلام لم يقبل من مبتغيه؛ لقول تعالى: {**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ** } [آل عمران: الآية٨٥].

ب- لوكان الإيمان غير الإسلام لم يصحَّ استثناء أحدهما من الآخر، واللازم باطل؛ لقوله تعالى: {**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**} [الذاريات: الآيات ٣٥-٣٦].

ج-سوق أحد الاسمين مساق الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: {**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**} [الحجرات: الآية١٧] .

أما أدلة السنة: فقد ذكروا عدة أحاديث:

-حديثُ النبي ﷺ: (لا يدخل الجنَّة إلا نفسٌ مؤمنة) [٣]، وروي بلفظ آخر: (لا يدخلُ الجنَّةَ إلا نفسٌ مسلمةٌ) [٤].

-حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة وفد عبد القيس، وجاء فيه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالإيمان بالله وحده، ثمَّ قال لهم: (... أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء

(١) راجع: الماتريدي: التوحيد ٣٩٤ ، النسفي: تبصرة الأدلة ٨١٨/٢ ، التفتازاني: شرح المقاصد ٢٠٧/٥-٢١٠ . ابن حزم : الفصل ٢٧٠/٣. الباجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٣١.

(٢) راجع: التفتازاني: شرح المقاصد ٢٠٨/٥-٢٠٩.

(٣) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.(الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، ومن سورة التوبة ٢٧٦/٥) وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٣١٣/٤.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ٧٢/٤.

الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس) [1].

-حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون شعبة- فأفضلها قول: لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) [2].

فالحديث الأول روي بلفظين مختلفين لمعنى واحد، فالنفس المؤمنة هي النفس المسلمة لا فرق بينهما.

أما حديث وفد عبد القيس [3] فقد سمَّى الشهادة إيمانًا، وجاء في حديث جبريل المشهور أنَّ الشهادة من الإسلام، فدلَّ على أنَّ الإيمان والإسلام واحد، قال البيهقي بعد ذكره لحديث جبريل:" قد سمَّى رسول الله ﷺ كلمة الشهادة في هذا الحديث إسلامًا وسماه في حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس إيمانًا، وفي الحديثين دلالة على أنَّهما اسمان لمسمًّى واحد" [4] ، ووجه دلالة الحديث الثالث ترجع إلى هذا المعنى؛ لأنَّ الحديث ذكر الشهادة من شعب الإيمان.

٢- القول الثاني: الإيمان والإسلام متغايران:

فالإيمان هو التصديق بما أخبر به الله تعالى على لسان رسوله، وهو يتعلق بالقلَّب، والإسلام هو الانقياد والتسليم، وهو يتعلق بالجوارح [5].

الأدلة:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان ٢٠/١.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ٦٣/١.

(٣) وهم مجموعة من قبائل عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ وكانوا أربعة عشر راكباً ورئيسهم هو الأشج العصري، وكان قدومهم قبل فتح مكة بأشهر قليلة . (راجع: النووي: شرح صحيح مسلم ٢١٦/١، ابن كثير: البداية والنهاية ٤٦/٥-٤٨).

(٤) البيهقي: الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ص ١١٦.

(٥) راجع: ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٠٢/١، ١١٨، التفتازاني: شرح المقاصد ٢٠٩/٥.

ذكر القائلون بذلك عدَّة أدلة من القرآن والسنة للتفريق بينهما [1]، وهي:

- إثبات أحدهما ونفي الآخر، كما في قوله تعالى: { **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** } [الحجرات: الآية١٤].

- عطف أحدهما على الآخر، كما في قوله تعالى: **{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}** [الأحزاب: الآية ٣٥]، والعطف يقتضي المغايرة.

-حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا: (الإسلام أن تشهدَ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلا) والإيمان: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) [2].

فالحديث واضح وصريح في التفريق بينهما عند القائلين بالتفريق؛ لأنَّ النبي ﷺ أجاب عن الإسلام بغير ما أجاب به عن الإيمان .

٣- القول الثالث: بين الإيمان والإسلام عموم وخصوص مطلق:

وهو كلام الشهرستاني، فكل مؤمن هو مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا، فالإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام والانقياد ظاهرًا وهو المبدأ، ثمَّ إذا كان الإخلاص معه بأن يصدِّق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر فهو الإيمان، فكل إيمان معه إسلام؛ لأنَّ الإسلام هو البداية ولا عكس في ذلك، ودليله في ذلك ما جاء في حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام[3].

٤ – القول الرابع: الإيمان والإسلام بينهما عموم وخصوص وجهي:

وعليه جمهور الأشاعرة، فيجتمع الإيمان والإسلام فيمن صدَّق بقلبه وانقاد بظاهره،

---

(١) راجع أدلة هذا القول عند: التفتازاني: شرح المقاصد ٥/٢٠٩-٢١٠ ، ابن حزم: الفصل ١٦٩-١٧٠.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦ .

(٣) راجع: الشهرستاني: الملل والنحل ص ٣١.

وينفرد الإيمان فيمن صدَّق بقلبه فقط، وينفرد الإسلام فيمن انقاد بظاهره فقط [١].

أمَّا الدليل على أنَّ بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا، فقد فصل ذلك الغزالي من خلال استقراء أدلة الشرع ، وانتهى إلى أنَّ الشرع قد أوردهما على سبيل الترادف والتوارد، كما أوردهما على سبيل الاختلاف، وكذلك على سبيلِ التداخل، وذكر لكلٍّ من الاستعمالاتِ دليلاً أو أكثر من السنة، كما سنوضح ذلك[٢].

-دليل الترادف: ذكر له حديثين: حديث: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحجّ البيت) [٣]، وحديث وفد عبد القيس وقد تقدَّم، وفيه أنَّه سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس [٤].

-دليل الاختلاف: ذكر له حديثين: الأول : ما جاء في حديث جبريل- وقد تقدم- وما جاء فيه من التفريق بين الإيمان والإسلام، فخصال الإسلام غير خصال الإيمان، والحديث الثاني:في حديث مسلم: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوْ مُسْلِمٌ) أَقُولُهَا ثَلَاثًا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا (أَوْ مُسْلِمٌ)،..) [٥].

-وأما التداخل: فذكر له حديثًا آخر، وفيه أنَّ رسول الله ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل ؟

---

(١) راجع: الباجوري: شرح الجوهرة ص ٣٠، والعموم والخصوص المطلق: أمران لا تفارق بينهما من الجانبين، بل من جانب واحد وهو العام، أما العموم والخصوص الوجهي: أمران يتفارقان في بعض الصور ويتصادقان في بعضها. (راجع: حسن العطار: حاشية على شرح الخبيصي ص ٨٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م).

(٢) راجع: الغزالي: إحياء علوم الدين ١/١٥٢-١٥٤.

(٣) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس ١/١١، مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس ١/٤٥.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان ١/٢٠، ورواية البخاري ليس فيها ذكر الحج، وأشار العراقي إلى أنَّ هذه الزيادة أخرجها البيهقي في الاعتقاد (راجع: إحياء علوم الدين" تخريج العراقي" ١/١٥٣ ، البيهقي: الاعتقاد ص ٩٦).

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ١/١٣٢.

فقال: (الإسلام) ، فسئل: أي الإسلام أفضل ؟ فقال: (الإيمان) [1].

ثانياً: خلاصة العلاقة بين الإيمان والإسلام:

بعد ذكر أشهر الأقوال في العلاقة بين الإيمان والإسلام، يترجّح لديَّ في ذلك أنَّ الإيمان والإسلام إذا أطلقَ كلّ واحد منهما منفردًا عن الآخر فهما مترادفان؛ لأنَّ المؤمن هو المسلم، وخصال الإيمان هي خصال الإسلام، والله تعالى لا يقبل من الناس غير الإسلام، ولا يُدخل الجنةَ إلا نفسًا مؤمنة مسلمة، كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث، أمَّا إذا جمع بينهما في سياق واحد فهما مختلفان، فيحمل الإيمان على التصديق ومكانه القلب، ويحمل الإسلام على أعمال الجوارح والطاعات، وبذلك نعمل النصوص جميعها، فنقول بأنَّ الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وهذا ما اختاره ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي وفصَّلا الكلام حوله، قال ابن تيمية: " فلما ذكر الإيمان مع الإسلام جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة...وإذا ذكر الإيمان مجرَّداً دخلَ فيه الإسلام والأعمال الصالحة" [2].

.....

(انتهى الكتاب بتاريخ ٧ جمادى الثاني ١٤٣٩هـ-الموافق ٢٠١٨/٢/٢٢م)-والحمد لله رب العالمي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	2
الفصل الأول: مدخل إلى علم العقيدة	7
المطلب الأول: أهمية العقيدة في الإسلام والحاجة إليها	7

(١) رواه أحمد بلفظ جاء فيه أن رسول الله ﷺ سئل: " فأي الإسلام أفضل ؟ قال: (الإيمان) قال: وما الإيمان ؟ قال: (تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت) قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال: (الهجرة) ..) أخرجه أحمد: المسند: مسند الشاميين، حديث عمرو بن عنبسة ٢٥١/٢٨) قال العراقي: أخرجه أحمد والطبراني وإسناده صحيح.(راجع: الغزالي: إحياء علوم الدين، " تخريج العراقي" ١٥٣/١).

(٢) راجع: ابن تيمية : الإيمان ص ١٢-١٤، ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية ص ٢٨١.

أولاً: أهمية العقيدة في الإسلام	7
ثانياً: الحاجة للعقيدة	10
المطلب الثاني: نشأة علم العقيدة وأصولها	13
أولاً: نشأة علم العقيدة	13
ثانياً: أصول سائل العقيدة	17
المطلب الثالث: أسماءُ علم العقيدة	19
المطلب الرابع: معاني العقيدة في اللّغة والاصطلاح	23
أولاً: العقيدة لغةً	23
ثانياً: العقيدة اصطلاحاً	24
ثالثاً: الارتباط بين المعنى اللُّغوي والمعنى الشرعي لكلمةِ العقيدة	25
المطلب الخامس: صفة الاعتقاد ودرجة العلم فيه	27
أولاً: العقيدةُ إيمانٌ جازمٌ لا يقبلُ الشكَّ أو الرّيبةَ	27
ثانياً: العقيدةُ إيمانٌ يقينيٌّ لا يقبلُ الظنَّ:	28
الفصل الثاني: الإيمان بالله تعالى وصفاته	30
المطلب الأول: تقسيم الصفات الإلهية	31
المطلب الثاني: وجود الله تعالى (الصفة النفسية)	32
المطلب الثالث: سمات الأدلة القرآنية	34
المطلب الرابع: الأدلة على وجود الله تعالى	38
أولاً: أدلة وجود الله تعالى من خلال الإشارات القرآنية	38
الدليل الأول: دليل الفطرة	38
الدليل الثاني: دليل الخلق	40
الدليل الرابع: دليل الهداية والعناية	42
الدليل الرابع: دليل القصد والتقدير	44
الدليل الخامس: دليل التعجيز والتحدي	47

ثانياً: أدلة أخرى على وجود الله تعالى	48
الدليل الأول: بطلان الرجحان بدون مرجح	49
الدليل الثاني: بطلان التسلسل	50
الدليل الثالث: بطلان الدور	51
المطلب الخامس: الصفات الذاتية(المعاني والمعنوية)	53
المطلب السادس: أسماء الله تعالى	60
أولاً: حقيقة أسماء الله تعالى	60
ثانياً: عدد أسماء الله تعالى	60
ثالثاً: معنى (من أحصاها دخل الجنة)	63
المطلب السابع: آثار معرفة صفات الله تعالى وأسمائه	65
الفصل الثالث: تنزيه الله تعالى	67
المطلب الأول: الصفات السلبية	68
المطلب الثاني: الصفات الفعلية والخبرية	74
أولاً: التعريف بالصفات الفعلية والخبرية	74
ثانياً: الموقف العام من الصفات الفعلية والخبرية	75
ثالثاً: الموقف التفصيلي من الصفات الخبرية والفعلية	76
رابعاً: قواعد عامة في فهم الصفات الفعلية والخبرية	79
المطلب الثالث: العلاقة بين صفة الكلام لله تعالى والقول بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق	81
أولاً: تعريف كلام الله تعالى والخلاف بين المعتزلة وأهل السنة	81
ثانياً: أدلة أهل السنة على أنَّ القرآن غير مخلوق	82
ثالثاً: أدلة المعتزلة على أن القرآن مخلوق	83
رابعاً: حقيقة الكلام المختلف حوله وتحرير النزاع	84
المطلب الرابع: رؤية الله تعالى	86
أولاً: رؤية الله تعالى في الدنيا ووقوعها في الآخرة	86

ثانياً: رؤية النَّبي ﷺ لربّه ليلة المعراج	95
الفصل الرابع: الإيمان بالملائكة	100
المطلب الأول: الإيمان بعالم الملائكة	100
أولاً: تعريف بالملائكة ووجوب الإيمان بهم	100
ثانياً: صفات الملائكة	101
ثالثاً: أعداد الملائكة	105
رابعاً: أعمال الملائكة ووظائفهم	106
المطلب الثاني: الإيمان بعالم الجنِّ	109
أولاً: تعريف بالجن ووجوب الإيمان بهم	109
ثانياً: صفات الجن	110
ثالثاً: تأثير الجنِّ على الإنسِ	113
رابعاً: أخبار الجن وعلومهم	115
الفصل الخامس: الإيمانُ بالكتب الإلهية والأنبياء والرسل	118
المطلب الأول: الإيمان بالكتب الإلهية	118
أولاً: حقيقة الإيمان بالكتب الإلهية	118
ثانياً: الموقف من الكتب السابقة	119
ثالثاً: مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية	120
المطلب الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما	123
أولاً: تعريف النبي لغة واصطلاحاً	123
ثانياً: تعريف الرسول لغة واصطلاحاً	124
ثالثاً: الفرق بين النبي والرسول	124
المطلب الثالث: الوحي	128

أولاً: معنى الوحي لغة وشرعاً	128
ثانياً: أنواع الوحي	129
ثالثاً: حالات الوحي للنبي مُحَمَّد ﷺ	130
رابعاً: شبهُ الجاحدين والمنكرين للوحي	131
المطلب الرابع: حقيقة الإيمان بالأنبياء والرسل ولوازمه والحكمة منه	134
أولاً: حقيقة الإيمان بالأنبياء والرسل	134
ثانياً: لوازمُ ومقتضيات الإيمان بالأنبياء والرسل	135
ثالثاً: الحكمة من بعث الأنبياء وإرسال الرسل	135
المطلب الخامس: النبوة ليست اكتساباً بل هي اصطفاء من الله تعالى	137
المطلب السادس: عددُ الرسلِ والأنبياء	138
المطلب السابع: صفاتُ الرسلِ	140
أولاً: الفطانة	140
ثانياً: العصمة	141
ثالثاً: الصدقُ	141
رابعاً: الأمانة	142
خامساً: التبليغ	142
المطلب الثامن: المعجزة وشروطها	143
أولاً: أهمية المعجزة والحاجة لها	143
ثانياً: تعريف المعجزة	144
ثالثاً: شروط المعجزة	145

رابعاً: معجزات الأنبياء في القرآن	147
خامساً: معجزة القرآن الكريم	149
سادساً: الحكمة من المعجزات	151
الفصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر	153
المطلب الأول: التعريف بالقضاء والقدر وأنواعه	153
أولاً: تعريف القضاء والقدر لغة	153
ثانياً: تعريف القضاء والقدر شرعاً	153
ثالثاً: الإيمان بالقضاء والقدر	153
رابعاً: أنواع القدر	154
المطلب الثاني: الأدلة على قضاء الله تعالى وقدره	156
المطلب الثالث: إثبات اختيار الإنسان وإرادته	159
المطلب الرابع: العلاقة بين قدرِ الله تعالى وفعلِ الإنسان واختياره	161
المطلب الخامس: العلاقة بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب	163
المطلب السادس: العدالة الإلهية وارتباطها بالمحن والابتلاءات	165
المطلب السابع: علاقة الهداية والضلال بقدر الله تعالى	168
الفصل السابع: الإيمان باليوم الآخر	170
المطلب الأول: حقيقة اليوم الآخر والأدلة عليه	170
أولاً: أهمية الإيمان باليوم الآخر	170
ثانياً: أسماء اليوم الآخر	171
ثالثاً: الأدلة القرآنية على اليوم الآخر	171

رابعاً: آثار الإيمان باليوم الآخر	172
المطلب الثاني: علاماتُ يوم القيامة	176
المطلب الثالث: عالم البرزخ	181
أولاً: التعريف بعالم البرزخ	181
ثانياً: ضغطة القبر	182
ثالثاً: سؤال الملكين	182
رابعاً: عذاب القبر ونعيمه	183
خامساً: شبهات حول عذاب القبر ونعيمه:	185
المطلب الرابع: البعث بعد الموت	190
أولاً: حقيقة البعث بعد الموت	190
ثانياً: الأدلة على البعث بعد الموت	190
ثالثاً: الدلالات العقلية في ردّ القرآن على منكري البعث	192
المطلب الخامس: الحوض	194
المطلب السادس: الحشرُ	196
أولاً: حقيقة الحشر وأدلته	196
ثانياً: الهيئة التي يكون عليها الناس يوم الحشر	197
ثالثاً: تفاوت أحوال الناس يوم الحشر	198
رابعاً: صفات الأرض التي يحشر الناس عليها	199
المطلب السابع: الشفاعة	200
أولاً: تعريف الشفاعة	200
ثانياً: شروط الشفاعة	200

ثالثاً: أقسام الشفاعة	201
رابعاً: شفاعة غير الأنبياء	202
المطلب الثامن: العرض والحساب	204
أولاً: أحوال العرض والحساب	204
ثانياً: أصناف الناس في الحساب	205
ثالثاً: أول ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة	206
رابعاً: صحف الأعمال	207
المطلب التاسع: الميزان	209
أولاً: أصناف الناس في وزن الأعمال	209
ثانياً: حقيقة الميزان وكيفية وزن الأعمال	210
المطلب العاشر: الصراط	212
أولاً: تعريف بالصراط وأدلته	212
ثانياً: صفة الصراط	213
ثالثاً: الإيمان بالصراط وأحوال الناس عليه	214
المطلب الحادي عشر: الجنّة والنار	216
أولاً: تعريف بالجنة والنار	216
ثانياً: خَلْق الجنة والنار	217
ثالثاً: الخلود في الجنَّة والنار	219
رابعاً: الوصف العام للجنَّة	221
خامساً: عقاب الكافرين يوم القيامة في جهنم	224
الفصل الثامن: الإيمان والإسلام	228

المطلب الأول: التعريف بالإيمان والإسلام	**228**
أولاً: الإيمان لغة واصطلاحاً	**228**
ثانياً: الإسلام لغة واصطلاحاً	**229**
المطلب الثاني: حقيقة الإيمان	**230**
أولاً: أقوال العلماء وأدلتهم في حقيقة الإيمان	**230**
ثانياً: خلاصة عن أحوال الإيمان وحقيقته	**233**
المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه	**235**
أولاً: الاختلاف حول زيادة الإيمان ونقصانه	**235**
ثانياً: أدلة القائلين بأنَّ الإيمان يزيد وينقص	**235**
ثالثاً: أدلة القائلين بأنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص	**237**
رابعاً: هل يقبل التصديق الزيادة والنقص	**238**
خامساً: حقيقة الخلاف حول زيادة الإيمان ونقصانه والتوفيق بين الأدلة	**238**
المطلب الرابع: العلاقة بين الإيمان والإسلام	**240**
أولاً: الأقوال والأدلة حول العلاقة بين الإيمان والإسلام	**240**
ثانياً: خلاصة العلاقة بين الإيمان والإسلام	**244**
فهرس الموضوعات	**245**